إلى الباحثين عن الله، عن الحق، وعن الحقيقة.. أُقدِّم

الرسالة التصحيحية فى العقيدة الإسلامية

لله حَقٌّ واجِبُ الإثباتِ

هُوَ

إنَّ اللهَ مَعَنَا حَقّاً

قــدَّمَ لـه

أ. د / **سيد عبد العزيز السيلى**- أستاذ العقيدة

وعميد أكاديمية الشريعة بأمريكا

تأليف

محمد إسماعيل جبر

E-mail : mohamadgabr54@yahoo.com

ت 0101949291

تم تسليم نسخة من هذا الكتاب يدًا بيدٍ أو بالمراسلة إلى الجهاتِ المعنيةِ كالآتى :

فضيلة ا. د / الإمام الأكبر شيخ الأزهر ا. د محمد سيد طنطاوى.

،، ا. د/ على جمعة – مفتى الديار المصرية.

،، ا. د/ محمود زقزوق وزير الأوقاف المصرية. مكتبه

،، ا. د/ رئيس الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين.

،، ا. د/ عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

،، ا. د/ أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر بالقاهرة.

،، ا. د/ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر – السابق.

،، ا. د/ عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة. مكتبه

،، ا. د/ محمد سيد أحمد المسير – أستاذ العقيدة – جامعة الأزهر.

،، ا. د/ عبد الفتاح عاشور أستاذ التفسير بجامعة الأزهر.

،، ا. د/ جودة محمد المهدى استاذ التفسير وعلوم القرآن وعميد كلية القرآن.

،، ا. د/ محمد داوود – الأستاذ بجامعة قناة السويس.

،، ا. د/ عبد الله النجار – جريدة اللواء الإسلامى. مكتبه

،، ا. د/ محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية.

،، ا. د/ المحمدى عبد الرحمن أستاذ التفسير وعلوم القرآن.

،، ا. د/ محمد المختار المهدى – الرئيس العام للجمعيات الشرعية.

،، ا. د مدير هيئة الإعجاز العلمى بالقرآن والسنة – مكتب القاهرة،

،، ا. د/ زغلول النجار– بمنزله

،، ا. د/ عبد الصبور شاهين – بمنزله

،، ا. د/ إسماعيل الدفتار – أستاذ الحديث وعلومه جامعة الأزهر

،،   ا. د/ محمد نبيل غنايم – أستاذ الشريعة كلية دار العلوم ج–القاهرة

ا. د مدير مركز صالح عبد الله كامل للإقتصاد الإسلامى– جامعة الأزهر

ا. د/ أحمد فؤاد باشا – كلية العلوم ونائب رئيس جامعة القاهرة

– جماعة أنصار السنة المحمدية – المركز العام – عابدين – القاهرة

– أصحاب الطريقة العزمية – المقر الرئيسى – القاهرة

– عدد كبير آخر من السادة المتخصصين الأساتذة بالأزهر الشريف.

– جهات وشخصيات عديدة أخرى من ذوى الاهتمام

أخى الإنسان فى كل مكان..

تأكد من معرفة ربك الواسع القريب

قال ابن عثيمين فى تفسير { ولله المشرق والمغرب } فى الآية 115سورة البقرة الراجح أن المراد به الوجه الحقيقي ؛ لأن ذلك هو الأصل؛ وليس هناك ما يمنعه؛ وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله تعالى قِبَل وجه المصلي. وقال فى تفسير {فإنى قريب} فى الآية 186 سورة البقرة المراد قرب الله نفسه ؛ لأن الضمائر في الآية كلها ترجع إلى الله ؛ وعليه فلا يصح أن يُحمَل القرب فيها على قرب رحمته، أو ملائكته ؛ لأنه خلاف ظاهر اللفظ، ويقتضي تشتيت الضمائر بدون دليل. وقال(فإن قال قائل: كيف الجمع بين قربه جل وعلا وعلوه؟ فالجواب: أن الله أثبت ذلك لنفسه، أعني القرب والعلو؛ ولا يمكن أن يجمع الله لنفسه - فى ذلك- بين صفتين متناقضتين؛ ولأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته ؛ فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه) تفسيره لسورة البقرة آية 186، هذا هو الله **الواسع** جل جلاله فأدلة العلو والفوقية هى أدلة اتساع فى استواء واستواء فى اتساع، فالله سبحانه هو (الواسع) اتساعا مطلقا. والمهتمون بتوصيف (ذات) من الوجه واليد واليدين والأيدى والعين والأعين....إلخ لله سبحانه، أولى لهم أن يهتموا بإثبات وجود الله معنا كما أثبتوه فوق العرش، بدليل ثبوت قرب وجه الله ويد الله معنا فى الدنيا وفى الآخرة. وأنصح القارئ أن يقرأ أهم النتائج التى خلص إليها هذا الكتاب أوّلاً.. هذه النتائج موجودة فى آخر هذا الكتاب.

محمد إسماعيل جبر
E-mail : mohamadgabr54@yahoo.com

القاهرة فى رمضان 1428هـ - أكتوبر 2007م ت / 01001949291

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهِيَ :

اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّـــمَدُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَــوِّرُ الْمَلِكُ الْحَقُّ السَّــلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ **اللَّطِيفُ** الْخَبِيرُ السَّـمِيعُ الْبَصِـــــيرُ الْعَلِيمُ الْعَظِيمُ الْبَارُّ الْمُتْعَالِ الْجَلِيلُ الْجَمِيلُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ الْعَلِيُّ الْحَكِيمُ **الْقَرِيبُ** الْمُجِيبُ الْغَنِيُّ الْوَهَّابُ الْوَدُودُ الشَّكُورُ الْمَاجِدُ الْوَاجِدُ الْوَالِي الرَّاشِدُ الْعَفُوُّ الْغَفُورُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ التَّوَّابُ الرَّبُّ الْمَجِيدُ الْوَلِيُّ الشَّــهِيدُ الْمُبِينُ الْبُرْهَانُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ الْقَوِيُّ الشَّـدِيدُ الضَّـارُّ النَّافِعُ الْبَاقِي الْوَاقِي الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْقَابِضُ الْبَاسِـــطُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ الْمُقْسِـــطُ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ **الْقَائِمُ الدَّائِمُ الْحَافِظُ** الْوَكِيلُ الْفَاطِرُ السَّـــامِعُ الْمُعْطِي الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْمَانِعُ الْجَامِعُ الْهَادِي الْكَافِي **الأَبَدُ** الْعَالِمُ الصَّــادِقُ **النُّورُ الْمُنِيرُ** التَّامُّ الْقَدِيمُ الْوِتْرُ **الأَحَدُ** الصَّــمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

رواه ابن ماجه فى الدعاء

قَالَ زُهَيْرٌ فَبَلَغَنَا مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أَوَّلَهَا يُفْتَحُ بِقَوْلِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى *

واعتمدت فى كتابى هذا على الأسماء والصفات الثابتة ثبوتًا قطعيًّا فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديـــم

بقلم أ. د / **سيد عبد العزيز السيلى**– أستاذ العقيدة
وعميد أكاديمية الشريعة بأمريكا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وآله وصحبه ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن الإسلامَ عقيدةٌ وشريعةٌ وأخلاقٌ، وأنه بذلك كامل متكامل لا يصح الاكتفاء فيه بجانب دون بقية الجوانب، لقوله تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}آية 208سورة البقرة – أى ادخلوا فى الإسلام كله أى جميع جوانبه.

والعقيدة هى أهم هذه الجوانب لأنها أساس هذا الدين، إن صلحت صلح الدين، وإن فسدت فسد الدين، لأنها هى الإرتباط الجازم بين الخالق والمخلوق. ولا تصح العقيدة إلا إذا كانت على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان. ومعنى اتباعهم بإحسان أى دون ابتداع أو اختراع، وهم أهل السنة والجماعة، والمراد بالسنة أى طريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى فهمها الصحابة رضى الله عنهم فاتبعوها دون تفرق أو تشرذم، وإنما كانوا مجتمعين عليها غير متفرقين عنها، وهذا هو معنى الجماعة.

ولما كانت الصفات هى مفتاح التعرف على الله تعالى كانت من أهم موضوعات العقيدة، فمن صحت عنده صحت عقيدته وسلم دينه. فلا يسع المسلم حينئذ إلا أن يأخذ طريق هؤلاء الصحابة فهو الطريق الأسلم والأعلم، لأنهم كانوا أبر الناس برسولهم، وأقربهم إلى الفهم الصحيح لسنته فى تلقيهم لها، واقتدائهم بها، وسبيلهم هو سبيل الهدى كما قال تعالى:

{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا }115سورة النساء.

وسبيلهم فى الاعتقاد فى باب الصفات : الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التى وصف بها نفسه وسمى بها نفسه فى كتابه وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليها أو نقص منها، ولا تجاوز عنها ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، أى بلا تشبيه ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ؛ بل إمرارها كما جاءت، فمرد علمها وكنهها وكيفها إلى الله عز وجل. هذا هو سبيلهم وسبيل من تبعهم بإحسان كالأئمة الأربعة ومن سار على دربهم من التابعين وتابعى التابعين إلى يوم الدين. فها هو الإمام الشافعى يقول : (آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم). وها هو الإمام مالك حين سُئِلَ عن الاستواء يقول : (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). وها هو الإمام محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة يقول : (اتفق الفقهاء على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفات الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك – أى قال برأيه– فقد خرج مما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة، فهم لم يصفوا ولم يفسروا– بآرائهم – ولكن ءامنوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا). وها هو إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى يقول : (إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم بصفاته التى نطق بها كتابه وشهدت بها سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفونها ولا يشبهونها). ثم يقول : (وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف وعصمهم من التعطيل والتمثيل، وسلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وكان شعارهم تنزيه بلا تعطيل إثبات بلا تمثيل. وكانت كفايتهم فى قوله تعالى:{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } وقوله تعالى:{ ولم يكن له كفوا أحد }. وها هو سعيد بن

جبير يقول : (ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين). فليسعنا ما وسعهم، ولا نكلف أنفسنا بما يبعدنا عنهم.

ومن هنا يتضح لنا أن مذهب أهل السنة هو : إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها، ونفى الكيفية عنها لأن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات (النفس)، وإثبات الذات (النفس) إثبات وجود لا إثبات كيفية. فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.

وعلى هذا فعَلى المسلم أن يلزم السنة فإنها صمام الأمن والأمان، وشاطئ السلامة والاطمئنان. كما روى عن عبد العزيز بن أبى سلمة أنه كان يقول : (عليك بالسنة فإنها لك عصمة، تعصمك من الزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضى به الصحابة لأنفسهم، وقف حيث وقفوا، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر كفوا، وببصيرة اهتدوا، مع أنهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبتفصيلها أحرى، فلا نستزد عليهم، وليسعنا ما وسعهم !!

فهم كما قال ابن مسعود رضى الله عنه : (من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

فالصحابة هم السلف الصالح الذى يتمثل فيهم الدين كاملا، وطريقتهم هى السلفية الحقيقية، لا سلفية المنتسبين أو المدعين. ولذا قيل : (عليكم بآثار من سلف، فإنهم جاءوا بما يكفى ويشفى). ومن هنا كانت طريقة السلف هى الأقوم والأسلم والأعلم !! وإلا فهو الجهل بقدر الله.

ولو أن الناس قدروا الله حق قدره ما اختلفوا فيه، ولكنهم لما جهلوا وتطاولوا، انكسرت أعناقهم، وذلت رقابهم، وتقصفت أقلامهم، وارتدوا على أعقابهم خائبين !!

فيا للعار والشنار الذى لحق بالمشبهين، والمعطلين، والمؤولين، والحلوليين،... إنهم جميعا جهلوا مقام الله، وحسبوه مثلهم!! فضَلُّوا وزلُّوا !!

إن الله الذى وسع كرسيه السماوات والأرض، واستوى على العرش، والكرسى بالنسبة للعرش كحلقة فى الفلاة..، فهل يقال كيف الكرسى وكيف العرش وكيف الاستواء ؟!

الله الذى يطوى السماوات بيمينه، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة،.. فهل يمكن أن يفهم من ذلك كيف يمينه وكيف قبضته ؟! هل يمكن للإنسان أن يتصور لذلك كيفية ؟!! الله الذى يضع السماوات السبع على إصبع، والأراضين على إصبع، والجبال على إصبع، هل يمكن للإنسان أن يعيِّنَ من ذلك كيفية الأصابع ؟!! إنهم حقا ما قدروا الله حق قدره، ولو قدروه ما جهلوه وما افتقدوه !! إنهم والله لن يَسْلموا حتى يُسَلِّموا تسليما، ولن يُؤمنوا حتى يُصَدِّقوه يقينا.

إن هذا التقديم يأتى توطئة لجهد مشكور قام به المؤلف الأستاذ محمد إسماعيل جبر، وفقه الله لما يحبه ويرضاه. ويتمثل هذا الجهد فى بحث علمى حاول فيه الدفاع عن السنة، والرد على أهل البدعة. والدفاع عن السنة لا يقل عن الجهاد فى سبيل الله بل يزيد ؛ لأنه نصرة للدين من أهل الدين البارّين، أما الجهاد فقد يكون خلف كل بر وفاجر، فيدخل فيه البارُّون والفاجرون !!

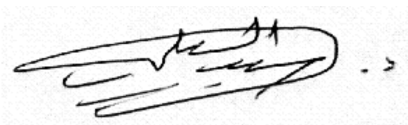
وقد حاول المؤلف أن يجاهد ويجتهد فى إثبات ما أثبته الكتاب والسنة دون تشبيه أو تعطيل، ودون تكييف أو تمثيل. ويدفعه ذلك إلى إثبات الصفات على الحقيقة لا على المجاز، فيرد على المشبهين بأن الله تعالى لا يشبهه شيء لأنه أكبر وأعظم من كل شيء. ويرد على المعطلين بأن هذه الصفات ثابتة فى كتاب الله وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويرد على المؤولين بأنهم يعطلون ما أثبته الله لنفسه. ويرد على المكيفين بأن الكيف والكنه لا يعلمه إلا الله. ويرد على أهل الحلول والاتحاد بأن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن والواسع الذى يسع كل شيء، فكيف يحل أو يتحد به أى مخلوق ؟ ! فالكلام بالحلول والاتحاد خطأ ؛ لأنه يأتى فى الكيفية.. ولا يعلم الكيفية

إلا الله وحده، فلا يجوز لنا رفض حقيقة القرب خوفا من (كلام) جاء من (متكلمين) فى الكيفية بلا علم !!

إن المؤلف ركز على ثبوت صفة القرب حقيقة لله عز وجل بما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى جل فى علاه.. فهل سَلِمَ له الطريق ؟؟ وهل تمهّد له السبيل ؟؟.. هذا هو ما سيكشف عنه البحث الذى أجراه، وبدأ به أولى خطاه، وبذل فيه هذه المعاناة. إنه اجتهد، ولكل مجتهد نصيب، وسار على الدرب، ومن سار على الدرب وصل. والدرب هو المحجة البيضاء التى تركنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحة جلية، لا يزيغ عنها إلا هالك. فجزاه الله خيرًا إخلاصَ نيته، وحُسنَ مسلكه، واختيارَ طريقه، وطرافةَ بحثه، واستنفادَ جهده، وإفراغ وسعه، وسمو هدفه، وعلو مقصده. فنسأل الله تعالى أن يوفق مسلكه، ويؤازره فى بحثه، وأن يمهد له سبيله إلى الصواب والرشاد والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير. آمين.

القاهرة فى ليلة 27 رمضان 1428هـ

أ. د / سيد عبد العزيز السيلى– أستاذ العقيدة
وعميد أكاديمية الشريعة بأمريكا



الباب الأول
هُوَ اللَّهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ

* (إن الله معنا بعلمه) فبالضرورة معنا بنفسه *

قالوا " **إن الله معنا بعلمه** "، قلت : نعم، ولم يقل أحدٌ أنه معنا بدون علمه!، لا شـــك أنه معنا وهو عليمٌ بأنه معنا، أى معنا بعلمه. أما إذا قصـــدوا بها " **إن الله يعلمنا مع وجوده فوق العرش الأعلى دون أرضــه وسـماواته** "، فإنَّ هذه ليسـت معيةً لحاضـرٍ قريبٍ معدودٍ مَعَنا، بل هى مجاز بمعيةٍ لغائبٍ بعيدٍ غَيْرِ مَعْدُودٍ مَعَنا، وهذا لا يجوز على الله تعالى – كما سنرى– لتصَادُمِهِ مع نصوص القُرْبِ الحقيقى للحاضرِ المعدودِ !. وإذا قصَدوا بها " مَعَنا عِلْمُ اللهِ فقط بدون (نفسه)" كقولك فلان معنا برأس ماله فذاته ليســـت معنا بل معنا ماله فقط، فعليهم تعديل الجملة لتكون هكذا "**إن علم الله معنا**"، وهذا غير صـــحيح ؛ لأن علم الله ليس معنا وإنما معه هو، ولا يحيط أحدٌ به إلا هو، وعلمه صـفة قائمة به هو فى نفســه. فعليك حَتمًا تعديل العِبارة لتكون هكذا " **إن معنا الله العليم** ".. وهى تؤكد لنا أن الله العليم معنا بنفســه. **وأقول** : يا عِبادَ اللهِ قلِّبُوا العِبارةَ على جميعِ وُجُوهِها ولا تخدعوا أنفسكم!.. ما معنى قولِكم إنَّ اللهَ معنا بـ وليس معنا بـ ؟!.. هو ســـبحـانـه لم يَقُل ذلـك فلا يحق لغيره أن يقولَـه، فـالكلام فى الله توقيفى. وأستسمح القارئ أن أعود إلى ذلك بعد قليل.

هل وُجُودُنا هنا صُورًا مُصَوَّرَةً يمنع وجود من يُصورنا هنا ؟! بأيِّ فقه وبأيِّ عقل نتكلم ؟! إن وجودنا هنا صورًا ظاهرة هو للدلالة على وجود نفس وحقيقة الباطن اللطيف الواسع القريب غير المنظور بالأبصار هنا. وثبوت صفة العلم لله يساعد على إثبات صفة المعية الحقيقية ولا يمنعها ولا يحل محلها. أمَّا من يقول أنّ الله معنا بعلمه على سبيل المجاز كقولك (النبىّ معنا بسُنته)، فهذا المجاز واضح فيه غياب جسم النبى (وغياب جسمه جائز)، لكنّ الله ليس بجسمٍ محدودٍ يغيبُ ثم يحضرُ أو يبتعدُ ثم يقتربُ. وواضحٌ فى هذا المجاز انحصار معية النبىّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا فى سُنته دون جسمه، حيث بمقدورنا القيام بها، لكنَّ أفعال الله عز وجل لا يمكن أن يقوم بها غيره. فهذا المجاز لا يجوز على الله مُطلقًا، وهو قياسٌ فاسدٌ... وإليك بعض الأدلة القاطعة على فساده : –

* قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَصَـمَّ وَلا غَائِبٍ هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رُءُوسِ رِحَالِكُمْ. حَدِيثٌ حَسَـنٌ، وقَالَ صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ : ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِـكُمْ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا. صحيح البخارى – كتاب التوحيد. **فالغياب ممنوع، والبعد ممنوع.**

* وعن أَبى هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ أَوْ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ. رواه البخارى. فأفعاله لا يمكن أن يقوم بها غيره. وعرشه على الماء دليلٌ على وجوده معنا – كما سنرى. فلو أتى المجاز فى المعيةِ فإنه يأتى حقيقيًا كأن يَكنِى اللهُ عن نفسه باليد أو الوجه أو العين أو الأصابع معنا كنايةً حقيقية عن وجوده الحقيقى الواسع القريب. وقول القائل بأن الله معنا بعلمه أو بسلطانه أوبتأييده أو بـ.... إنما هو أسلوبٌ لم نعهده فى القرآن الكريم أو فى كلام النّبيِّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والصحابةِ الأكرمين **رضى الله عنهم**، بل جاء الكلام عن معية الله لنا دائما بـ **الله**، مثل { لا تحزن إن **الله** معنا }التوبة40، (ماظنك بإثنين **الله** ثالثهما) حديث الغار.

وجاء الجار والمجرور –(**بـ**علمه)– فى القرآن الكريم فى سورة النساء آية166، يونس39، فاطر11 وفصلت47، وكلها تتكلم عن إحاطة علم الله بكل شيء لا عن قصر وجود الله معنا على (**علمه** بنا). وثبوت العلم لا يمنع ثبوت المعية. قال **عزوجل** { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ }هود:14 فعِلْمُ اللهِ هنا مع وُجُودِ اللهِ نفسِه، ولا مجال لتغييب الله نفسه من عملية تنزيل القرآن بحُجَّةِ أن التنزيل تمَّ بعلم الله !، وأيضا لا مجال لتغييب الله نفسه من أرضه وسماواته بحُجَّة أنَّ اللهَ يَعْلَم ما فيهما !، ولا توجد لغةٌ فى العالم يُستدل فيها على الغيابِ أو البُعد المكانى من ثبوت العِلْمِ، أو قيام العِلْمِ مقام حُضُور المعدود مع المعدودين !. كما أنه لا مجال للكلام بالمجاز إلا لمن عَرَفَ حقيقة الشيء أوّلاً، لأنَّ المجاز فرعٌ يتفرعُ عن أصلٍ، فالكلام بالمجاز لا يجوز إلا لمن عَايَنَ أصلَ وحقيقة نور الله، فإذا أردنا التعرّف

على الله عزّ وجلّ فلنتتبع كلامَ النبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فكلماته وتعبيراته كانت ذِكراً لِلِّهِ بإسمٍ من أسمائه الحُسنى عَمَلاً بقول الله عزّ وجلّ { وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } الأعراف:180 فقد جَعلَ اللهُ عدمَ إثباتِ أيٍّ من أسمائِه الحُسنَى إلحَادًا، أىْ كُفرًا، وتوَعَّدَ فاعِليه بأشدِّ الوعيد. فإذا قيل وما الفرق بين الأسلوبين ؟ قلنا إنَّ الفرقَ كبيرٌ وواسعٌ جدًّا، ويُعبّرُ تمامًا عن الفجوةِ الهائلةِ بين شعورِ النبيِّ وبين شعورنا بوجود الله معنا. فإن قيل كيف ؟ قلنا إنَّ شرح (الكيفية) يعتمد أساسا على مدى الإقتناع (الإيمان) بمعية كاملة لله معنا بكل ما وراء لفظ الجلالة من غيب، ثم يعتمد ثانيةً على مدى معايشة هذا الإيمان لمدة طويلة نسبيا بحضور قلب وصفاء ذهْنٍ وذِكرٍ دائمٍ حتى الاطمئنان إلى صِدق كلام الله، والتخلِّي عن الوَهْمِ، فقد قرن ربنا عز وجل بين علم اليقين وبين عين اليقين فى رؤيتهما للحق فى قوله عز وجل :

كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيم (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8) سورة التكاثر

فلا يتســاوى علم اليقين مع الظنِّ والتقوُّلِ وحُبِّ الجِدالِ. ولا طريق لعلم اليقين إلا بأدلة اليقين قطعية الثبوت والدلالة. إنَّ الظنَّ فى معيةِ اللهِ بعلمه دون نفســـه فيه إجتزاءٌ وتبعيضٌ بل وإبعادٌ صـــريحٌ لله !، وهو ظنٌّ ســـيّءٌ، واللهُ عند ظنِّ العبد به. إنه عَيْنُ الضَّـــرَ ِر حقيقةً، فالباء للتبعيض وتؤثر بذلك على ظنِّ الإنســـان بربه وحجم وجوده ومعيته، ولا سبيل لتنزيه الله عن ذلك إلا باستبعاد لفظ (الذات) والكف عن التفكر فيها ثم التقيّد بكلمات القرآن والســنة. وتعبير النبى **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** بقوله " ماظنك بإثنين **الله** ثالثهما "، وكما فى القرآن {لا تحزن إن **الله** معنا } على اختصــاره واقتصــاره على لفظ الجلالة **الله**، هو تعبير أبلغ وأصدق من قولك بقدرته وبعونه وبـ.. وبـ.. وبكل التبعيضات !. كيف وعلى أى أساس تنتقيها ؟ أو كيف تتحرَّى فلا تنسى ما يجب ذكره منها ؟. ولكن يمكن التعبير دون استبعاد شيء وتقريب شيء من الله الواحد، فنقول أن الله القوى معنا، والله العليم معنا، والله الكريم معنا، وهكذا..، أىْ إذا أردنا ذِكرَ صـــفة

بعينها ذكرناها مقترنة بالله أو باسم من أسمائه الحسنى كما أمرنا قائلا {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} الأعراف: 180

إن الكلام فى (ذاتٍ لله مُختصة بخارج الكون) بدْعةٌ مُضِلةٌ طَرَأت بعد انتقال النبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والصحابة والتابعين، وسَبَبُها هذه الفكرة التى قُذِفَت بليلٍ مظلمٍ فى أدْمِغةِ البعضِ من قيامِ اللهِ فى ذاتٍ تشبه ذاتَ الإنسان، وهو كلامُ مُحرّفِى الكُتُب السماوية السابقة أغراهم بالتجرؤ على الله ووصفه بالفقر واليد المغلولة والتعارك مع الناس !، وقد شَاهَدْتُ لهم أفلامًا تُجَسّدُ اللهَ سبحانه وتعالى وهو فى صراعٍ مع أهلِ الأرضِ!، وتُعزِى تدبيرَ مقاديرِ الخلائق إلى ساحرٍ وساحرةٍ !.. وهو كلامٌ مُؤَداهُ تقزيمُ اللهِ فى نظر الناس وإبعادُه من حياتِهم، وبالتالى تقزيم المسلم نفسه ؛ لأنه بالله يكون المؤمن عملاقا مُنيرا نافعًا خيّرًا عزيزًا فى مَنَعَةٍ بحِفظِ اللهِ لَه من كيدِ أعدائِه. والثابتُ فى الكتاب والسنة قطعيا أن الله ليس كمثله شيء وقائمٌ بنفسِه فى السماوات وفى الأرض وفوق العرش غنىٌّ عن العالمين، هو فى السماوات والأرض ممسكا بهما أن تزولا، هو فيهما كمَثَل النورِ فى الزجاجة والمشكاة بوجودٍ مُستقلٍّ متميزٍ عن غيره، هو أقرب إلينا من حبل الوريد، هو مع كل شيئ فى يومه وشأنه الخاص لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ.

فكيف بعد ذلك يظن مؤمن بالقرآن والسنة أن الله –الذى وسِع كل شيئ– يقوم بـ(ذاتٍ) تستقرُّ فى مكانٍ بعيدٍ جدًّا عنَّا وعن أرضه وسماواته؟ وهل هُمْ أعْلمُ أمِ اللهُ ؟. إن الله عزّ وجلّ قد قطع الطريق على أىّ نوعٍ من المشابهة، ففى حين أنَّ (مَنْ) للعاقل – كما قال الله عزّ وجلّ { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) }الزلزلة، إلا أن اللهَ ليس مثلَنا فى أىّ شيءٍ حتى العقل الذى هو أشرف ما فى الإنسان، فقد أقسم الله بنفسه قائلا { وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (3) } الليل،

{ وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا (5) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) } الشمس، وقال { وَلا أنتُم عَابِدُونَ مَا أعْبُد } الكافرون3

وكما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى المستشفع بالله عليه: "ويحك أتدرى ما الله؟ الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته ".

فلا يصح أن يُقال عن اللهِ أنه هو (العقل الأعظم) مَثلاً كما جاء فى بعض المؤلفات المعاصرة[1]. ولا يصح تقسيم الله نظريا ولا عمليا كتقسيماتنا للمخلوقات!!؛ فالله لا يقاس على شيء!.

وأعودُ إلى قولِهم "إنّ اللهَ معنا بعلمه" ويقصدون بها ليس بــ (ذاته)، فأقول: إنَّ التّحْقيقَ اللُّغَوِيَّ للعِبارَةِ يَقْضِـى بمعيّةٍ حقيقيةٍ لحاضرٍ قريبٍ معدودٍ معنا بكيفية يعلمها الله وحده، فهى للتفويض وليســت للتبعيض، وليســت كما أرادوها مجازًا غيرَ حقيقيٍّ. وعارٌ على هؤلاء أن يَتِمَّ تمريرُها مِن خِلالِهم لِتعطيلِ مُحكَمِ القرآنِ والسُّـــــنةِ فى ثبوت حقيقة وجود الله معنا.

ومع تسـليمنا بوجود المجاز فى اللغة، لكنَّه لا مجازَ إلا لمن عاين الحقيقة، فلا يصـحُّ أن يقول به فى حقِّ اللهِ إلا اللهُ.. ولقد جَرَّبناه أكثر من ألف عام فماذا كانت النتيجة؟! تم تخديرُ الأمّةَ به فتاهت عن رَبِّها الذى هو معها ثم تداعت عليها الأمم لتأكلها!.

كيف نُعَلِّم الناسَ أنّ اللهَ معهم مجازًا وليس حقيقةً ثم نطلب منهم نتائجَ لا تتأتَّى إلا من معيةٍ حقيقيةٍ كالإحســـانِ والمراقبةِ والتَّقوى؟. والعِبَارَةُ (إن الله معنا بعلمه) على المعنى الذى أرادوه (عدم وجود الله معنا بنفســـه) هى من كلامِهِم لفظًا ومعنىً، فهى من كلامِ بَشَرٍ اتخذوه مظلة للعقول والقلوب المنكرة والمعطلة لحقيقة قرب الله بسبب عجزهم عن رؤيته. وإذا ما جادلناهم بمثله فأثبتنا حقَّ اللهِ فى القُربِ الحَقيقيِّ، قالوا لا كلام فى الله بالعقل !!، مع أن الكلامَ فى الله بالعقل هو بضـاعتهم التى تركوا صـريحَ الشرعِ لأجلِها إذ قالوا **هل مَعْقُـــــول** أن يَكُون اللهُ معنا بنفســه ؟ إنَّ هذا لشــيءٌ عُجَابٌ.. فيُحَكِّمُون عُقولَهم فى حقيقةٍ غيبيةٍ لا طاقة لهم بها فيُعَطِّلُونَها بزعم التنزيه الذى لم يأتِ به الشرع !. والسؤال هنا هو: هل أمَرَنا اللهُ أن نتكلم فى (ذاتٍ) له، أم أمَرَنا أن نؤمن بأنه واسـعٌ وقريبٌ؟.

ولقد حذر علماء النحو واللغة والشرع من القياس بين وجودنا وبين وجود الله عز وجل، وجاء تحذيرهم هذا بمقتضى التنزيه الواجب لله عزّ وجلّ، ومَنْعًا للقياسِ الفاسدِ، ومُراعاةً

---

[1] مثل كتاب (بعد الموت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور) د. سمير الشناوى ص 388

لأصـــلِ العقيدةِ وهو قوله عز وجل {ليس كمثله شـــيء}، فجاء فى كتاب فتح الباري شـرح صـحيح البخارى لابن حجر – ج: 13 فى باب (ما يجب نسـبته إلى الله عز وجل لثبوته أو منعه لعدم ورود النّصِ به) فيقول رحمه الله [فأما كلمة (ذات) فهي كلمة لا تضاف إلى الله تعالى فى لغة العرب، لغة القرآن، لأنها تأنيث كلمة (ذو) وهو جلت عظمته لا يصـــح الحاق تاء التأنيث به. وقد اســـتعار البعض لفظ (ذات) لعين الشـــيء واسـتعملوها مفردة ومضـافة وأدخلوا عليها الألف واللام وأجروها مجرى النفس وليس ذلك من كلام العرب. وقد استعمل أهل الكلام الذات بالألف واللام وغلطهم أكثر علماء النحو. وقال بن برهان: إطلاق المتكلمين (الذات) في حق الله تعالى إنما جاء من جهلهم لأن (ذات) تأنيث (ذو). وقال: وقولهم (الصفات الذاتية) جهل منهم أيضا. وقـال: وإطلاق المتكلمين وغيرهم (الـذات) بمعنى نفس أوعين الشـــــيء خطـأ عنـد المحققين. وقال: وقول العرب (إنما نفعل ذلك فى ذات الله) معناه (فى سـبيل الله) كما جاء فى الحديث عن ثلاث كذبات لسيدنا إبراهيم كلهن فى ذات الله أى: فى سبيل الله، فما كان لنبى أن يكذب فى (الله) نفسـه].أهـــ بتصـرف. وأقول: إنه لو جاز القول ب(الذات) لجاز القول ب(الذو) ولا معنى لهما (الذات والذو). وهذا ليس رأيا شـخصـيا لابن حجر أو غيره، وإنما هى أصـــول اللغة العربية الحاكمة للكلام والمفاهيم، أيّدها القرآن الكريم وكلام النبى صلى الله عليه وسلم، فأصـبحت حُجّة على كل إنسان مهما كانت اتجاهاته ومشاربه، فلا يجوز لأحدٍ الكلام فى الله بغيرها.

فإذا أدى لفظ (الذات) وتفصـــيل الكلام فى وجود الله إلى القول بعدم وجود الله معنا على أيِّ نحو من القول، وَجَبَ شَـــرْعًا الرُّجُوعُ عنه تمامًا، ووجب الوقوف عند ألفاظ القرآن والسنة فى عموم كلامهما عن الله ووحدانيته ووجوده الواسع معنا وفى السماوات وفى الأرض وفوق العرش دون تخصـــيص أو اســـتثناء، وهذا هو مذهب الصـــحابة والتابعين – قاله الإمام على بن أبى طالب – كما جاء فى حلية الأولياء لأبى نعيم (1–73). فإذا خالف ذلك أحد من سـلف أو خلف – تحت أى زعم – فلا عصـمة له ولا حصـانة، ولْيَعْلمَ الجميعُ أنه مُخالِفٌ للكتابِ والسـنةِ وإجماعِ الصـحابةِ. وأىُّ ادّعاءٍ

بوجودِ إجماعٍ فى هذا الباب على ما يُخالفُ الكتابَ والسنة والصحابة هو ادّعاءٌ كاذبٌ وباطلٌ. ومن المدهش أننا نجد كل جماعة تدَّعِى الإجماع على ما لديها رغم وجود ما يُعارضُهُ عند غيرِها !!.

ويشــهد الســعيد بدير ألماظ أن ابن تيمية وجماعته يقولون بأنَّ اللهَ معنا على الحقيقةِ فيقول :

(وإننى أذكر واقعة وقعت بينى وبين الشـيخ الحقبانى قاضــى القضــاة فى محافظة المجمعة بالسعودية حينما كنت أعمل هناك وقد كنت مرشحا لإمامة أحد المساجد بهذه المحافظة فسألنى عن قول الله تعالى" **وهو معكم أينما كنتم** " فقلت له أى معنا سبحانه بعلمه وإحاطته، فغضـب الشيخ غضـبا شـديدا وقال لى بعنف وقوة : إسـتغفر الله من ذنبك ! فقلت له مستغربا : أستغفر الله من كل ذنب هل فى كلامى خطأ ؟! قال لى: إنه قول فسق وأحذرك ألا تصـلى بالناس. فخرجت من عنده وأنا أكلم نفسـى من شـدة المفاجأة حيث كنت لأول مرة أســمع هذا الكلام فى الاعتقاد، وبعد ذلك بيومين قررت أن أرجع لهذا الشــيخ لأتبين من هذا الأمر فما كان منه إلا أن قال لى مؤكدا قوله الأول: **إن الله معنا حقيقة!** وهنا ازدادت حيرتى وتعجبى ومشـيت أكلم نفسـى هل هذه هى فعلا العقيدة الســلفية ؟ وهل ممكن أن تكون هذه العقيدة هى عقيدة الجماعة الســلفية بالســعودية أمثال ابن العثيمين وابن باز ومحمد بن عبد الوهاب وهل هذا هو قول ابن تيمية شــيخ الإســلام كما يقولون وكذلك قول ابن القيم؟ وأخذت أبحث فى الكتب الخاصة بهم حتى تأكد لى أن هذا هو اعتقادهم). أهـ[1]

وأنا أقول للسيد ألماظ وللناس كافَّة : نَعَمْ، **إنَّ اللهَ معنَا حَقّــا**، ولا يقولُ اللهُ إلا الحَقَّ، ولا يقول الرســول إلا الحقَّ ولو كان مازحا، ولكن أكثر الناس غرقوا فى كلام أهل الكلام وأهل التأويل حتى الثمالة، حتى أصبح كلام الله ورسوله غريبا وعجيبا عندهم !، وحسبنا الله ونعم الوكيل. إنَّ اللهَ حَيٌّ لا يموت، وحقيقةُ قربه هى صفةٌ ثابتةٌ له لا تزال ولو كَرِهَ المتكَلِّمُون.

---

[1] أنظر كتابه بعنوان (ابن تيمية بين نقيضين) ص 200

ونسأل هؤلاء أدعياء السلفية الجُدُد الذين عطلوا حقيقة القرب والمعية فى كلام الله ورسوله، من أين جاءوا بسلفيتهم المختلفة ؟ كما نسأل غيرهم ممن خرجوا عن جادة كلام الله ورسوله حتى استنكفوا وصفه بالحقيقة !، نسألهم أين نجد الحقيقة إن لم تكن هى كلام اللهِ ورسولِهِ ؟!. **أم تريدون أن تروا الله جهرة حتى تؤمنوا !!**

إن ما يجب أن يعلمه أهل المشارق والمغارب هو أن **الله معهم أين ما كانوا حقيقة،** إنَّ اللهَ أمَرَنا أنْ نُبَلِّغَهُم ذلك عنه، وهذا ما لم نفعله حتى الآن !!، ولو فعلنا حَقًّا لتغيَّرَ شكلُ الحياةِ على وجهِ الأرض، لأن افتقادهم لمفهوم (الواسع) والقربِ الحقيقيِّ يُفقِدُهم أهَمَّ معانِى الرُّبوبيّة والألوهيّة، ويجعلهم يتعاملون مع أنفسهم أخذًا وعطاءً من دون اللهِ ومراقبتِه القريبةِ.

وكلام القرآن والسنة عن اليد والعين والوجه والأصابع لله جاء من باب الكناية عن قرب الله نفسه معنا، ولكن كلام المتكلمين فيها على غير هذا النحو عطل وصول الحقيقة الغيبية إلى قلوبهم كما ضل كثيرا من بعدهم. وهذه هى **الحلقة المفقودة** عند المتكلمين والتى فيها مفتاح الكلام فى الغيب بلا تعطيل ولا تشبيه، وفيها الوصول إلى إثبات القرب الحقيقى لله عز وجل معنا ووجوده الواسع مُطلقا، وبها لا يتعطل دور العقل تماما فى ميدان الكلام فى الغيب ولا يتجاوز العقل حدوده وقدراته فى هذا الميدان. فالمطلوب هو إعمال العقل بكل جد ونشاط لإثبات نصوص القرب والاتساع للوصول فى ذلك إلى أقوى يقين. لذلك يجب الانتباه جيدا إلى هذه الحلقة المفقودة وإلى دور العقل فى الموضوع لإثبات (الأين) على الإطلاق والتفويض فى (الكيف) على الإطلاق. فقد جاءت صفة الله (الواسِع) تسع مرات فى القرآن الكريم، سبعة منها تصف الله نفسه بالاتساع المطلق، وتردفها صفة العلم تصف الله نفسه أيضا بالعلم المطلق، وكلها تقول (اللهُ واسعٌ عليمٌ) – فى سورة البقرة الآيات 115، 261،247، 268 وآل عمران73 والمائدة54 والنور32 – وجاءت الثامنة (وكان الله واسعا حكيما) النساء 130 تصف الله نفسه بالاتساع المطلق وتردفها صفة الحكمة تصف الله نفسه أيضا بالحكمة المطلقة. وجاءت مرة تصف ما بعدها بالاتساع تقول (إن ربك واسعُ المغفرة)النجم32، ذلك ليصف الله نفسه ويصف صفاته بالاتساع المطلق. وجاء قوله

(وَسِـــعَ) ربِّى كلَّ شـــيءٍ عِلْمًا، رحمةً وعِلْمًا. ذلك ليثبت الله عز وجل لنفســـه الاتســـاع المطلق فى نفسه وفى صفاته، إنه (الواحد الأحد الصمد).

- **متى نشأ استعمال لفظ (ذات) لله نفسه، وما هى مرجعيته ؟**

لذا فإن الإعتراض الشديد على استعمال لفظ **(ذات)** لنفس الله في كلامنا وكتاباتنا هو إعتراض له ما يُوجبه من شرع الله.. لإنه لم يَقُلْ به الله ورسوله، ولأنه طالما استعملناه تعذر علينا التحرز من الخوض فى الله بمفهومنا لهذا اللفظ ومدلولاته عندنا على المجســـمات ذوات الحيّز والأبعاد والاختصـــاص بالجهة بما يتنافى مع تنزيه الله عز وجل.. وليس أدَلّ على ذلك مما وقع بالفعل عبر التاريخ من أهلِ المِلَلَ والنّحَل والفِرَق الكلامية، وســـجلته كتب العقيدة قديما وحديثا، ولم أذكره هنا لعدم الفائدة من تكراره، ولأنه فى معظمه تقولات بلا علم فى الغيب المطلق !..

وما قال بـ (الذاتِ) إلا مَنْ نَظَرَ إلى جَسَدِهِ وهو يقرأ عن اللهِ اليدَ والعينَ والأصابعَ فشبَّهَ وهو لا يدرى!، قَطعًا ما جاءت لفظةُ (الذَّاتِ) إلا من هنا، وإليها تُرَدُّ غَفْلَةُ الناسِ عن ربِّهم وظنِّهم فى غيابه أو بُعدِهِ عنهم. ورُبَّما يَتَساءَلُ البعضُ عن التعبير (بحقيقةِ اللهِ) و(نَفْسِه) بدلاً من **(ذاتِ)** اللهِ، والجواب يأتى من قول الله {ويحذركم اللهُ نفسَه} آل عمران28و30 و {واصطنعتك لنفسى }طه41.

والأنبياء على ذلك {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}116المائدة. وجاء من اسم الله (الحق)، وقول النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : لكل حق حقيقة، وقوله: سبحان الله وبحمده رضا (نفسه). وهذا لا يتوافر لكلمة **(ذات)**، فلا أحد يعرف لله (ذاتاً) بدءًا من إستعارة كلمة (ذات) التى هى تأنيث كلمة (ذو) للدلالة على نفس الله – وهذا لا يجوز لله لغة وشرعا – وحتى الإحاطة بماهيَّةِ اللهِ وحقيقتهِ. ولو كانت لازمةً أو تجوزُ لأطلقها اللهُ على نفسِه. والنبىُّ والصحابةُ والتابعون لم يُطلِقُوا لفظ **الذات** لله نفسه. ولا يعرفُ نفسَ اللهِ إلا اللهُ وحده، لذلك وجب علينا عدم الكلام فيه إلا بكلامه هو عن نفسه

لفظاً ومعنىً. ولأن لفظة (الذات) ليست لها مرجعية من لغةٍ أو شرعٍ فى الدلالة على اللهِ نفسِه تُقابلنا الآنَ مشكلةٌ فى إثباتِ أنَّ اللهَ معنا (بذاته)، مع أن هذه المشكلة لم يُقابَل بها من قالوا أنَّ اللهَ فوق العرشِ (بذاته) !. والذين يُشيرون إلى حقيقة الله بكلمة **ذات** الله استدرجتهم الكلمة إلى مفهوم الكيانِ المتحيّزِ فى جهةٍ دون جهةٍ ومكانٍ دون مكانٍ، وغرّتهم بالقول بالصفات الذاتية وغير الذاتية، ففرقوا بين الله وصفاته فى القرب مع أنَّ لِلَّهِ وُجودًا واحدًا وَاسِعًا لطيفًا له صفاتُه مثل القوة والرحمة.. إلخ، وجَعَلوا العرشَ حدّا فاصلا بين اللهِ وبين خلقه رغم اتساع العرش لكل الخلق من الماء إلى السماء، والله معه وفوقه على سواء، وهذا من معانى الاستواء.[1] وكلمة **ذات** إما أن تعنى فى اللغة صاحبة، مثل: أسماء ذات النطاقين أى: صاحبة النطاقين، وبهذا المعنى جاءت بها الآياتُ فى القرآنِ الكريم وهى على سبيل الحصر كما يلى :

ورة ال عمران - اية ١١٩	سورة هود - آية ٥	سورة فاطر - آية ٣٨	سورة التغابن - اية ٤
ورة آل عمران - آية ١٥٤	سورة الكهف - آية ١٧	سورة الزمر - آية ٧	سورة الملك - آية ١٣
سورة النساء - آية ٢٥	سورة الكهف - آية ١٨	سورة الشورى - آية ٢٤	سورة البروج - آية ١
سورة المائدة - آية ٧	سورة الحج - آية ٢	سورة الذاريات - آية ٧	سورة البروج - آية ٥
سورة الأنفال - آية ١	سورة المؤمنون - آية ٥٠	سورة القمر - آية ١٣	سورة الطارق - آية ١١
سورة الأنفال - آية ٧	سورة النمل - آية ٦٠	سورة الرحمن - آية ١١	سورة الطارق - آية ١٢
سورة الأنفال - آية ٤٣	سورة لقمان - آية ٢٣	سورة الحديد - آية ٦	سورة الفجر - آية ٧
			سورة المسد - آية ٣

وكلها تعنى صاحبة. وإما أن تأتى كلمة (ذات) للإشارة إلى **جسم** الشيء كما استعارها المتكلمون على غير أساسٍ من لغةِ العرب !.

واستخدام الناس كلمة **ذات** التى تعنى **صاحبة** أو كلمة **ذات** التى استعاروها ليُشيروا بها إلى **أجسامهم** للإشارة إلى (حقيقة الله) هو استخدام من عند الناس لم يأت فى القرآن والسنة، ولم يقل به الصحابة، وتسبب فى أخطاء مُرَكّبة وذهب بالناس المذاهب وفرّقهم فِرَقاً بسبب انصراف الذهن معه قَسْرًا إلى الأجسام والكيانات المادية المتحيزة ذات الأبعاد والجهات، والمرَكَّبَة من الأعضاء. والله تعالى منزهٌ عن الذاتِ بهذا المعنى. راجع فتح الباري لابن حجر ج : 13

[1] فالشمس تغرب تسجد تحت العرش، ويسجد النبى تحته فى أرض المحشر بين يدى ربه عزّ وجلّ، وما يثبت لله فى الآخرة يثبت له الآن.

وكما فى الحديث الشريف :

" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: اشْتَكَى عَلِيًّا النَّاسُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ لا تَشْكُوا عَلِيًّا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأُخَيْشِنٌ فِي **ذَاتِ اللَّهِ** أَوْ فِي **سَبِيلِ اللَّهِ** " رواه أحمد فى مسند المكثرين.

فكما هو ثابتٌ فى هذا الحديثِ أن ذاتَ اللهِ كلمةٌ مرادِفةٌ لسبيلِ اللهِ.. وسارَ الصحابةُ والتابعون على هذا المعنى لكلمة(ذاتِ الله) دون أدنى انحرافٍ أو تحريفٍ، بدليل ما رواه الدارمى فى المقدمة بقوله (قَالَ أَبوالدَّرْدَاءِ : لا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلا تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلاً، وَكَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لا تَزَالَ مُخَاصِمًا، وَكَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لا تَزَالَ مُمَارِيًا، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا أَنْ لا تَزَالَ مُحَدِّثًا فِي غَيْرِ **ذَاتِ اللَّهِ**).اهـ يُرِيدُ أبو الدرداء أن تكون مُخلِصًا للهِ فيكون حديثك فى سبيل الله أى ابتغاء مرضاته، وليس المعنى أنه يريد منك أن تداوم الكلام فى نفس الله وحقيقته وكيفيته. ويقول الشيخ محمد أمين الكردى الشافعى (ويجبُ للهِ القيامُ **بنفسِه**، فهو الغنى عن **ذاتٍ** يقومُ بها وعن مُوجدٍ يُوجدُه، ويستحيلُ عليه الإفتقار إلى أيٍّ منهما، ويجب له الوحدانية فى نفسه وصفاته وأفعاله ويستحيل عليه التعدد) أ.هـ [1]

وبعد كتابتى له عدة مرات ثم مقابلتى له بالجامع الأزهر الشريف، جاء رد فضيلة مفتى الديار المصرية على كتابى هذا " إن الله معنا حقا " بما كتبه فضيلته فيما يلى: (ويؤمن المسلم بالمطلق، لأنه آمن بأن الله لا نهائى ولا محدود، والإيمان باللانهائى واللامحدود أتى من إيمانه بأسمائه وصفاته، فأسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن والسّنّة تمثل الهيكل التربوى للمسلم، قال **سبحانه وتعالى** " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " الأعراف:180)إنتهى.[2]

وسنبين – بإذن الله – منشأ الخطأ وسبب ترسخيه فى الأذهان عندما نتناول رأى ابن تيمية فى لفظة " الذات "، كما سيأتى.

---

[1] كتاب هداية الطالبين لأحكام الدين على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ص4 مطبعة السعادة. مصر1385هجرية.
[2] كتاب: البيان لما يشغل الأذهان ص22 - أ. د / على جمعة

اللهُ عَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها :

قال عزّ وجلّ

{ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(33) } البقرة

هذا العلم الضرورى هو معرفتنا للمُسَمَّيَاتِ بأسمائها الحقيقية، مثل معنى القُرْبِ ومعنى البُعدِ، ومعنى الواسع ومعنى المحدود، ومعنى السماء، ومعنى نفس الشيء وعينه....، ومعنى التصديق ومعنى التكذيب، ومعنى الإيمان ومعنى الإلحاد...، وأسماء كل شيء. وهذه المعرفة الضرورية بهذه التعريفات لازمة بالضرورة لاستقامة الفهم ولصحة الأخذ عن الله عزّ وجلّ وعن رسوله **صلى الله عليه وسلم**. أما إذا اختلت هذه المعرفة وسمينا الأشياءَ بغير أسمائها، كأن نسمى البُعدَ قُربًا، والعِلْمَ حُضُورًا، والنفسَ ذاتا، والتكذيب تأويلا، والسماء عُلُوًّا خارجًا عن أقطار السماوات السبع والعرش العظيم، وكلامَ الناسِ دِينًا، وهكذا....، هنا تختل الموازين للفهم والكلام، وتضيع الحقائقُ وَسَطَ الأباطيل، فتنتكس الفطرة السليمة التى فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها. من هنا كان لِزامًا علينا أن نصل إلى تعريفات القرآن والسنة للأشياء، ونتحرَّى وَجْهَ الدِّقَّةِ فى كلِّ شيء.. ما هو المكان وما هو الزمان، ما هو الوجود وما هو العدم، ما هو القرب وما هو البعد ؟ وما هو الوجودُ الواجبُ للهِ المفروض علينا الإيمان به ؟ وهل الواسع والقريب جاءَا للهِ نفسِه أم لعِلْمِهِ فقط ؟ وهل اللهُ نزّهَ نفسَه عن الوجودِ معنا بنفسه ؟!، وهل......،.....

كل ذلك وغيره نعرض له بإيجاز :

أما أهل المجاز والتفسير فيقولون أن الاتساع والقرب ينصرفان إلى العلم والرحمة وبقية الصفات لا إلى (الذات)، وبالتالى تعطل عندهم قرب الله نفسه واتساع نفسه !.. ووجاهة هذا التعطيل فى رأيهم هو الحفاظ على (التنزيه).. فلما نسألهم عمَّنْ نزَّهَ اللهَ عن وُجودِهِ وقربه معنا بنفسه واتساعه المطلق، يقولون: العقلاء قام عندهم فى عقولهم

الدليل (العقلى) على اســتحالة أن يكونَ اللهَ معَنَا بـــــ (ذاته). لكن هذا الدليل هو فى الحقيقة دليل عجز العقل عن تصـــور كيفية وجود الله نفســـه معنا ومع كل شـــيء. وبســبب هذا العجز يهربون من إثبات حق الله الثابت له شــرعا بدعوى كاذبةٍ سَــمَّوْهَا تنزيهًا !. وفاتهم فى ذلك الإجابة على سؤال مبدئى : كيف يُسمَحُ للعقل بأن يُنزِّهِ ما لا يُدرِك ؟!، إنه ليس تنزيهًا، إنه – كما علمنا اللهُ الأسماءَ كلها – تعطيلٌ وإبطالٌ وكتمانٌ وتكذيبٌ لصــريح كلام اللهِ ورســولِه فى قرب الله واتســاعه، حيث يعود الكلام على الله نفسه.

فكيف يمكن لنا ان نتصـــور حال أمة لا ترضـــى أن يكون الله القوى العليم معها، ولا هى تعمل لتكون القوة المادية والعلمية معها ؟!!

- **موقف ابن تيمية من لفظة "الذات" واستعمالاتها:**

فى كتاب مجموع فتاوى شـــيخ الإســـلام ابن تيمية – دارالعربية ط – بيروت – لبنان سنة1398هـ فى الجزء 6 ص341، وفى الجزء 3 ص334، يقول ابن تيميه :

{ وأما لفظ " الذات " فإنها فى اللغة تأنيث ذو، وهذا اللفظ يستعمل مضـافاً إلى أسماء الأجناس، يتوصلون به إلى الوصف بذلك. فيقال : شخص ذو علم وذو مال وشرف، ويعنى حقيقته " نفســه "، أو عين أو نفس ذات علم وقدرة وسلطان ونحو ذلك.... إلى أن قال: فلما وجدوا الله قال فى القرآن (ويحذركم الله نفســـه) و(كتب على نفســـه الرحمة) وصفوها – أى نفس الله – فقالوا : نفسٌ ذاتُ علم وقدرة ورحمة ومشيئة ونحو ذلك، ثم حذفوا الموصــوف وعرَّفوا الصــفة فقالوا " الذات "، وهى كلمة مُولَّدَة ؛ ليســت قديمة، وقد وُجِدَت فى كلام النبى صـلى الله عليه وسـلم والصـحابة، لكن بمعنىً آخرَ كما فى الصـحيح عن النبى صـلى الله عليه وسـلم " لم يكذب إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات، كلهن فى ذات الله " أى لأَجْل الله وابتغاء مرضـــــاته ؛ وليس المراد بذلك "النفس". ثم أطلقه المتكلمون وغيرهم على " النفس "، فإذا قالوا " الذات " فقد قالوا التى لها الصفات }. ثم قال { فإن كان هذا اللفظ أو نظيره ثابتاً عن النبى صـــــلى الله عليه وســـلم

وأصـــــحابه، فقد وُجِدَ فى كلامهم اطلاق اســـــم " الذات " على " النفس " كما يطلقه المتأخرون }. (!!) اهـ

فانظر أيها القارئ الكريم : كيف نفى ابن تيمية وجود لفظ "**الذات**" بمعنى النفس عند النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم أثبته لهم !!

لكن لفظ " الذات " لم يكن هذا هو طريق ولادته، فلو جاء ليحل محل " النفس " لاحتاج هو بالتالى إلى كلمة " ذات " أخرى بعده لنقول (الذات ذات الصفات) بدلا من قولنا (النفس ذات الصــــفات) !.. وهذه خربطة لغوية لا محل لها فى لغة العرب الفصحاء، وهى لم تأت للنفس قط على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلا وجاهة من الناحية الشرعية، ولا من الناحية اللغوية، ولا من أى ناحية أخرى، للقول بما قاله ابن تيمية بقبول هذة اللفظة. والأدهى والأمَرّ، هو محاولته تأصـيلها فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة بعد أن أقر بنفسه بعدم وجود أصل لها عندهم !!، ثم إقراره بأنها من " كلام المتكلمين " وأنه يبغضـــــهم، فلماذا اتبعهم ابن تيمية فى لفظة " الذات " التى اختلقوها، وهو المشهور بحصافته ودقته وعلمه الغزير ؟ خاصة وأنه قد علم أن اللفظة جاءت فى أقدس ما عند المسلم من عقيدة، فى الله نفســه وفى كيفية ومكان وجوده !، لماذا برر لهم ذلك وحاول أن يؤصل لها فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد أن أقر بعدم وجودها ؟ لماذا تلقفها من المتكلمين وبنى عليها مذهبه ؟ شـــــيء محير فعلا، إنها آلت به إلى فعل الكثير مما عابه عليهم !، لأن عقيدة الإســـــلام فى الله بعيدا عن هذه اللفظة " الذات "، لا تعرف حدودا لله، ولا تعترف بغياب الله نفسه من أى جهة أو مكان. وبالتالى تثمر العقيدة لدى المسلم أنسًا بالله، وتثمر فى القلوب مراقبة حية دافئة قريبة شــــاملة متصـــــلة، وتثمر توكلا حقيقيا نافعا، وتقضـــــى على الغفلة المميتة التى تلتقم قلب الإنســــان التائه المتبلد الكســـول، وتخفف من وحشية الإنسان وشهوانيته وإجرامه، لأنه سيستحى من الله الذى معه.

ومن المغـالطـة الممقوتـة هنـا ربط البعض لعلم التوحيـد، ومعنى التوحيـد، ومفهوم التوحيد، بمفهوم الذات البعيدة !! مال التوحيد ومال " الذات " ؟ التوحيد هو الاعتقاد

فى أن (الله) أين ما كان هو خالق كل شــيء، وهو الفعال لما يريد، وأن كل شــيء بقضــائه وتقديره، وأنه هو النافع الضــار.... إلى آخر أســمائه وأفعاله الثابتة. ونحن ممنوعون شـرعا من التفكر فيه نفسـه، فكيف نجعل التفكر فيه نفسـه، والتفصـيل فيه نفســه حتى القول بإبعاده!، كيف نجعل ذلك علما أو عملا نعبد الله به؟! كيف نجعل هذا من التوحيد ونحن نعصى به الله ورسوله ؟!!

وبينما نجد أن النبى صـلى الله عليه وسـلم يفسـر أسـماء الله الحسـنى الأول والأخر والظاهر والباطن والواســـع والقريب والمتعال والمجيد والكبير..، بالدلالة على هذا الاتساع المطلق لله نفساً وصفاتٍ وأفعالاً، نجد ابن تيمية لا يثبت وجودًا لله نفسه إلاّ فوق العرش، وفى الجزء الخامس ص141 نجد من يقول: (سـبحان من بَعُدَ فلا يُرَى) !!، رغم أنه صـح عنده قرب الله نفسـه حقيقة مع عباده حيث يقول فى الجزء الخامس ص466 (وأما دنوه نفســه وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسـه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واسـتواءه على عرشـه، هذا هو مذهب أئمة السلف وأئمة الإسـلام المشـهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر. وأول من أنكر هذا فى الإســـلام الجهمية وبعض المعتزلة، فالذين قالوا أن الله كلم موســـى بمشـيئته وقدرته كلاما قائما بنفسـه، هم الذين يقولون أنه يدنو ويقرب من عباده بنفسـه ". أهـ وهنا نسأل ابن تيمية ومن معه : وأين أنتم من هؤلاء ومن هؤلاء ؟ ألم تشهدوا لمثبتي القرب الحقيقى بأنهم هم أئمة السـلف وأئمة الإسـلام وأهل الحديث ؟ ألم تشـهدوا بأن "الذات" هى النفس ؟ أليس قرب الله بنفسه يعنى قربه بذاته ؟ وما الفرق بين القرب العام الدائم والقرب الخاص المؤقت ؟ إننا الآن بصـــدد إثبات إمكانية قرب الله بنفســه معنا فى الأرض ولو لمرة واحدة، فلو ثبت مرة واحدة فقد ثبت مطلقا، فاتساع الله نفسه ثابت هنا وهناك دائما، هو معنا حقا ومع غيرنا حقا، لكنه يفعل ماذا ويفعل متى وكيف ولمن ومع من وبمن، فهذه أفعاله الاختيارية – ولا شـيء يجبره – كما نقلتم أنتم عن السـلف آنفا، وهى دلائل وجود الله بنفسـه مع كل شـيء.. فلله فى كل شـيء أفعال وآيات لا تقل عن تكليمه لموسى عليه السلام، لكن أين موسى ليسمع ربه فيها ؟، وهذا

شـأن الله كل يوم، يرفع أقواما ويضـع آخرين.. ولا يشـغله شـأنه فى شـيء ما عن شـأنه فى شيء آخر.

ومع أن ابن تيمية نهى عن التعصـب لفرقة أو طائفة أو شـيخ أو راية أو شـارة، كما جاء فى الجزء 3 ص343، إلا أنه لا يتسـامح مع من لا يؤمنون ببُعدِ (الذات)، بل يكفرهم ويهجرهم ويحرمهم من الجنـة !! إذن فليقل لنـا أين نجد الآيـة (الله ليس معنـا بذاته) ؟! أين نقرأها فى كتاب الله أو فى كلام الأنبياء – صلاة الله عليهم وسلامه – لفظا أو معنىً، وقد أقر الجميع بأن الكلام فى الله توقيفى – أى : موقوف مقصـور على الله ورسـله ؟!!.. وأى عقل هذا الذى يُسَـلم بوجود الله نفسـه مع مخلوق دون مخلوق، وقد علمنا أنه يرزقهم جميعا فى وقت واحد وسـوف يحاسـبهم جميعا فى وقت واحد ؟!

الباب الثانى

الدلائل (الكِنايات) الكريمة
والأسماء الحُسنَى

أولا: دلائل الوجود الحقيقى الكامل الواسع :

الوجه واليد والقبضة والأصابع والعين والقدم والساق....

وهى دَلائِلٌ وكِنَايَاتٌ يُخبرُنا اللهُ عزّ وجلّ بها عن وجودِه نفسِـه معنا. ولأنَّ هذه الدلائلُ هى من (الذات) – على لُغَةِ من يقولون بالذات – فكيف يُبعِدون (الذات) عنا وقلوبُ العبادِ الذين فى الأرض بين أصـابعه يُقَلِّبُها كيف يشـاء ؟!، لا يجوز لمن يتباكى لإثبات اليد واليدين والأيدى والأصابع لله أن يتغاضى عن إثبات وجودِ اللهِ نفسِه معنا – فهذا هو ذاك – لأن ذكرها فى القرآن والسـنة يأتى من باب **الكِنايةِ الحقيقيةِ** عن وجود الله نفسِه الذى ليس كمثله شيء. فثبوت هذا القرب لأصابع الرحمن من قلوبنا يُوجِبُ علينا شرعًا الإيمان بقربِ اللهِ نفسِه معنا على الحقيقة وليس الخيال. وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين الذى لم يجدوا معه حاجةً للسؤالِ عن الكيفية، فهى كلماتُ القرآنِ والسُّـنة فى الدلالةِ على هذا القرب الحقيقىّ دون حاجةٍ لمعرفة الكيفية. وجاء ذكرها فى القرآن والسنة دائما فى مقام إثبات قرب الله وليس فى مقام وصفه ؛ فعندما سأل المشركون رسولَ الله محمدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن **(يَصِفَ)** لهم **(اللهَ)** بـ **(صفات الله)** نزلت سورة الإخلاص بصفاته { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) }

ولم يذكر أن (الكنايات بالوجه والعين..) صفات كوصف جسم مُرَكَّب!، بل إنَّ أيًّا منها يعنى الله نفسه. وكلام الناس فيها على الوصف يعطل وصول حقيقة قرب الله إلى قلوبهم. ولا يصح تأويلها بالقدرة والعناية لأنه يجعل اللهَ صفاتٍ فى صفاتٍ، ولأنه سيبقى البحث عن الله نفسه قائما. وللعلماء بحث موجز ومفيد انتهوا فيه لوجوب اتباع السلف الأول فى الابتعاد عن التشبيه والتجسيم والتعطيل خلاصته فى قولهم (ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع، حَسمًا – أىْ: مَنعًا – لمادة التأويل والتعطيل، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تعدل به بديلا... والسلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف عليه كجوارح وأعضاء عند

الخلق، وهو تأويل في الجملة، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصـــطدم بالأصـــول الشــرعية غير جائز، فانحصــر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشــرع، وهو هين، وهو أمر لجأ إليه بعض الســـلف أنفســـهم، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن هو توحيد الصف وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، والله حسبنا ونعم الوكيل).انتهى ومن النصوص الشرعية أن الله معنا أين ما كنا، فلا يجوز القول بتأويل يصطدم معه على أى نحو. ومن النصوص الشرعية أن الله الواسع ليس كمثله شـــيء، فلا يصـــح أن نفهم هذه الكنايات على أنها أعضـــاء محدودة مركبة وجوارح متباينة قياسًـا على صـورة الإنسـان أو غيره من المخلوقات، لما فى ذلك من تشـبيه. ومن المغـالطـة أن يقول أحـد النـاس بـأن الوجـه واليـد والعين... إلخ كلمـات معلومـة المعنى فى اللغة، والله يخاطبنا بما نفهم، والإعراض عن فهمها بشـــكلها ورســـمها إعراض عن إثبات ما أثبته الله لنفســـه، وإعراض عن ذكرها !.. فقوله مردود عليه بأن إثباتها يكون بإثبات وجود الله نفسه، وذكرها يكون بذكر الله نفسه.

وقد يرى النائمُ ربَّه – **رَمْزِيّا** – يضـعُ **يَدَه** بين كتفيه ؛ فقد روى الترمذى فى سُننه فى باب تفسير القرآن (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى قُلْتُ رَبِّ لا أَدْرِي فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ * وللحديث بقية. قَالَ أَبو عِيسَـــى هَذَا حَدِيثٌ حَسَـــنٌ، وقَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ عَنِ النَّبِيِّ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** بِطُولِهِ وَقَالَ إِنِّي نَعَسْـتُ فَاسْـتَثْقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَـنِ صُـورَةٍ فَقَالَ فِيمَ يَخْتَصِـمُ الْمَلأُ الأَعْلَى).**رقم الحديث3158**

ولما كانت رؤيا منامية كانت الصـــورة رمزية. وفى الرؤيا الصـــادقة تكون النفس فى معية ربها وهو مُمْسِـكٌ بها، وتكون أكثرَ شـفافية وأكثرَ اتسـاعا عبر الزمان والمكان، وقد يشـاء الله لها أن تراه فى صـورة تأنس لها وبها فيُكلمُها ويُعلمها ويَضـحَكُ لها، أو

يُعاتبُها ويُحاسبُها، فيتجلى لها (رمزيا). كما قال النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُـــورَتِهِ " **رواه مســـلم فى البر والصلة**. فهو يتكلم عن (صـورةٍ)، والصـورة لا يلزم أن تكون (مِثْلَ) الأصـل ؛ ألا ترَى جبريلَ يظهر فى (صـورةٍ) آدَمِيَّةٍ مع أنه فى (الأصـل) من نورٍ وله من الأجنحةِ ما له ؟! ولا قياس هنا على نور الله، إنما هو مثلٌ نضـــربه لعلةِ عدم لزوم مِثليةِ الصــــورةِ الرمزيةِ لأصلِها، بل هو التمثل كما فى قوله عز وجل (فتَمَثَّل لَهَا بَشَرا سَوِيًّا)**17مريم**.، وهى الرمزية كما فى رؤيا النبىّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للهِ عز وجل.

وعندما يتكلم الأنبياء لأقوامهم عن هذه (الصـورة الرمزية) يقع البعض فى فتنة التشـبيه والتجسيم ويقول بــــ(الذاتِ) المستقرةِ المختصّـةِ بجهةٍ، أو يقول أن الله هو (الأصـل) ونحن البشـر (صُـورته) كظهور صـورتنا فى المرآة وينسـون أن (**الله** نفسـه) ليس كمثله شيءٌ على الإطلاق. إن الذى يتمسك بـ(ذاتٍ) للهِ من أعضاءٍ عليه من بابِ أوْلَى أن يتمسَّكَ بهذه الصُّورةِ البشريةِ لجبريلَ ويجعلها (هَيْئَةً) حقيقية له !. ولا معنى هنا لقولهم إن اللهَ ليس كجبريل، لأننا هنا لسنا بصَدَدِ تشبيهٍ، ولكِننا بصدَدِ استعراض قُدُرَاتٍ، فالله أَقْدَرُ على فعل ما يشـــاء من قدرةِ جبريلَ على فعل ما يشـــاء. ومع ذلك ما زال انعدام المثليَّةِ قائمًا حيث أنَّ صـورة جبريل البشـرية أدركتها الأبصـار ولكنَّ صـورةَ اللهِ الرمزية رآها النَّبىُّ مَنَامًا بقلبه. وحقيقة أن (الله ليس كمثله شـــيء) قد يســـتغلها البعضُ أسْـــوأَ اســـتغلالٍ إذ يتذرَّع بها لتعطيلِ حقّ الله عزّ وجلّ فى الوجودِ الواســـع. بل وعلى من يتمســـك بالصـــورة الرمزية لله عزّ وجلّ ويجعلها هيئة محدِّدَةً له ســبحانه وتعالى، أن يتمسك بالسَّبْعِ بقراتٍ صـورةً حقيقيةً للسَّبْعِ سَنواتٍ فى الرُّؤيا التى عبَّرَها يوسف عليه السـلام !، حيث جاء الرمز بالبقراتِ لأنَّ السَّـنواتِ لا هيئةَ لهَا. واللهُ نورٌ غيرُ محدودٍ، مُنَزَّهٌ عن الهَيْئةِ المحدَّدَة، فيَرمُزُ لنفسِـــه بأكرَمِ مخلوقٍ يَعْرِفهُ الإنســـانُ – أىْ بصــــورةِ الإنسانِ – حيث اتسعَ ما بين كتفى النبىّ ليد اللهِ !!..[1]

---

[1] راجع (الصورة)- كتاب فتح البارى لابن حجر ج/13ص/361 باب24

من هنا نفهم معنى أن الإنسـان صـورة لله، بمعنى أنه من تصـويره، خَلَقَهُ بأفعاله التى لا تفتر فيه ومن قرب لا ينقطع. ومن هنا كانت اللعنة على من يهدم بنيان الله بين يديه إلا بالحق، جاءت اللعنة على القاتل لبشـــاعة الجريمة وجرأة القاتل على الله وفى حضرته !.

انظر – فهّمنى الله وإياك – إذا ذكِرَ " اللهُ " أو أىُّ اسمٍ آخر من أسمائه الحسنى، أو وجهُهُ أو يدُه أو أصـــابعُه أو عينُه أو قبضـــتُه أو يمينُه أو قدمُه – بما يشـــتبه على البعض أنها أعضاء – أو ضميرٌ يعودُ من سياقِ الكلامِ على اللهِ فاعلم يقينًا أنها كنايةٌ عن وجودِ اللهِ نفسِه نورِ السماواتِ والأرضِ، ولا يجوز أن تُؤوَّل إلى صفاته بمعزلٍ عن نفسِـــه ؛ بل إنّ صـــفاتِه جاءت صـــريحة فى أســـماءٍ بعينها كما نقرؤها فى الأســـماء الحســـــنى – مثل الرحيم والعليم والحكيم والواســـــع والقريب والمتعال... إلخ، ومن لم ينتبهوا إلى ذلك عطلوا وجودَ اللهِ نفسِــــه وتاهوا فيه ؛ فمنهم من حددهُ فوقِ العرشِ، ومنهم من قال لا أدْرِى، ومنهم من قال لا داخل العالم ولا خارجه !. بل الحقّ أن وُجُودَه واســعٌ حقيقىٌّ مع كل شــيءٍ وفوقه، ولكن ليس كمثله شــيء. قال عز وجل : (كل شيء هالك إلا وجهه)**88سورة القصص** فلو كانت الكِنايات الكريمة تختلف عن (وجهه) لهلكت مع الهالكين، وهذا محال.

وكما فى قوله عز وجل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (27)} سورة الرحمن

فمن هو المقصـود بالإسـم (ذو الجلال والإكرام) – وهو من أسـماء **الله** الحسـنى–، الوَجْهُ ؟ أم **الرب**ُّ ؟.. كما هو ثابت فى الآية الكريمة جاءت (ذو) بالرفع عائدة على كلمة (وجه) المرفوعة على الفاعلية، دل ذلك على أن **الوجهَ هو اللهُ هو الربُّ هو ذو الجلال والإكرام**.. قاله الإمام القرطبى فى تفسير سورة الرحمن كما يلى:

("ويبقى وجه ربك " أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده ذاته– نفســـه– عزّ وجلّ، ثم قال رحمه الله: وهذا هو الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورَك وأبو المعالي وغيرهم، وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه "**الله**") اهـــ. فلو كان هناك حقا من يرجو اتباع النبى وأصـــحابه لاكتفى بقول ابن عباس بأن وجه الله هو الله، لكن ماذا نفعل

مع من تركه وشــرع يتســول المفاهيم من غيرهم !! وإن لم تثبت هذه الكنايات الكريمة الوجود الحقيقى لله نفســـه فماذا غيرها يمكن أن يثبته ؟ وهل يمكن أن تأتى إلا لهذا الإثبات ؟! فإنه لا يجوز قياس الله **تعالى** على أى شــــيء غيره يســـتوى أو ينزل أو يضحك، لا يجوز لنا القياس فى ذلك. إن استواء الله إلى السماء وعلى العرش لا يعنى أنه يغادر مكانا ليوجد فى مكان آخر، إنهم بذلك شبهوه بطائر متحيز أو كائن متنقل. ولو جاز الاحتكام إلى اللغة فى معنى الاستواء بأنه العلو والاستقرار، لجاز الاحتكام إليها فى النزول بأنه هبوط وانحدار، ولجاز الاحتكام إليها فى الضـــحك بأنه انفراج أسارير الوجه مع القهقهة وظهور الأسنان. إنها جميعها كيفيات مستفادة من شَكْلِ وهيئةِ الإنسَانِ، فلماذا يقيسون فى شــيءٍ منها دون شــيءٍ ؟!. والنهى عن القياسِ لا يعنى نفْىَ الوجودِ الحقيقيّ، فهذا شــيءٌ وذاك شــيءٌ آخرٌ. فالوجود الحقيقى قد ثبت لله عزّ وجلّ بأسـمائه الحسـنى وصـفاته العُلى بالنص لا بالقياس، نقول قد ثبت بالنص على وجود(ما يدل عليه نفســه) معنا، نثبتها بثبوتها فى القرآن والســنة ولا نخوض فيها، فهى دلائلٌ تؤكِّدُ لنا على وجودِ اللهِ نفسِه عزّ وجلّ معنا – لأنها هو كما قال ابن عباس – فيذكرُ اللهُ منها ما يناسبُ سياقَ الكلامَ مثل قولِه عز وجل:

{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(10)} سورة الفتح

إذ المبايعة بالأيدِى فقال: " **يَدُ اللهِ فوقَ أيْدِيهِم** " ونفهمها كما قال ابن كثير: (أي هو **حاضرٌ** معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو عز وجل هو المُبايَعُ بواسِطَةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أ.هـ

وإتمامًا للفائدةِ نذكرُ فوائِدَ مُستفَادَةً من الآيةِ الكريمةِ :

ا. أثبت الله عز وجل حصول البيعة لرسوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم**َ من المبايعين بقوله عز وجل: { يبايعونك } فهذا هو المُدرَك بالأبصار، ولكن هذه البيعة تمت فى الحقيقة لله نفســه، أخذها عزّ وجلّ من المبايعين يدًا بيدٍ من وراءِ حجابِ النورِ الفاصلِ البائنِ بين اللهِ وبين خلقِه وهو نوعيٌّ وليس مكاني، فلا يُبعده عن خلقه.

ب. ولكى لا يظن أحدٌ أنَّ أسـلوبَ الآيةِ الكريمةِ جاءَ فى مجازٍ غيرِ حقيقيٍّ بالنسـبةِ لتمامِ البيعةِ للهِ نفسِه، جاء السياقُ بتأكيدِ قربِ اللهِ بنفسِه كما يلى:

-. {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ } وهو أسلوبُ حَصْرٍ وقصْرٍ، فإن كانت البيعة تمت لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهريا أمام أعين الناس، فالحقيقة أنها تمت لله يدًا بيدٍ من وراءِ حجابٍ، حيثُ :

-.{ يدُ اللهِ فوقَ أيديهِم } مباشرةً وهو معهم أين ما كانوا، أقرب إليهم من حبل الوريد، هو – عزّ وجلّ – بينهم وبين رؤوس رحالهم، ولكن لا تدركه الأبصار. و:

-.{ عاهدَ عليهُ اللَّهَ } يؤكد السياق مرة أخرى أن البيعة للهِ نفسِه والعهدَ للهِ نفسِه، فقد وقع الأمرُ على ذلك ولو كانت الأبصارُ لا تدركهُ والعقول لا تتصوَّرُه. ومثل ذلك يُقال فى قوله عز وجل : (وَلِتُصْـنَعَ عَلَى عَيْنِى) **طه39** وقوله عز وجل: (فإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)**الطور 48**

وحضـورُ اللهِ الكاملُ معنا هو سرُّ وحدانيَّةِ الضـميرِ العائدِ على اللهِ ورسـولِه فى آياتٍ قرآنيةٍ، حيث لا اتحادٍ ولا حلولٍ، مثل قوله عز وجل {وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ}التوبة62 وقوله { وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُـولُهُ مِن فَضْـلِهِ }التوبة74 وقوله { لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَـبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِـيلا } الفتح:9، فبعض المفسرين يرون أن الضمائر فى الآية تعود على الله، وبعضهم يرون بعض الكلام راجعاً إلى الله عزّ وجلّ وهو (وتسـبحوه) من غير خلاف، وبعضـه راجعاً إلى رسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو (وتعزروه وتوقروه) أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية، كما فى تفسير القرطبى، وكما جاء فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير (قال ابن عباس رضـي الله عنهما وغير واحد: تعظموه "وتوقروه" من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام "وتسبحوه" أي تسبحون الله "بكرة وأصيلاً" أي أول النهار وآخره. ثم قال عز وجل لرسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً: " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله " كقوله جل وعلا: " من يُطِع الرسولَ فقد أطاع الله "، " يَدُ اللهِ فوق أيديهم " أي هو حاضـرٌ معهم يسـمع أقوالهم ويرى

مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو عزّ وجلّ هو المبايع بواسطة رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.) اهـــــ. ومثله ما جاء فى سورة النجم فى معية الله لجبريل وللنبى **عليهما السلام** ليلة الإسراء والمعراج، إذ يرى الحسن أن الضمير فى " عَلّمَه شديدُ القُوَى" يعود على الله عزّ وجلّ، ويرى غيره أنه يعود على جبريل **عليه السلام**

وجاء القرآن ومعه السّنة بالعين مفردة وبالجمع، وجاء باليد مفردة ومثناه وبالجمع، وبالقدم وبالساق مفردتين، وبالأصابع إفرادا وتثنية وجمعا، وبالكف والقبضة. ومطلوب من المسلم أن يؤمن بكل ذلك على أنه دلائل وجود ومعية وقرب لله نفسه مع جميع خلقه، لا أن يتساءل عن عددها وكيفيتها بأسئلة تفوح منها رائحة التشبيه تارة أو التعطيل تارة أخرى !. (وفي العقيدة : مذهبُ التوحيد وسط بين التعطيل والتشبيه..)سعيد النورسي/الإعجاز. وليس للمؤمن أن يجعلها أعضاءً ولا صفات. وفى الحديث الشريف : (الحجر الأسود يمين الله) أى : معه وعنده الله.. معه الله يرى من يستلمه ويُقبله ويشير إليه. وجاء الرمز مناسبا للسياق. ولزم التأويل لوجود نص " لا تدركه الأبصار"، ولأن الحجر الأسود جماد مخلوق ومحدود وندركه بأبصارنا. (فتح البارى – ج3 ص463).

ثانيا: وِلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا، ومنها :

1. **النُّورُ** : الإسم والصفة والحقيقة : قال الله عز وجل:

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} 35سورة النور

(النور) صفة لحقيقة الله عز وجل، ويصح أن يكون الله نفسه **(النور البديع)** الذى ليس كمثله نور ؛ لأن الله أحدٌ وليس عدَمَا. ولأنه إذا تأولنا **(نور** السماوات والأرض) بالصفة لأن (نور) جاءت مضافة، فاسمه **(النور)** مُطلق. بل جاء الحديث الشريف بهما معا **(النُّورُ الْمُنِيرُ)** (سبُّوح) بما يعنى إثبات النور لنفسه وصفته، فإذا عرّفنا

بنفسه نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، وهو الأبَدُ الدهر الواحد الواسع، وهذا كلُّه يُؤيِّدُ (**النُّور**َ) ليكونَ حقيقةَ اللهِ. ووجودُ هذا الإســـم للنور المخلوق لا يعنى التشابه بين الخالق والمخلوق، بل الكثير من الأسماء الحسنى يسمى به المخلوق مثل المَلِك والمالِك ولا تشابه. وتوجد نصوص كثيرة لا وجه للتخصيص فيها وأشهرها الآية أعلاه من سورة النور، وكما جاء فى السنة الصحيحة مثل قول النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا قام من الليل يتهجد (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن وأنت قيّوم السماوات والأرض ومن فيهن)، وقوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عندما سُئل: هل رأيت ربك؟ فقال: (رأيت نورًا) و (نورٌ أنّى أراه). ولا مانع فى الشــرع من تجلى الله عز وجل لقلب المؤمن فى الحياة الدنيا مناما حيث النفس ترى بغير جارحة، أو كما يراه أهل الجنة. ورؤيا الأنبياء حق، والصحيح أن النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عُرج به يقظة وسبق ذلك رؤيا منامية، فلو أخبرنا بما حصل له فى أحدهما أو كلاهما صح ذلك وكفى، وفى الجنة يتصل القلب بالبصر فنرى اللهَ بنور الله. وعَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عُرِضَ لِي نَهْرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ قُلْتُ لِلْمَلَكِ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ قَالَ ثُمَّ ضَـــرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُورًا عَظِيمًا. قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَنَسٍ) رواه الترمذى، وكان النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يطلبه وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا وَمِنْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا ***رواه مسلم**. ومعنى أن يطلبه وينا له أنه قريب. وكذلك الصحابة كانوا يفعلون : عَنْ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّه عَنْه** أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى تَفَرَّقَا فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا ***رواه البخارى فى المناقب**. وأدركوا النور من تجلياتِه وانكشافِ الأشياءِ، ولكنَّ النورَ نفسَه لا تدركه الأبصار. ويَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ

مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَـــلَّ فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ * رواه الترمذى. ونواله بالتقوى.. ومن التقوى الإيمان بقربه. والإصابةُ والخطأُ هنا معناهُمَا هو أن حظ الناس من النور متفاوتٌ من فردٍ لآخر؛ لأنَّ اللهَ تعالى منزهٌ عن الخطأ ومنزهٌ عن التبعيض فهو لا يتفرَّقُ بين الناس، ويتضـــحُ ذلك من كلمة (اهتدى) فى الحديث، ومعناها حُسْـنُ الاسـتقبال عن الله، ولأن الفعلَ فعلُ اللهِ فى الحالتين ويتطلبُ وجودَه، فهو عزّ وجلّ القائلُ : " من يشـأ الله يُضـلله ومن يشـأ يجعله على صـراط مسـتقيم " **الأنعام39.** وهو القائلُ { وَمَن يَعْتَصِـم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِـــرَاطٍ مُّسْـــتَقِيمٍ }101آل عمران. فالحديث الشــريف يحثنا على الإيمان بالقدَر ويُوضِّـحُ وجهَ الإعجازِ فى أنَّ الإنسـانَ لا يُمكِنُهُ الخروجَ عمَّا قدّرَهُ اللهُ له مهما ظنَّ أنَّه مُخيّرٌ، فاللهُ آخذٌ بناصيتِهِ، وهذا يَحمِى الإنسـانَ من الافتتان بنفسِـه ويجعلُهُ دائِمَ الفرارِ إلى اللهِ. والهدايةُ ثمرةٌ لحُسْنِ استقبال الإنسانِ لهذا النورِ الواسعِ معه، فمن انتبه له ناله وتكلَّمَ فيه، أما من أنكره حُرِمَ، فماذا عســاه أن يقولَ فيه وهو محجوبٌ ؟!، **إنَّ الأعمَى لا يَرَى مَنْ مَعَه وذلك بسـببِ فقدانِه نورَ البصـر وليس بسـببِ عدم وجودِ مَنْ مَعَه،** كذلك : ومن لم يجعل الله لـه نورا فما لـه من نور. وهكذا ترى أن نور الله الذى هو حقيقته واسـع مع الجميع بلا اسـتثناء، أمّا نور الله بمعنى الصـفة والهداية فهو رزق للعباد يتفاوتون فيه حســـب ســـلامة قلوبهم فى الانتباه لوجود الله النور الفعال معها، ونَسَـــبَهُ اللهُ إليه لأنـه من فعله وتقديره، فالله هو النور الفعَّال ومنه نور الهدى رزق العباد. ومن يرى النورَ فى الزجاجة والمشــكاة وقد تلألأت به كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ كيف له أن يُنكرَ وجُودَ هذا النور فى الزجاجة ؟! أم كيف له أن يتكلم بالحلولِ والاتحادِ بين النّورِ والزجاجَة ؟ إن هذا النور هو الذى ضـربه الله مثلا (لنوره) أىْ (لنفسِـه)، لكنه لا يصـــدر عن نارٍ، بل لم تمسَـسْـهُ. والزجاجةُ والمشـكاةُ ضـربهما اللهُ مثلاً للسـماواتِ والأرضِ وجميعِ خلقهِ. فهو معهم وفوقهم بغير حَدٍّ من أولٍ أو من آخرٍ أو من ظاهرٍ أو من باطنٍ. ولا مجال للكلام عن حلول أو اتحاد ؛ فالاتحاد لا يلزم النورَ الواحدَ الواســعَ البديعَ إذ يُوجد فى الســماوات والأرض كما لم يلزم النورَ فى الزجاجةِ مع أنه

غَمَرَها وتلألأت به، إنه لم ولن يكون جزءًا منها أو منحصـــرا فيها، بل إنه معها وفيها وفوقها. وإذا كانت الزجاجة قد تلألأت بالنور فأضاءت، فإنه بوُجُودِ اللهِ النورِ الفعَّالِ قد تلألأت المخلوقاتُ كلٌّ حســـب تقدير الله وهداه. ومن تقديره وهداه ما يُعرفُ عِلميًّا بالشريطِ الوراثيّ لكلِّ مخلوقٍ. وحتى لا يظن أحدٌ أنَّ اللهَ خلق الخلق بهذا الشريط لمرةٍ واحدةٍ ثمَّ نَفَضَ يَدَهُ منه وتركهُ يعملُ تِلقائِيًّا، تأتى المعجزاتُ ليُغيّرَ الله طبيعة الأشـــياء تغييرا تامًّا مثل عصـــى موســـى يُحِيلها الله ثعبانا مبينا، والنار لا تحرق ابراهيم عليه الســـلام،...إلخ ليثبت لنا دوام تناوله للكون وإمســاكه به، فسـبحان الذى خلق فسـوى وقدَّرَ فهدى، وتباركَ نورُهُ إلى غيرِ حدٍّ، وكثرت كلماتهُ إلى غيرِ عَدَدٍ. ولأنَّ اللهَ النورَ الفعَّالَ الذى معنا لا تدركه الأبصــــارُ، والخبرَ بوجودِهِ معنا قد ثبتَ قطعيا، فســـبيلنا الوحيد لمعرفته هو التصـديق بكلامه هو وحده دون غيره ممن يقولون باللغو فى القرآن ليصـــدونا عن حقائقه. ليس هناك من الشـــرع ما يمنع أن يكون الله فى حقيقته نورا لا تدركه الأبصــار ومنور السـماوات والأرض بصـفته النور.. ولا تعارض بين هذا وذاك، بل تكون الآية الكريمة هى الدليل الشـرعى لهما (الحقيقة والصـــفة).. فهو نورٌ لطيفٌ حيٌّ قيُّومٌ جَبَّارٌ قَهَّارٌ سميعٌ بصيرٌ.. إلى آخرِ أسماءِ اللهِ الحُسْنى وصِفاتِهِ العُلَى.. نورٌ يَخلُقُ ويرزقُ ويُحيى ويُميتُ ويُعِزُّ ويُذِلُّ فعَّالٌ لما يُريدُ.. نورٌ يُحيطُ بكلِّ شـــيءٍ ولا يُحيطُ به – أىّ لا يَحُوزُه شــيءٌ، ويُمسِـكُ بكلِّ شــيءٍ ولا يُمسِـكُهُ شــيءٌ، نورٌ قريبٌ منا ومعنا بحُجُبٍ وتجليَّاتٍ أرادَهَا، وهو غيرُ كلِّ شيءٍ. فما وَجْهُ اعتراضِ المعترِضِين على ذلك ؟! يقولون له حقيقةٌ لا يعلمُها إلا هو.. وهل نحن كلامُنا هنا يعنى غيرَ ذلك ؟ إننا نقول أنه نورٌ لا يعلمه إلا الله. الفرق بيننا وبينهم أننا نثبت ما قاله اللهُ وعلى مرادِ اللهِ، ولكنهم لا يُثبتون !!.. ويترتب على عدم إثباتهم هذا، عدم إثباتهم لحقيقة قرب الله معنا أين ما كنا، وهذا تعطيلٌ بالغُ الخطورة.

وحجتهم فى ذلك أننى أشـــبه الله بالنور !. وهل هم عرفوا جميع أنواع النور ؟ هل نور الملائكة مثلا هو من مثل نور الشـــمس ؟ لو قالوا نعم، قلت لهم كنا أدركنا الملائكة الذين يتعاقبون فينا كما ندرك نور الشـمس !، والنبىُّ صـلى الله عليه وسـلم عندما رأى

جبريل عليه السلام على حقيقته النورانية وقد سد الأفق، لم نسمع أن أحدًا من قريش رآه ساعتها كما رآه النبى صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن نور الملائكة من نوع خاص ليس من مثل نور الشمس أو نور المصابيح الذى يتساوى أكثر الناس فى إدراكه، كما أن نور الشمس لا ينفذ فى الأجسام المعتمة، ولكن الملائكة ينفذون فى البروج المشيدة، فما بالنا بنور الله اللطيف ؟. هل لأن الله نورٌ يلزم أن يكون مثل النور الذى نعرفه ؟ من قال هذا ؟.. ألا يمكن أن يكون نورًا من نوع متفرد ؟.. بالتأكيد هو نورٌ متفرد ليس كمثله نورٌ آخر.

وأخيرًا.. دعُونا نتفق على أنَّ لِلَّهِ حقيقةٌ (سواءٌ كانت هى النور أو غيره) هو قَريبٌ بها مع خلقِهِ جَميعا.. فهذا أضعفُ الإيمانِ وليس أقلَّ منه ينفعُ، لأنَّ ذلك هو المستفادُ من الأدِلَّةِ مُجتمِعةً. والإيمانُ بأنه نورٌ يُسَهِّل لنا معرفةَ الواسعِ المُطلقِ الذى يَسَعُ جميعَ الموجوداتِ ويُمسكُها وهى تسْبَحُ (وتُسَبِّحُ للهِ سُبْحَانًا وَاسِعًا) فى بحور هذا النور شفافةً أمامَه لا يعوقه ظاهرُها عن باطنِها تقرُّ بلسانِ حالِها بكمالِ قدرةِ اللهِ عليها وأنّها مُسَخَّرّةٌ بأمرهِ، مُسَبِّحةٌ له وتستجيبُ بحمدِه مهما كانت كتلتها وسرعتها..

كما قال عزّ وجلّ:

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } سورة النور.

والقلوب بيده يقلبها كيف يشاء ويحول بين المرءِ وقلبه، قال عزوجل:

{ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) } الإسراء وقال عز وجل { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} 110الأنعام. ويقول النبى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إنَّ أحَدَكُم إذَا قامَ يُصَلِّى فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ)، ويقول **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (فإنَّ اللهَ بَيْنَ أيْدِيكُم فى صَلاتِكم).

فالذين تكلموا بالحلول والاتحاد ورفضوا بسببه وجودَ اللهِ نفسِه معنا وفى أرضِه

وسماواتِه، وقالوا بتنزيهِ اللهِ عن المكانِ والزمانِ، هم بذلك تكلموا – وبلا تَجَارُبَ مَعْمَلِيَّةٍ – فى قوانين كونيةٍ وليس فى نصـوصٍ شـرعيةٍ !!. وكلامُهم فى القوانين الكونية دون علمٍ تجريبيٍّ قطعيٍّ بها أوصـلَهُم إلى نتائج خاطئةٍ تعطلت معها النصـوصُ الشـرعيةُ القطعيةُ فى ثبوتِها ودلالتِها على وجودِ اللهِ نفسِـه معنا !، وبالتالى فإنَّ كلامَهُم هذا لا قدسيةَ ولا اعتبارَ له.. بل إن نجاحنا فى إقامةِ الأدلةِ القاطعةِ على وجودِ اللهِ نفسِه معنا ومع كل العالمين – وبحيث لا ندع فى ذلك ريبةً لمرتابٍ – هُوَ أدْعَى لاجتماعِ الجميعِ على الإلهِ الواحدِ الحقِّ الحيِّ الحاضـرِ الذى لا يغيبُ، الجامعِ الذى يمكنه وحدُه أن يجمعهم فى الدنيا والآخرة، وأدعى لرَسْمِ حياتِهم حسبَ أوامرِهِ، فإن لم تجتمع كل الأمم على هذا، فلا أقل من أن يُصـدِّقَ (المؤمنون) بما أنزله الله لهم فى كتابه وسـنة نبيه **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فما كان المؤمِنُ مُؤمِنًا إلا لتصديقِه بالغيب فى كلام اللهِ ورسولِه بدون تشـكك أو تذبذب. وممَّا يدلُّ على اتسـاعِ وجودِ اللهِ معنا ومع الملإِ الأعلى ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِـهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِـي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِـبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِـي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً *رواه البخارى، فاتساع وجود الله معنا ومع الملإِ الأعلى يتيح للذاكرين لـه فى الأرض أن يذكرهم فى أهل السـماء حيث يرانا الله ويراهم ويسـمعنا ويسـمعهم ويكلمنا ويكلمهم فى آنٍ واحد وعلى الدوام.. ولكنهم يسمعون ولا نسمع. ولقول النبي **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** " إحفظ الله تجده أمامك ". هذا من ناحية الخبر، أما من ناحية المشاهدة فهو الله الذى يوحى إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشـجر ومما يعرشـون، هو الذى يُعلّم كلّ نحلة وكلّ نملة وكلّ دابّة كيف تعيش، هو الذى يُعلمها لغاتها التى تتفاهم بها.. فأين يُعلمها ومتى؟ إنه لابد أن يكون قريبا منها مكانا وزمانا.

2. السميعُ البصيرُ: السمع والبصر ومداهما وشدة قربهما :

جاء فى صحيح البخارى { حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ رَضِي الله عَنْهم قَالَ اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ قَالَ الآخَرُ يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الآخَرُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ)فصلت22}.

التساؤلُ بينهم كان عن سمعِ اللهِ لهم ما حقيقته؟، وجوابُ اللهِ عزّ وجلّ على تساؤلهم جاء بلفت نظرهم وانتباههم إلى ملازمةِ سمعِهم وأبصارِهم وجلودِهم لهم.. فما العلاقة ؟ العلاقةُ هى فى قربِ اللهِ منهم وملازمتِه لهم أكثرَ من قربِ وملازمةِ سمعِهم وأبصارِهم وجلودِهم لهم، فكيف يستترون من اللهِ وهو بهذا القرب ؟!. فمع قوة سمع الله وبصره لا يجوز القول بأنه يسمع ويرى من بعيد، بل قال عزوجل {إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} سبأ50، {إن ربى قريب مجيب}هود61. ومن ناحيةٍ أخرى لا قيام لسمعهم وأبصارهم وجلودهم ولا وجود لها ولا عمل لها إلا بالله السميع العليم نفسه – وليس بعلمه مع بُعدِه – ولو شاء الله لذهب بها:

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة

والتعبير بـ(ذهب الله بسمعهم) أقوى دلالة من (أذهب الله سمعهم)، فهو من ناحيةٍ يثبت قربَ الله ومعيته للذين حباهم الله بهذه النعمة وغيرها، أى يثبت العلاقة المكانية بين الله وبين خلقه أينما كانوا، ومن ناحيةٍ أخرى يثبت دوام تناول الله بنفسه لهذه النعمة وغيرها سواءً وَهَبَهَا للعبد أو أخذها منه، قال عزّ وجلّ :

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } الأنعام وقال عزّ وجلّ { قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}26 الكهف أى أنَّ منه بصرى وسمعى فلا أبصر إلا به ولا أسمع إلا

به وكيف يشاء هو، قال الله عزَّ وجلَّ : { وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ }44 الأنفال.

وجاءت الأحاديث القدسية والنبوية شارحةً لذلك صراحةً، كقوله عز وجل (.. وكنتُ سمعَهُ الذى يسمعُ به وبصَرَهُ الذى يُبصِرُ به...) أى باركت سمعَه وبصرَه بنورى عن الحدِّ المعتادِ، وَوَسَّعتُ ذلك عندَه كيفًا وكمًّا كما أشاءُ. ويخلقُ اللهُ للناسِ جوارحَ كالأذنِ والعينِ ولكنَّها لا تعمل إلا باللهِ نفسِه وكيف يشاء، فالسمعُ والبصرُ هما من صفاتِ اللهِ يجعلُ اللهُ للإنسانِ نصيباً منهما على درجاتٍ متفاوتةٍ حسبَ مشيئةِ اللهِ عزّ وجلّ. وقد يخلقُ اللهُ الأذنَ والعينَ خلقًا ماديًّا سَليمًا ولا يجعلُ لهما سمعًا ولا بَصرًا فلا يَسْمَعون ولا يُبصِرون، أو ينظرون ولا يبصرون بما يكفى، قال عزّ وجلّ {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} **الأعراف179** أى : الغافلون عن الله وهو معهم، فلا عجب أن يأتى بعدها مباشرة { ولله الأسماء الحسنى..}**الأعراف180.**

وقال { وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}198**الأعراف** وقال { وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ }**23الأنفال** وهذا يُبَيِّنُ لنا أنَّ النظرَ الأوَّليَّ ليس هو البصرُ المدركُ لحقائِقَ المرئياتِ، وكذلك السمعُ فمنه أوَّليٌّ ومنه السمعُ المدركُ لحقائقَ المسموعاتِ ومعانِيها على الوجهِ الأكملِ كالسماعِ عن بُعْدٍ وسماعِ الغيبياتِ مثلُ تسبيحِ الحصى وتسليم الحَجَرِ والشَّجَرِ على رسولِ اللهِ وفَهْمِ لُغَاتِ المخلوقاتِ. وبين الأوليّةِ البدائيةِ الحيوانيةِ وبين الإدراكِ السَّمْعِيِّ والبَصَرِيِّ الواعِى فرقٌ كبيرٌ، فبينما الأول يأتى مع عملية الخلق المطلوبة لحياةِ الإنسانِ الماديةِ وقد تَقِلُّ كفاءَتُه عند الإنسان عنها عند الحيوانِ البهيمِ الذى يسمعُ عذابَ القبرِ – كما جاء فى الحديث الشريف –، فإن الثانى هو نورُ اللهِ الذى يطلبُهُ المؤمنُ من ربِّه، فإذا شاءَ عزّ وجلّ جَعَلَهُ له مُكَافَأَةً على تقرُّبِه بالفرائضِ والنوافلِ – كما جاء بالحديث القدسى الشريف– مثلُ رؤيةِ سيدِنا إبراهيم لملكوتِ السماواتِ والأرضِ، ومثلُ رؤيةِ سيدِنا النبيّ محمدٍ لكثيرٍ من الغيبياتِ وكان يرى من خلفه كما يرى من أمامِه.. أىْ بمجالِ رؤيةٍ قَدْرُهُ 360ْ ، ومثلُ رؤيةِ سيدنا عمر بن الخطاب لسارية والجبل

وسماعِ سارية له مع البُعْدِ المكانِيّ الكبيرِ بينهما، ومثله ثبت لكثيرٍ من الصحابةِ والتابعين، ويُؤكدُ ذلك اتساعَ مجالِ السمعِ ومجالِ الرؤيةِ لدرجاتٍ رفيعةٍ قد تشملُ رؤيةَ ملكُوتِ السماواتِ والأرضِ جميعًا.

قال سبحانه { وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} 53 النحل فمن النِّعَمِ ما هو مخلوق بيَدِ اللهِ الخالق، ومنها ما جعله اللهُ جَعْلاً منه هو من نورِهِ كالسمعِ والبصرِ، إذ لمْ يَرِدْ فى القرآنِ والسُّنّةِ أنَّ اللهَ "خَلَقَهُمَا"، بل إنه "جَعَلَهُمَا" من نورِهِ السميعِ البصيرِ، قال نورُ السماوات والأرض {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}2 الإنسان

ومن الحديث التالى نعرف اللهَ الباطنَ القريبَ مع عباده: روى البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

(إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.)البخارى – كتاب الرقاق. فالقربُ ثابتٌ فى كلِّ الأحْوالِ، ولكنَّ العطاءَ هو الذى يتفاوت.

3. الله الباطن اللطيف (لا تدركهِ الأبصار). الضمير فيها يعود على اللهِ وليس على علمهِ، لأنَّ العلمَ لا يُدرَكُ بالأبصارِ فى كل الأحوال، فلو لم يكن الله قريبا قرب ما تدركه الأبصار لما كانت هذه الكلمات قرآنا يُتلى فى كتاب الله، فالذى هو بعيد عن نطاق الإبصار ببلايين الأميال لا يُمكن أن نراه سواء كانت تدركه الأبصار أو لا تدركه!، فتعالى الله علوا كبيرا أن يقول ما ليس فى محله!. وكذا الحديث النبوى الشريف " **أن تعبُد اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكُن تراه فإنه يراك** " دليل قاطع على **وجود الله بنفسه معنا** مع علمه.. لأنه يؤكد أن الله قريب للرؤية إلا أنه لا تدركه الأبصار، فلو كانت تراه العيون لرأيناه، فالمانع من رؤيتنا له ليس بُعْدُ (ذاته) وإنما (خصائصُ نفسِه)، إنه **(نورٌ)**

لطيفٌ لا تراه العيون، ليس نورًا كالذى نراه. ويلاحظ أن الله قد خص الأبصار فى العجز عن إدراكه دون السمع، فالسمع قد يدركه عزّ وجلّ كما حصل مع رسوليه موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ولو لم يكن الله قريبا للأبصار ما كان للحديث محل، ولجاء على نحو لفظ " أن تعبد الله كأنه معك"، ولكن لأنه معنا حقيقة وواقعا جاء المجاز فى الرؤية ولم يأت المجاز فى الوجود والمعية. وأكد الله ذلك بقوله {وهو **يُدرك** الأبصار}، ولا يُدْرَكُ الشيء إلا بالوجود الحقيقى معه والإمساك به، مثل: أدْرَكْتُ القطارَ قبل قيامه. وإسم الله (اللطيف) جاء سبع مرات فى القرآن الكريم – الأنعام103 يوسف100 الحج63 لقمان16 الأحزاب34 الشورى19 الملك14– وكلها تؤكد الوجود القريب الخفى لله نفسه مع كل شيء. وجاء الفعل (يتلطف) ليؤكد هذا المعنى فى اللغة وفى الشرع، كما فى قول الله عز وجل {وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}الكهف19 بمعنى الوجود الخفى. وكلام البعض عن الله بـ(ذاتٍ) بعيدةٍ سببه مشكلة عندهم هى عدم رؤيتهم لله بالأبصار وعدم قدرة العقل على تصوره، فهل لجوؤهم إلى القول ب(ذاتٍ) بعيدةٍ حلَّ لهم المشكلة ؟ هل أَخَذَهم من اللامعقول إلى المعقول؟ أم أنه أخذهم إلى اللامعقول أيضا وأراحهم من معايشة حقيقة القرب ومستحقاته؟! إنها الغفلة وليست الراحة. إنها الغفلة التى تجعل الأعين فى غطاء عن ذكر الله فى كل ما تراه، وتجعل الآذان لا تستطيع سمعا !!

4. الجليل " ليس كمثله شيء ":

يَجِلُّ عن الوصف والتصور، وفى اللغة : الجليل = العظيم. ليس كقدره شيء لِيُقاسَ عليه. ومن العجيب أنك ترى المتكلمين بإبعاد الله نفسه من الأرض ثم من السماء يتكلمون بحَمِيَّةٍ وكأنهم أدركوه بأبصارهم وأحاطوا به علما وعرفوه وعرفوا أبعاده فاختاروا له حيّزا يناسبه !، ونسوا أن كلامهم محض تفسيرات مظنونة وتخيلات عقلية وليدة العقل القاصر عن تصور الله الجليل، وقد نهانا عنها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهى التى أشار إليها الصديق أبو بكر بأنها إشراك!. يتصورُ فريقٌ أنَّ للهِ ذاتاً يقومُ بها، ثم يقول فريقٌ آخرُ بحصرِ ذاتِ الله فوق العرشِ تنزيهًا لها!، وفريقٌ ثالث يفرق بين ذات الله وصفاته فى القُرْبِ والبُعْدِ ولا يدرى أين هو!!. والخطأ المشترك

عندهم واحدٌ وهو افتراضـــــهم وجودَ كيانٍ محدودٍ للهِ يُمكِنُ الكلامُ فيه بالجهةِ والحدودِ. هذا الافتراض (وَهْمٌ) يُعاكس (حقائقَ) دامغةً فى القرآنِ والسُّـــنةِ تتكلم عن تمام الوجودِ والمعية للهِ نفســـه مع كل مثقال ذرة أو أصـــغر أو أكبر، ولم ينتبهوا إلى تناقضَـــاتٍ اختلقوها فى الكتاب والســـنة، وكان يكفيهم الإيمان بتمام وكمال الوجود فى إطار ليس كمثله شـــيء. إنهم يتكلمون عن الله بكل ما يتصـــورون وليس بكل ما أخبرنا اللهُ به !، يتكلمون عنه وكأنه شيء تحتويه سماءٌ أو يستقرُّ فوق سقف أو يُوجَدُ فى جهةٍ مُحَدَّدَةٍ بحدود، يتكلمون عن شـيءٍ شِبْهِ مألوفٍ لهُم !، وغيرهم جعلوه لا شـيء!، وبعد كلِّ هذا يقولون " دون كيف" و "ليس كمثله شيء"!، وهل هُمْ أبْقَوْا على شيءٍ إلى " ليس كمثله شـيء " ؟!، لماذا يلوون القرآنَ والسّـنّةَ جميعًا ليُقصِـروا وُجُودَ اللهِ فوق السـقفِ الأعْلى ؟!! مع أن آيات الاسـتواء على العرش لا قصْـرَ فيها ولا حصـر للهِ هناك، بل أثبتته هناك كما هو ثابتٌ معنا، هذا إذا كانت تتكلم عن مَكانٍ، بل إن دلالتَها على المكانِ ظنيّةٌ، وحُكْمُ الشرْعِ فيها أنه إذ تطرق الظنُّ إلى معانيها فلا يجوز الاستدلال بها منفردةً فى العقيدة، بل يجبُ رَدُّهَا إلى مُحكَمِ القرآنِ مثل ما ذكرناه من أدلة الوجود القريب والاتساع المطلق والمعية العامة فهى أدِلّة لا تحتمل التعطيل فى إثباتها لكل مكان لله، وما يقولونه فيها ليس بتأويلٍ بل هو **تعطيلٌ** يَصِـــلُ إلى حد التكذيب!، وإن لم يكن تكذيبًا صـــريحًا فالنتيجةُ واحدةٌ وهى أنَّهم أجْهَزُوا على يقينِ الناسِ فى وجودِ اللهِ معهم جميعًا. إنها تبْدُو كمؤامرةٍ مُدَبَّرَةٍ ضِـــدَّ عقيدةِ الأنبياءِ عقيدةِ (التوحيدِ) الثابتةِ فى القرآنِ والسُّنةِ، ولا يجوز لعاقل أن يُشارك فى هذه المؤامرة بالكلام عن ذاتٍ للهِ مُنحِسرةٍ بعيدًا جدّاً عنا – بمقاييس البشـــر– ولا يوجد دليلٌ قطعيٌّ واحدٌ عليها، فاللهُ عز وجل يُكَلِّمُنا عن القُرْبِ من حيث نعلم ونعرف حبل الوريد لا بالنســـبة لله حيث لا بعيد عنه على الإطلاق، فالمقارنة هنا بقرب مكان حبل الوريد من الإنســـان. ثم ما هو الأنفع؟ إثباتُ القربِ تامّاً أم ناقِصاً؟!

وماذا علينا لو آمنا بتمام وكمال الوجود لله معنا، نعيش فى حصـــنه، يحفظنا ونحفظه، يرانا ونرقبه، نخشاه ونحبه، ندعوه ونسأله، نشكره على فضله، وننصره فينصرنا، ثم إذا عاتبنا على ذلك كله!، وهَمَّ بعقابنا على ما أجرمنا!!، قلنا له والله يا ربنا معنا عذرنا..

قرأنا كتابك وآمنا بكلامك !. لكن ما عذر الذين ردوا على الله كلامه، وحرَموا من حضرته عباده فأصابتهم الكآبة وسئموا الحياة، ويئسوا من قربه ونصره، وحلت بهم الأمراض والفاقة، وقلت مراقبتهم فساءت أخلاقهم، وعاشروا المعاصى فحلت بهم البلايا، وانفكت الروابط وانفرط العقد، وجاءت المنايا وغَضِبَ الربُّ؟!!

5- الواسِعُ، واسعٌ فى نفسِهِ وفى صِفاتِهِ:

جاءت صفةُ اللهِ (واسِعٌ) تِسْعَ مرَّاتٍ فى القرآنِ الكريم، سبعةٌ منها تصِفُ اللهَ نفسَه بالاتساعِ المطلقِ ويردفُها صفةُ العِلمِ تصفُ اللهَ نفسَه أيضا بالعِلم المطلقِ وكلها تقول (الله واسعٌ عليمٌ) – فى سورة البقرة الآيات 115، 261،247، 268 وآل عمران73 والمائدة54 والنور32 – وجاءت الثامنة (وكان الله واسعا حكيما) النساء 130 تصف الله نفسه بالاتساعِ المطلق وتردفها صفةُ الحِكْمَةِ تصفُ اللهَ نفسَه أيضًا بالحِكْمَةِ المطلقةِ، وجاءت مرةً تصفُ ما بعدَها بالاتساعِ تقول (إنَّ رَبَّكَ واسِعُ المغفرةِ)النجم32 فتأمَّلَها. وجاءَ قولُه (وَسِعَ) رَبِّى كلَّ شيءٍ عِلمًا، ورَحْمَةً وعِلمًا. ذلك ليثبت الله عز وجل لنفسه الاتساع المطلق فى نفسه وفى صفاته إنه الواحد الأحد، ومنه نفهم معنى تعرج الملائكة إليه، وكذا معراج النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فى السماء وقوله عز وجل " إنى متوفيك ورافعك إلىّ "، ومعنى " إليه يصعد الكلم الطيب" ومعنى " ذى المعارج " و " رفيع الدرجات " ومعنى كل ما يفيد العلو : ذلك بأنه فى السماوات كما هو معنا أينما كنا فى الأرض وكما هو فوق العرش يَعُمُّ وُجُودُه الوُجُودَ والعَدَمَ، هو الواسع، إنها دلائل إتساع وهو الذى قال ذلك عن نفسه، بَيْد أن الله قد جعل لكل مكان أمره فأوحى فى كل سماء أمرها، فالسماوات والأرض والكرسى والعرش وما حوله وما فيها وما بينها أماكن وآيات وعوالم كلها **عند الله** والله معها وعندها، يتنزل الأمر بينها بأمره ووحيه عزّ وجلّ لمن يشاء بما يشاء، قال الله عز وجل :

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}12سورة الطلاق فالله عز وجل قد ساوَى فى هذه الآية الكريمة – وفى القرآن الكريم كله – بين السماوات والأراضين من

حيث أنهن من خلق الله، ومن حيث أنه عزّ وجلّ على كل شيء قدير، ومن حيث أنه قد أحاط بكل شيء علما. وأسكن الملائكة فى السماوات، فإذا عرجوا إلى مساكنهم فهم يعرجون إلى الله فهو هناك – وهو معنا ومعهم دائما.

وعيســى **عليه الســلام** رآه النبى محمد **صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** فى السـماء الثانية ليلة المعراج، وهذا مع الآية الكريمة (إنى متوفيك ورافعك إلىّ) يُثبت أن الله فى الســـماء الثانية ويهدم مقولة اختصاص الله بفوق العرش، إنما الكلام بالفوقية والتحتية والصعود والنزول أمر متبادل بين ما فى السـماوات السـبع وما فى الأراضـين السـبع من أماكن وآيات وعوالم ينزل ويعرج الملائكة بالأمر الإلهى بينهن كل فيما يخصـــه، والله مع الجميع ظاهر بربوبيته للخلق وبأنواره للخاصّـــة منهم بدرجات، **ودرجاته رفيعة** يترقى فيها أهله وخاصـــته ولو كانوا فى غار حراء محمد أو فى بطن حوت يونس أو فى محراب زكريا أو فى نار إبراهيم أو فى جُبّ يوســف، أو فى مســرى النبىِّ محمدٍ ومعراجه. وهذا هو المستفاد من مجمل الأدلة صراحة وهى كثيرة ولا اجتهاد معها ومن يتأولها لأجل أوهام الانحصـــار والانحســـار أو لأجل أوهام الحلول والاتحاد لا يُعتد بتأويله. وقوله (سبحان الذى أسرى بعبده)**1 الاسراء** ثم معراجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل تأكيد يؤكد وجود الله فى الأرض، فالله هو الفاعل فى الآية وليس جبريل والبراق، وفى السماء يُكلمه ويريه من آياته. فقد أسرى **الله** بعبده أرضاً ثم كلمه **الله** فوق السماء الســابعة فى نفس الليلة، الفاعل هو **الله** هنا وهناك. وصـــلى النبى بالأنبياء إمامًا فى المســجد الأقصــى، ثم كلمهم وقابلهم فى الســماوات فى نفس الليلة!، فكيف لا يعجب أحد الناس من اتســاع وجودهم فى الأرض والســماوات ثم يعجب من اتســاع وجود الله مع علم اليقين بأنه توفاهم إليه ؟!.. والعلة هنا فى ضرب هذا المثل هى اتساع الوجود وليس كيفية الوجود. وعروج الملائكة إليه فى الســـماء هو مجيؤهم إلى أماكن أو نُزلٍ يُكلمهم فيها ربهم تبارك اســـمه حددها لهم، ومثلها مثل قول الله عن حُجاج بيت الله الحرام فى وقفتهم على جبل عرفات يباهى بهم الملائكة : "أنظروا يا ملائكتى.. هؤلاء عبادى جاءونى شعثا غبرا يرجون رحمتى ويخافون عذابى أشـهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم ". وقوله { يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لديَّ المرسلون }النمل10 عند

جبل الطور، كقوله { لا تختصـــموا لدَيَّ }ق فى الآخرة. وعروج الملائكة إليه فى السـماء، ورفع الأنبياء والعمل الصـــالح إليه، من مثل مجيء الملائكة والناس إليه بالكعبة المشرفة – وهى بيته لا يهجره. والمساجد هى " بيوت الله" وعُمّارُها زُوّاره وحقا على المزور أن يُكرم زائره، وهذا يؤكد وجوده فيها، فهل معنى ذلك أنه يقتصـــر عليها ؟! لا، بل هى تكليفاته للملائكة والناس على حد سواءٍ كلٍّ فيما يخصه ويناسبه. وكما اصـــطفى أماكن فى الأرض للناس إصـــطفى أماكن فى السـماء للملائكة ولغيرهم، ووجوده فى السـماء كوجوده فى بيوته فى الأرض **ومعنا أين ما كنا** حيث لم يفرق القرآن بين وجوده هذا وذاك.. بل إن العقيدة فى الوجود المطلق مع القدرة المطلقة تعين المؤمن على فهم ما يصعب فهمه، ولن تضره فى شيء مادام يؤمن بها مستندا لأدلتها اليقينية ويمسك عن غيرها وينزه ربه عن المِثل والشبيه والشريك. ولا حجة لمن يقول فى ذلك بالمجاز فى الأرض ليخص جهة فوق بالحقيقة. فقد توَهّم فرعون نحو هذا الاختصاص بسبب عدم رؤيته لله من حوله فطلب بُنيانا يصعد عليه !. ومن توَهّم أن موسى عليه السـلام قال ما لم يثبت عنه فقد كذب على أنبياء الله.. بل إنه { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـــؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لاظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا}**102الإسراء** هذا هو رد موسى على فرعون عند تكذيبه بالآيات، ولم يخص موسـى الله بجهة. بل ربوبيته لكل السـماوات والأرض فى الآية يلزم معها احتياج كل مكين إلى مكان عند الله ليمسكه الله **بنفسه** فيه، كما قال الله عز وجل :

{ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}41سورة فاطر

ومن قال بغير ذلك فهو يدَّعى أنَّ كلَّ شـيء فى السـماوات وفى الأرض قائمٌ بنفسِـه مستغنٍ بالأسبابِ عن ربِّـــه، وهذا هو الضـلال المبين. ماذا لو رأيتَ رَجُلاً يمسك سيارةً رافعا بها فى الهواء.. هل تقول أن قوته رفعت وأمسكت وتنكر وجودَه نفسَه ؟!.. ولله المثل الأعلى. وضـــرب المثل هنا للتقريب ليس قياسًـــا ممنوعًا، ذلك لوجود العِلة وهى دلالةُ الفِعْلِ وقتَ فِعْلِهِ على وجودِ فاعِلِهِ معه بنفسِـه. ومع أنه اسـتدلالٌ عَقلى إلا أننا إعتمدناه عندما لم نجد فى الشرع ما يناقضـه، بل وجدنا ما يُوجبه، وعلى هذا جاء

القرآن الكريم فى ضـرب الأمثال للناس: { وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ } 43 العنكبوت

ومثل ذلك : فرح الله بتوبة عبده أشـد ممن وجد راحلته وعليها طعامه وشـرابه بعد أن ضـلت فى الصـحراء، وإكرام المزور لزائره فى بيته، وفضـل العبودية لله وحده على العبودية لشركاء متشاكسين، وملازمة الرب لعياله المرضى وشكره لمن يزورهم. وهكذا تضرب الأمثال لعلة بعيدة عن كيفية نفسه وكيفية وجوده الثابت له مع كل شيء.

6. القريب :

قرب الله ووجوده لا تحكمه الأبعاد والمسـافات بين الأماكن والأزمنة.. وإنما تحكمنا نحن قدراتنا المحدودة على الإدراك : إن اتسـاع الله المطلق جعله قريبا من كل شـيء ومع كل شـيء، وكل ما يرمز الله به لنفسـه لا يجوز أن نفهمه تجسـيما، فاليد رمز لوجوده نفسـه، وَسِعَها ما بين كتفى النبى فى الرؤيا، ولو كانت عضوا ما وسعها ذلك ولا غيره. وعوالم الغيب قريبة منا، قَالَ النَّبِيُّ **صَـلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** (الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ)رواه البخارى فمنه يتضح أن عوالم الغيب قريبة مع عالم الشـهادة، قد تتحد معه فى المكان وقد تتفاوت، لكن لكل منها سـنن وقوانين تحكمه خاصـة، فليس بين المرء وبين الجنة أو النار إلا أن يموت فيدخلها. والموت لا يُقرّب المسـافات ولكن ينقل المرء من حالٍ إلى حالٍ أو من إدراكاتٍ إلى إدراكاتٍ أو من عالَمِ الشهادةِ إلى عالَمِ الغيبِ، والأجسادُ فى مكانٍ واحدٍ فى مقبرةٍ واحدةٍ، بعضُـهم يتنعمُ وبعضُـهم يتعذبُ (القبر إما روضـة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار)الحديث، فكلٌّ منهم جعله اللهُ على موجةٍ خاصَّـةٍ لا تتداخلُ ولا تختلطُ مع غيرها من الموجاتِ. كلٌّ فريقٍ تتكفلُ به موجتُه الخاصَّـةُ، فريقٌ يتنعمُ تلقائيًّا بلا أسـبابٍ، وفريقٌ يتعذبُ لا يعذبُ عذابَهُ أحدٌ ولا يُوثِقُ وَثاقَهُ أحدٌ، هى موجاتٌ، هى درجاتٌ ودركاتٌ لا تختلطُ. – تذكَّرْ معى موجاتِ الأثيرِ الحاملةِ لعددٍ لا نهائيٍّ من المعلوماتِ والصورِ والأصواتِ دونَ تداخلٍ رغمَ اتساعِ وجودِها مَعًا فى نفسِ المكان – كلٌّ تتكفلُ به موجتُه. وهذا هو المحتضـرُ على فراشِ الموتِ بين أظهرِنا قد بدأ يرى الملائكةَ ويرى مكانَه من الجَنَّةِ مع أنها تحتَ العرشِ، ومع أنها هناك، إلا أنها هنا، ينبع منها

نهر النيل ونهر الفرات كما أخبرنا الصادق الأمين رسول الله محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُفِعْتُ إِلَى السِّدْرَةِ فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ وَأَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ. رواه البخارى ليتأكد لنا أن العرش يسع السماوات والأرض، وأن استواء الله عليه هو معية وفوقية واتساع لله مع العرش ومع من فيه ومع من حوله، فالفوقية فى حق الله عزّ وجلّ تعنى الاتساع المطلق وسلطانه على خلقه.

وحديث ثان :

خَرَجَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا. رواه البخارى فى باب الحوض من كتاب الرقاق يُقسم لهم رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بأنه ينظرإلى حوضه الشريف الآن وهو معهم، فهو يرى بإدراكات أعلى، يرى بنور اللهِ الواسعِ الذى رأى به عمرُ بن الخطاب ساريةَ والجبلَ – فالله نورٌ يَرَى ويَسْمَع ويُرِى ويُسْمِع.

وحديث ثالث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي[1].

والمعنى كما قال ابن حجر : (أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل في ملازمة حلق الذكر لا سيما في عهده **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيكون تشبيها بغير أداة أو المعنى أن العبادة فيها تؤدى إلى الجنة فيكون مجازا أو **هو على ظاهره وان المراد انه روضة حقيقية** بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة الى الجنة. هذا محصل ما أوله العلماء في هذا الحديث وهي على ترتيبها هذا في القوة. وأما قوله ومنبري على حوضي أي ينقل يوم القيامة فينصب على الحوض

[1] رواه البخارى فى كتاب الجمعة وفى كتاب الحج وفى كتاب الرقاق وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ورواه مسلم فى كتاب الحج وأحمد فى مسنده ومالك فى الموطأ.

وقال الأكثر المراد منبره بعينه الذي قال هذه المقالة وهو فوقه وقيل المراد المنبر الذي يوضع له يوم القيامة والأول أظهر. والله أعلم)اهـ فتح البارى جزء/4 ص/100

ويتضح منه أن من علماء السلف الصالح من تمسكوا بظاهر النصوص فى كلامها عن قرب المكان فى الغيبيات، وقد أثبت العلم الحديث ذلك.[1] وكما أن للعرش العظيم حضور فى أرض المحشر حول بيت المقدس- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَيَأْتُونِى فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ) رواه الشيخان، والآن تسجد تحته الشمس (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر أين تغرب الشمس؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب تسجد تحت العرش، فذلك قوله : والشمس تجرى لمستقر لها) رواه الشيخان، وعندما يأتى ذكر العرش فوق السماوات، فهو ذكرٌ لناحيةٍ منه، من باب ذكر الكل والمراد الجزء والعكس.

ومن قول الله { وفى السماء رزقكم } – ومن الرزق النيل والفرات – يتأكد لنا اتصال الأرض الدائم بالسماوات فى تداخل مكانى دائم نراه بأعيننا !، فالأرض كرة معلقة فى السماوات تدور فى مدار لتحتل من السماء مكانا بعد مكان، وقد كانتا رتقا ففتقهما الله، لكن الفتق نشأ عنه تباين ولم ينشأ عنه تباعد. فلماذا يتوهَّمُ الناسُ أن كلَّ غيبٍ بعيدٌ ؟ إن هذا التوهم (بأن كلَّ الغيبِ بعيدٌ مكانا وزمانا) أدّى بالناس على مرور الزمن إلى استبعاد الغيب شيئا فشيئا حتى إنكاره تماما عند أكثرهم، ولسانُ حالِهم يشهدُ بذلك. لكن الأماكن والمسافات فى الغيبيات ليست كما نعقلها الآن، وعلى من يتكلم فى الغيب بالمجاز أن يتمهل، فهى عوالم متداخلة فى المكان، متباينة فى السُنن والقوانين، وبينها برازخ فلا بغى بينها.

وحديث رابع :

روى البخارى : حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي الأعْمَشُ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ. رواه البخارى فى كتاب

[1] أنظر كتاب : بعد الموت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور د. سمير الشناوى.

التوحيد. ستتاح لنا الإدراكات، فمن الذى سيتغير؟ الله أم البشر ؟ البشر بالتأكيد.. قال ابن بطال معنى رفع الحجاب إزالة الآفة من أبصار المؤمنين المانعة لهم من الرؤية فيرونه لارتفاعها عنهم بخلق ضدها فيهم، ويشير إليه قوله تعالى فى حق الكفار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون).أهـ، **أقول** : وإلا لرآه يومئذ الجميع. ووجود الله فى الأرض ثابت فى الدنيا والآخرة حيث أرض المحشر، قال الله عز وجل { وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }22الفجر

بمعنى: يتجلى بما يُناسبُ كلَّ موقفٍ، ويُكَلِّمُ اللهُ الأنبياءَ فى الدنيا ويسمعونه بل ويُطعمُهم ويَسقِيهم فى صيامِ الوصال!، فالموضوع ليس موضوع مسافات بقدر ما هو موضوع عوالم مختلفة السنن والقوانين، خصوصا فى كيفية الوجود وفى وسائل الإدراك ! وكذلك مع أن الله ليس كمثله شيء إلا أن الذى يمنعنا من رؤيته هنا فى الدنيا سنن وقوانين الإدراك وليست المسافات أو بُعد الأماكن بيننا وبينه. وعندما تسمح القوانين نراه فى الجنة عند النشأة الأخرى آمين. إنها السنن والقوانين. والجَنَّةُ فى مكانٍ، وأرضُ المحشرِ فى مكانٍ، وأرضُنا هذه فى مكانٍ، وفوق العرش فى مكانٍ، والسماواتُ السبعُ فى مكانٍ، وثبتَ وجودُ اللهِ فى كلِّ ذلك ومعه وفوقه.

ولَعلَّ فى سترِ الغيبِ رحمةً بالناسِ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ *

رواه الترمذى وأحمد

وليحذر أهل المجاز والتأويل : فليس القول بالمجاز إلا لمن يعلم الحقيقة.

وللعلم، فإن أهل المجاز والتأويل المفسرين للقرآن والسنة الذين توسعوا فى وصف كلام الله سبحانه وكلام رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالمجاز، فعلوا ذلك لعدم قدرة الإنسان على تصور كل العوالم المختلفة والعلاقات بينها وقوانين كل منها. ولكن علينا

وعلى جميع من يتناول كلام الله عزّ وجلّ وكلام رسـول الله **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** أن يعلم أنه لا يجوز على الله عزّ وجلّ أن يقول إلا الحق، وكذلك رسـول الله **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا حقا حتى ولو كان يمزح، فكيف الحال لو كان الكلام فى الله نفسه ؟! ولا يكون التأويل إلا عند استحالة نسبة الصفة إلى الله، لوجود نصوص تنفيها، مثل قوله عز وجل فى سورة التوبة { نسُوا اللّهَ فنسِيَهُم }آية67 لوجود نصـوص تنفى عنه النسـيان مثل قوله عز وجل فى سـورة طه{لا يضـل ربى ولا ينسـى}آية52، فقط يأتى اللفظ للمشـاكلة اللفظية، ولبيان أن الجزاء من جنس العمل. وكما فى الحديث الشـريف (الحجر الأسـود يمين الله) أى : عنده الله يرى من يسـتلمه ويقبله. وهنا لزم التأويل لأن الله لا تدركه الأبصـار والحجر الأسـود ندركه بأبصـارنا، فلا تأويل إلا بنص. وهذا الحديث لا يفيد حصر يمين الله عند الحجر الأسود، لأن الله قال { يد الله فوق أيديهم } – وكلتا يديه يمين – وكانوا حينها تحت الشـجرة فى الحديبية، وكل ذلك يفيد باتسـاع وجود الله هنا وهناك وفى كل مكان. والسـبيل إلى معرفة الله عز وجل هو معرفة متى يجب التأويل ومتى يلزم الظاهر فى القرآن والسنة، ومعرفة ضـوابط ذلك حسـب ما يجب وما يجوز لله كما قال هو عزّ وجلّ. إن ما يثيره البعض فى وجه تقرير حقيقة قرب الله نفسـه معنا، مثل إشـكالية تنزيه الله عن الوجود فى أماكن الخلاء (دورات المياه).. هذه إشكالات وهمية نابعة من عدم معرفتهم بحقيقة الله، وقد قمت بالرد عليها فى هذا الكتاب. ولا يجوز اعتبار التناقض الناشـئ من قصـور فى الفهم أو من نقص فى المعرفة إشـكالا علميا. فالإشـكالية العلمية تأتى لو تعارضـت النصـوص الثابتة الصـحيحة، والتعارض بينها مسـتحيل. وقد يظن البعض بتعارض آيات العلو والاستواء على العرش مع آيات القرب والاتساع، مما يدفعهم إلى تأويل آيات القرب والاتسـاع وإفراغها من حقيقتها، ولقد جاء ذلك منهم لقصـور عقولهم عن فهم حقيقة الله وليس لتعارض النصـوص. وقد يظن البعض أن إثبات الوجه واليد والعين والأصـابع والقبضـة والكف والقدم لا يكون إلا بتركيب (ذاتٍ) لله من أعضـاءٍ توجد فوق العرش دون غيره، ويسبب هذا الظن إشكالا لهم مع أدلة القرب والاتساع لله مع كل شـيء، مما يدفعهم إلى تأويلها وإفراغها من حقيقتها رغم ثبوت القرب والاتسـاع

ليد الله يأخذ بها منا الصـدقات ويقبض بها ويبسـط ويعطى بها ويمنع، وثبوت اتسـاع أصـــابع الرحمن وقربها مع كل قلوب العباد المســـلم منهم والكافر، إلا أن فهمهم لها بالهيئة والذات المحدودة استحال معه قربها الحقيقى!. فالإشكالات تأتى من عند الناس وفهومهم وتصوراتهم، ومعها تتعطل حقيقة الدين !!، وعندما سُئل النبى صلى الله عليه وســلم كيف يحاســب اللهُ الناسَ جميعا فى وقت واحد ؟ قال (كما يرزقهم جميعا فى وقت واحد). وهذا لا يتأتى إلا باتساع وجود الله عزّ وجلّ مع الجميع فى وقت واحد، لأن الحساب سيكون معه نفسه وجها لوجه دون حجاب أو ترجمان.

ولا يحول بين الناس فى الغرب وبين الدخول فى الإســـلام إلا الإشـــكالات العقائدية عندنا وعندهم، بالإضافة إلى مشاكل سياسية وتاريخية، يمكننا التغلب عليها لو تحققنا جميعا – نحن وإياهم – من القرب الحقيقى والاتســـاعِ المُطْلَقِ للهِ ربِّ العالمين، الذى هو معهم يخلقهم ويرزقهم كما هو معنا يخلقنا ويرزقنا.. فما نحن وإياهم إلا مظاهر وصُـوَرٌ دالة على وجود الله الواسـع مع كل مثقال ذرة فى الأرض أو فى السـماوات، ومع كل سابح يسبح فى مجال، ومع كل مجال يسبح فيه سابح، عرفناه أو غابت عنا معرفته.

أما عن اقترابنا نحن من الله فله طريق :

تزكية النفس وترقية الإدراكات يزداد شــــعورنا بقرب الله القائم فعلاً، وبذكرنا له يذكرنا عزّ وجلّ فنشـــعر به عند ســـجودنا له بخشـــوع وتبتل وإيمان بقربه، كقوله عزّ وجلّ (وَاسْـجُدْ واقْتَرِبْ)القلم19 وقول النبى **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو سـاجد فأكثروا الدعاء} رواه مسـلم. ويقول الله عز وجل فى الحديث القدسـى { وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِـي بِهَا وَإِنْ سَـأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْـتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَـيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَـاءَتَهُ }. رواه الإمام البخارى فى باب التواضع كتاب الرقاق.

وهو تجلى من الرحمن يفيض بنوره على أحبابه الطائعين مع بقاء الربّ ربّا والعبد عبدا فيزكيهم ويرقيهم ويؤيدهم وينصـــرهم فيرمون برميته ويبطشـــون بيده، وهو على وضـــوحه ويُســـره تجد المدافعين بالحلول والاتحاد فى مشـــكلة منه !، مع أن التَّجَلِّى بالنورِ شائعٌ فى القرآن الكريم مثل قول الله عز وجل فى سورة التحريم :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُـوحًا عَسَـى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَـيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْـعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ } 8 التحريم

ولا يقتصـــر ذلك على الدار الآخرة، بل كان النبى **صَــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ** يطلبه فى الدنيا فيُعطاه، وله خصـوصـياته الثابتة يقينا ومعجزاته الكثيرة بفضـل نور ربه، وعلينا الرجوع إلى ذلك فى كتب السـنة الصـحاح إتماما للفائدة، ولا ينبغى الوقوف عند حدود بشريته المجردة، فقد جعل اللهُ له نورًا عظيمًا وصَلَّى عليهِ وسَلَّمَ تسليمًا، وهو قدوة فى ذلك لكلِّ من يطلب الاطمئنانَ إلى قرب الله ومعيته :

{ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ } سورة النور

فالاقتراب من الله لا تحكمه المسافات، بل الأحوال الإيمانية والإدراكات المخصوصة وحسب نصيبنا من النور بمشيئة الله وإذنه وتقديره. تدبَّر مثلا رؤيا النائم وأحواله وإدراكاته هل تحكمه المسافات حين يرى ويسمع ويُكلم الموتى أو يَرى المستقبل أو الماضى؟ ذلك لأن إدراكات النفس اللطيفة تحررت فى المنام من حواس الجسد.. فكيف إذا تجلى لها النور؟! [إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ] **سبأ:50** إنه قريب من كل شيء، هذا أصل أصول الإيمان بالغيب، تسانده النصوص القطعية وتثبته، وتؤكده قواعد اللغة العربية وتباركه، وكلها أدوات علمية لا يجوز إبطالها هنا !. ولو كان الأمر كما يزعمون بأن الله ليس معنا بنفسه، ويعلمنا من فوق عرشه من خارج أقطار السماوات والأرض، كيف لا يبلغنا النبى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بوضوح وقد أمره الله أن يُبَلِّغَ رسالته ؟!.. بل إنه قد بلَّغنا أنه معنا وفوق عرشه هو هو الله. وهذا فى لغة العلوم الكونية الحديثة يعنى أن الله يوجد

مكانيا مع كل ذرة يصور هيكلها ويقدّر فيها قوّتها ويحدد لها وظيفتها ودهرَها ثم فناءَها ثم إعادَتها.

*** الإعجاز العلمى فى عقيدة القرب الحقيقى:**

عجزت البشـــرية مجتمعة أن تأتى بمثل ما جاء به الإســـلامُ من حقائق علمية تثبت للناس صـحته وصـلاحيته المثالية العملية لإصـلاح أحوال الناس فى شـتى الميادين. ويتبارى علماء المســلمين فى تجلية أوجه الإعجاز فى مجالات كثيرة. وأرى أنَّ عقيدةَ الإســلامِ (فى القرآنِ والسُــنَّةِ) لا تقلُّ إعجازًا عن شـريعتِه، لأن العقيدة فى اللهِ الواســعِ القريبِ مع كل الناسِ على الحقيقةِ لن تجدها الآن إلا فى (القرآنِ والسُّـــنة) – ودَعْكَ مِمَّا يُخَالِفُهُما.

هى عقيدةٌ يعِى أهميتَها وأثرَها أهلُ التجارةِ وأربابُ الأعمالِ وعلماءُ الاقتصـــادِ. كَمْ من الأموال تُنفَقُ على الرقابة ؟ رقابة جودة الإنتاج، رقابة ضـــغط النفقات، رقابة ضــبط سلوكيات الأفراد..إلخ، إنها أموالٌ ليست بالقليلة، ربما تصل إلى ربع تكلفة السِّلعةِ أو الخِدْمةِ. وعقيدة القرب الحقيقى تجعل الإنسانَ كأنَّه يرى ربَّه، والمجاز هنا لجعل الرؤية مجازية وليس لجعل المعية مجازية، ذلك لاســتحالة إدراكنا للهِ بالبصـــر رغم وجوده معنا. وفى الحقيقة ليس الله وحده تعجز أبصارنا عن إدراكه رغم قربه، بل أقسم الله بما لا نبصر كما أقسم بما نبصر للدلالة على وجود هذا وذاك. فعقيدة القرب الحقيقى إذا وقرت فى قلب الإنسان جعلت عليه رقيبا قويا من نفسه يتضاءل معه أىُّ رقيبٍ آخر، بما يعنى توفيرًا فى أموال الرقابة.

ولهذه العقيدة قدرها عند علماء النفس والتربية، كم يعانى الإنســـان من الوِحدَة والعُزلة إذا انفضَّ عنه الناس وقد كَبُرَت سِـنُّه ووَهَن عظمه وعَلَّت صـحته.. كم يشـعر حينها بالوحشـــة والغربة والإهمال ؟! إن الملاذ الأمثل له آنذاك والمنقذ له من الاكتئاب هو عقيدة القرب الحقيقى لله معه. أيها الشيخ الكبير الضعيف.. لا تحزن إنك لست وحدك !!.. إن الله قريبٌ معك.. ألا تراه ؟!.. إن لم تكن تراه فإنه يراك. انتبه إليه. كلِّمْهُ. أطلُبْ منه كلَّ ما تشـــاء. إنَّه عزّ وجلّ يحضُّ الناسَ على عيادتك ليجدوه عندك،

ولكنهم متشـككون غافلون عنه وعنك !!، لا عليك يا عبد الله.. أليس الله معك ؟ أليس الله بكافٍ عبده ؟.. ألستَ عبدَه ؟. وأنت أيها المظلوم المقهور.. أقْسَمَ اللهُ ليَنْصُـرَنَّكَ، أُدْعُهُ بما شِــئتَ، تقرَّبْ إليه بالسُّــجُودِ فهو قريبٌ معك. يراجع فى ذلك مجلة الطب النفســى الإســلامى (النفس المطمئنة) ص5 العدد/30/أبريل1992 حيث جاء فيها (يقولون فى المدرســة الوجودية للطب النفســى: أنا وأنت هنا الآن. وتقول المدرســة الإسلامية: **أنا وأنت مع الله هنا الآن)**أهـــ وفى ذلك ضرورة إثبات المكان والقرب لله عزّ وجلّ.

وهى عقيدة يعرف قدرها رجال القضاء وفض المنازعات، الكلُّ يُؤدِّى ما عليه ويتسامح فى حقوقه، الكل يخاف الله الذى معه، ففيم المنازعات؟!. تولَّى عُمرُ بنُ الخطاب رضــى الله عنه القضــاءَ فلم يُعرَض عليه نزاعٌ واحدٌ فاســتقال!!. كذلك يعرف قدرها رجال الأمن ومكافحة الجريمة، وغيرهم..، وغيرهم.

وتتوالى الإعجازاتُ لعقيدةِ الحقّ فى كلِّ المجالات. فإذا عرضــنا هذه العقيدة على أيِّ عاقلٍ فلن يســتطيع رَدَّها ولو تلعثم قليلاً !، لأنَّ حُجَّتَها عنده هو، عند كل عاقلٍ فى نفسِـه ومن حولِه كما قال اللهُ عزّ وجلّ {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفلا تُبْصِرُونَ}**الذاريات:21** ولو دَرَسْنَا العقيدةَ دراسةً عِلميةً كَمِّيَّةً، وربطنا النتائجَ بأسبابها، لوجدنا أن ما تحقق فى ظل عقيدة القرب الحقيقى لَمْ وَلَنْ يتحقق أبدًا فى غيابها. والتعطيل يحرمنا من الأســبابِ والنتائجِ معًا !، ويالها من خسارة فادحة.

7. فَعّال لما يُريد، غالب على أمره، وما تشاءون إلا أن يشاء الله.

{ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }107هود، { فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }16البروج

ونورد هنا ما جاء فى تفسير الإمام القرطبى فى سورة البروج :

(" فعال لما يريد " أي لا يمتنع عليه شــيء يريده. وعن أبي السـفر قال: دخل ناس من أصحاب النبي **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على أبي بكر رضـي الله عنه يعودونه فقالوا : ألا نأتيك بطبيب ؟ قال: قد رآني! قالوا : فما قال لك ؟ قال : قال إني فعال لما أريد). **أهـ** فلا يقع فى مُلك الله إلا ما يريد، وكل أفعال العباد بلا استثناء أرادها الله

عز وجل، وخلق عباده لإظهارها فيهم واقعًا ملموسًـــا، ولا يعنى ذلك أنّه قد أمرهم بها بلا اســـتثناء، لا، بل إن الله يأمر بالعدل والإحســـان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشـاء والمنكر والبغي. ويجب علينا ملاحظة الفرق بين إرادة الله الكونية وبين أمره ونهيه فى التشريع. فالله خالق كل شيء بإرادته ومشيئته، ويصنع كل صانع وصنعته، (فأما من أعطى واتقى * وصـدّق بالحُسـنى * فسـنيسـره لليُسـرى* وأما من بخل واستغنى * وكذّب بالحُسنى * فسنيسره للعُسرى) **الليل الآيات 5-10** فكُلٌّ ميسّرٌ لما خلُِقَ له، وكل فريق مجزى بما أظهره الله على أيديهم بمشيئتهم فيما يبدو لهم، ولكن الحقيقة أن المشـــيئة الفعالة لله وحده، وما لم يتم فعله إختيارا وانصـــياعا من جانب العباد لشـــرع الله، يفعله الله قضـــاءً وقدَرًا، كقوله { وَلَوْ شَـــاءَ اللهُ لَسَـــلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ}النسـاء90 أما كيف يسـلطهم، فهذا قطعا ليس من خلال شـريعة يرسـل بها رسولا إليهم، ولكنها القلوب التى بين أصـابع الله يصـرفها كيف يشـاء – وهذا هو دليل القرب الحقيقى – فيقع ما يشـاء الله قدرا مقدورا. ومشـيئة العباد لا تكون فعالة ولا تقع إلا إذا صـادفت مشـيئةَ الله، بدليل أن الإنسـان لا يسـتطيع فعل كل ما يشـاء. قال عز وجل (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَـاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَـاء وَتُعِزُّ مَن تَشَـاء وَتُذِلُّ مَن تَشَـاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ) **26-27آل عمران** وقال عز وجل (كذلك زيّنا لكل أمة عملهم)**الأنعام** وعدم إدراك الخاســـرين لحقيقة القرب وآثاره يجعلهم يتمادون فى الخســـران! يقول الله عزّ وجلّ { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَـــبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِـــنُونَ صُـــنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا }**الكهف103-105** لكن إدراك حقيقة القرب وآثاره يجعل المؤمن حذِرًا فى التفضيل والاستحسان، فالحسن حقا هو ما حسَّنه الله، وليس ما يُفضّله الإنسانُ بهواه. – راجع (خلق أفعال العباد)البخارى.

وفي مسـألة خَلق الافعال يقول سـعيد النورسـي (مذهبُ أهل السـنة وسـطُ بين الجبر والاعتزال، فالجبرية : إفراط حيث يحرم الانسـان من العمل، والمعتزلة: تفريط حيث يمنح التأثير الفعال للانسـان. أما أهل السـنة فهو الوسط حيث يمنح بداية تلك الأفعال إلى الإرادة الجزئية ونهاياتها الى الإرادة الكلية.)أهـ إشارات الإعجاز. يقصد بالإرادة الجزئية إرادة العبد، وبالإرادة الكلية إرادة الله.

والحق أن الإنسـان لا يملك أكثر من النية والهِمَّة، ثم الله يعينه على ما يشـاء، وعلى الهمة يترتب الثواب والعقاب ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ اللَّهُ عز وجل إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَـيِّئَةٍ فَلا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَـيِّئَةً وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا * رواه مسلم.

وقول الله { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَـلْنَا الشَّـيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} مريم83، وقوله { إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء}الأعراف155 ومثل ذلك، يثبت أن الله مع كل الناس، ويسـلط من يشاء على من يشـاء، ولكن لا يخلو فعله من الحكمة والعدل، لأنه منزهٌ عن العبث والظلم، والشر ليس إليه. فإذا ما سلط الله الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، فذلك لأنهم كفروا بالله. وإذا ما سـلط الله الكفارَ على الكسـالى من المسلمين فقتلوهم وشردوهم، فذلك لأنهم تكاسلوا ونسوا حظا وفيرا مما ذُكِّروا به. وهكذا مضـت سـنة الله. أما لماذا يفتن – يمتحن – اللهُ الناسَ؟ فالجواب : هذا حق له لا جدال فيه بعد ما أرسـل إليهم الرسـل مبشـرين ومنذرين.

9 – الله هو (المُقِيتُ): أى القدير على توقيت كل شيء.

قال عز وجل :

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ الحجر

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ ص

۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ
أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي
وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا
وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى
ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ
جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ
إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ الأعراف

وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ المرسلات قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾

لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ الواقعة

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ النساء

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ النساء

ولو كانت كلمة (المقيت) من (القوت) لجاء التعبير هكذا (وكان الله لكل شيء مقيتا)، ولكنها من الوقت والتوقيت، فالله هو المحدد لوقت وميقات كل شيء من حيث خلقه وإيجاده وتقديره وتدبير أموره وتجليته وظهوره، فيقول عزّ وجلّ

{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ}الأعراف١٨٧

إلى جانب المترادفات والمتقاربات مثل: أجل، ميعاد، يوم، حين، لقاء، وعد،.. والتى تدل على الوقت، وَقَّتَهُ فهو مُقِيتُهُ. كل ذلك له صلة قوية باسم الله (المقيت) الذى جعل لكل شيء وقته وأجله وميعاده وحينه، المُقَدِّرُ لكل شيء، إنها (الخطة الدهرية) وضعها وقدّرها الله (**المقيت) عز وجلّ**، فهو (الدهر) (الأبد) (الواسع)، مُطلقُ المكانِ والزمانِ له وبه ومعه وعنده، إنَّهَا من أسمائِه وصفاتِه.

ولم تأتِ كلمة (زمان) فى القرآن، ولكن ذكرها النبيُّ بمعنى الحِين و الحِقبة، حيث قال صلى الله عليه وسلم : تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَلا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا يَقُولُ الرَّجُلُ لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلا حَاجَةَ لِي بِهَا. **رواه البخارى**

الباب الثالث
تعريف العقيدة فى
قُربِ اللهِ وأهميتها.

أولا : التعريف بالعقيدة:

العقيدة (لغة): العقيدة على وزن فعيلة بمعنى مفعولة أى معقودة.. والعَقد هو الجمع بين طرفى الحبل.. والعُقدة فى الحبل أقوى أجزائه. وسُميت العقيدة بذلك لأن قضاياها ينعقد عليها القلب فلا تقبل الانحلال، لا بالظن ولا بالشك ولا بالوهم. والاستسلام بالظاهر فقط لعادات أو تقاليد لا يُسمى عقيدة وإنما هو المُحاكاة والاتباع المجرد الخالى من اقتناع راسخ فى القلب، والواجب شرعا هو الاقتناع، فالإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.. ويتبين ذلك من قول الله عز وجل :

{ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ } سورة الحجرات

العقيدة (اصطلاحا) : هى الإدراك الجازم المطابق للواقع (أى الحق)، وهذا الإدراك ناشىء عن دليل لا يقبل الانحلال لا بالظن ولا بالشك ولا بالوهم. وحكمها الشرعى هو الوجوب على البالغ العاقل. لأن القلب لا يَسْلَمُ حتى تَسْلَمَ العقيدةُ فى الله تبعاً للقرآن والسُّنَّة لا غير.

خصائص أدلة العقيدة فى الله عز وجل:

ويجب أن تكون أدلة العقيدة قطعية الثبوت قطعية الدلالة، أى ثابتة فى الشرع ولا تحتمل أكثر من معنى واحد، ولا يُقبل دليل لا يتوافر فيه هذان الشرطان. والدليل على أنها يجب أن تكون ثابتة فى الشرع قول الله عز وجل:

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾)الإسراء

فلو كانت الأدلة من خارج الشرع تكفى لكانت مؤاخذة الله للناس قبل بعثه للرسل واردة أو جائزة ولو بدرجة ما. والدليل على أنها يجب أن تكون قطعية الدلالة وليست ظنية قول الله عز وجل :

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ ﴾يونس:٣٦

وقوله عز وجل ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النجم

مثال من القرآن الكريم للدليل قطعى الثبوت قطعى الدلالة :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

أى: الله بنفسه وصفاته شيء واحد له أسماؤه الحسنى التى تصفه بما وصف به نفسه بصفاتٍ قائمةٍ به لا تنفك عنه، والأحدية تنفى العدمية وتثبت الوجود، والواحدية تنفى التعدد.

مثال من السنة النبوية للدليل قطعى الثبوت قطعى الدلالة : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَصَمَّ وَلا غَائِبٍ هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رُءُوسِ رِحَالِكُمْ. رواه البخارى وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. ومعنى (ولا غائب) يعنى (حاضر بنفسه).

وهذه الأدلة ومثلها فقط هى المُعتمَدَة. فالحق لا يُعرف بالظن ولا بالوهم.. ولكن يُعرف ويُعبد باليقين، علم اليقين فحسب، ثم عين اليقين. ولا يحق لأحدٍ إغلاق الباب دون ذلك أو منع من يقول به، لأنه حق من حقوق الله واجبة الإثبات دون تهاون أو تردد. فالإثبات هنا هو دليل تصديق العبد لربه وإيمانه الجازم به. ونحن نعلم أن الله عز وجل قد قرن بين علم اليقين وعين اليقين فى رؤيتهما للحقيقة إذ يقول عز وجل:

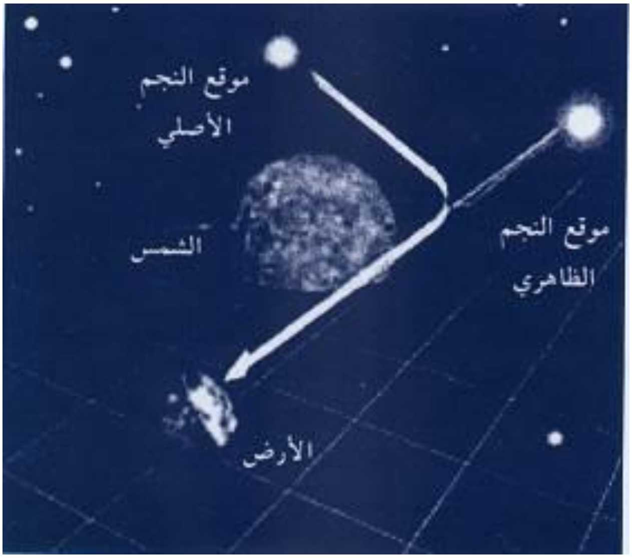
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ التكاثر

ومحور العقيدة هو: حديث جبريل عليه السلام : قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ

لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.. وللحديث بقية رواه الإمام مسلم.

ولن تحسن العبادة إلا وأنت تشعر أنك فى حضرة الله القريب منك **كأنك تراه**، لأنه لا يمنعك من رؤيته بُعْدُهُ عنك مسافةَ شِبْرٍ، وإنما فقط لأنه لا تُدركه الأبصار، فهو غيبٌ وليسَ بغائبٍ. هو غيبٌ وهو معكم أينما كنتم يراكم بإدراكٍ كاملٍ، أكملِ من رؤيةِ بعضِكم بعضًا وأكملِ من إدراكِ بعضِكم بعضًا. وبذلك يَسْلَمُ القلبُ، فلن يَسلمَ حتَّى تَسلمَ عقيدتُه.

وإذا كان أهل الكلام والمنطق قد رأوا أن الكلام فى الوجود يكون على أربعة أوجه هى : الوجود المطلق ويقابله العدم المطلق، والوجود المقيد ويقابله العدم المقيد، فإن الوجهين الأخيرين يقتضى أحدهما الآخر ولا يتصور أحدهما بدون الآخر. لذلك، وبعد استبعاد العدم المطلق، سنتكلم عن الوجود المطلق والوجود المقيد لنتبين أيهما يصح لله شرعا وعقلا وأيهما لايصح، والبحث هنا يجب أن يكون شرعيا وكونيا فى آن واحد، فمثلا ليس لعلماء الشريعة أن يتكلموا فى نوعيات وكيفيات وصور وأطوار وجود المخلوقات الكونية أو فى كيفية وجود الله نفسه –مع مخلوقاته أو بائنا عنهم – ما لم يحيطوا بكل ذلك إحاطة تامة نافية للجهالة وبعلم اليقين، وليس لهم هنا أن يعتمدوا على الظن والتخمين أو على معرفتهم المحدودة. كما يلزم هنا الاتفاق على تعريفٍ صحيحٍ لمعنى المكان، لأنه يتعلق بمسألة وجود الله، ولابد من التفريق بين النسبىّ منه والمطلق، فمكان المخلوق نسبىّ يتحدد بحجم وجوده، ومكانُ اللهِ مُطلَقٌ غيرُ محدودٍ : أنظر النموذج التالى :-



(نموذج رقم 5)

نموذج يبين المكان الظاهرى والمكان الحقيقى للنجم نتيجة انحناء الضـوء وعدم سـيره فى خط مسـتقيم، فتراه العين على امتداد آخر نقطة انحناء. كما يبين لنا دوام انتقال النجم من مكان إلى آخر.[1]

يقول د/ زغلول النجار (ومواقع النجوم هى الأماكن التى تمر بها النجوم فى جريها عبر السـماء). ومنه يتبين لنا معنى (المكان) ومعنى (السـماء) عند علماء الأمة الإسـلامية، وهى معانى متطابقة مع ما جاء فى القرآن والسـنة، بما يعنى الاتسـاع مع وحول الأرض

من كل الجهات. ويتم التعبير عن الاتسـاع بالعلو والفوقية أيضـا. فإذا فهمنا العلو والفوقية فى حق الله بالاتسـاع المطلق – وليس بالابتعاد المطلق – فهمنا أن الله معنا حقا كما هو فوق العرش حقا، ويتم إحقاق الحق فى القرب والمعية، وينتهى التأويل فى المعية والاسـتواء على السـواء، وينتهى معه التعطيل والتحييز والتشـبيه، فقوله عزوجل{ليس كمثله شيء} جاء مع إثبات القرب وليس مع نفيه.

تعريف المكان كما جاء فى الكتاب والسنة :

1 مجلة الإعجاز العلمى – العدد 21 جمادى الأولى 1426هـ ص6

(**المكانُ**) هو (**الموقعُ**) الذى يوجدُ فيه الشـــيءُ. والدليلُ من القرآنِ الكريمِ هو قولُه عز وجل (فَلا أُقْسِمُ بمواقِعِ النُّجُومِ) **الواقعة: 75** وترجمتها بالإنجليزية:

Nay, I swear by the places of the stars

فلقد ميَّز القرآن الكريم بين النجوم وبين مواقعها، أي ميز بين الأشـــياء وبين أماكنها. وكل موقع فى الوجود يسـمى مكانا حتى ولو لم يوجد فيه شـيء، لأنه من الممكن أن يوجد فيه شيء إن شاء الله. والمحدود هو النجم وليس المكان، بل الفراغ غير محدود. (الإعجاز العلمي في القرآن والســـنة. د. زغلول النجار). والفراغ – أى المكان – هو **العماء** المشار إليه فى السنة المطهرة حين سُئل النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** " أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ قَالَ: كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ". حَدِيثٌ حَسَنٌ. سنن الترمذى–تفسير سورة هود. أى ليس تحته فراغٌ يخلو منه وليس فوقه فراغٌ يخلو منه. فالعماءُ هو المكانُ الواسـعُ الذى لا حدودَ له – **بدليل السؤال عنه بأين** – واللهُ فيه كله. ولم ينكر النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على السائل سؤالَه عن الله بأين، ولَمْ يَنْفِ (المكان) عن الله بل أثبته بقوله " فى عماءٍ " و " بينكم وبين رءوس رحالكم ". مع اسـتعمال كل ظروف المكان مثل : فى، على، فوق، بين، أمام،.. **ومجموع الأماكن النسبية المشغولة بالمخلوقات مع ما عداها من فراغ هو المكان المطلق** المنســوب إلى الله أزلا أبدا.. ولولا وجود الله في **(المكان المطلق)** لجاز تسـميته عدماً. وبهذا التعريف الثابت فى القرآن والسـنة قطعيا يكون المكان هو الاتســاع غير المحدود، ســواء كان الله فيه منفردا أم فيه ومعه مخلوقاته المُســبِّحة الســابحة المتنقلة من موقع إلى موقع دون تعارض أو تصــادم أو تزاحم بين وجودها ووجود الله بحُكم التباين النوعى ؛ فالله ليس كمثله شيئ. فالمكان صفة اتساع لا تنعدم لأنها ثابتة لله نفســه، ولا يُقال هنا أن الله محتاج إليه ؛ لأنه لا يصــح أن يقال أن الله محتاج إلى صــفاته. الله هو الظاهر وحده فوق مخلوقاته فى جميع الجهات إلى غير حد، وهو الباطن معهم أينما كانوا أقرب إلينا من حبل الوريد، هو الدهر الواســع بلا حدود، هو الأول والآخر والظاهر والباطن. واختلاف المثلية بين الأشــياء يجعلها

موجودة فى مكان واحد دون مشـــكلة، أنظر عالم الأرواح وعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنس وغيرها، ويجرى الشيطان من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فى استقلال وتباين نوعى. والله معهم جميعا يُدركُهم ولا يُدركونه وبكيفية لا يعلمها إلا هو، ولا قياس. هذه المعية ثابتة فى الكتاب والســـنة يقينا وأمرنا الله أن نؤمن بها. فالذين قالوا أن الله فوق عرشه دون أرضه وسماواته تنزيها له عن المكان لم يذهبوا به إلى لا مكان كما يظنون ! لأن ما فوق العرش هو فى نظر الشرع مكان أيضا.[1]

أما من فعلوا ذلك بدعوى تنزيهه عن الحلول والاتحاد فى خلقه فقد فاتهم أن هناك فوق العرش وحوله من الخلق الكثير والكثير!. قال عز وجل :

{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }7 غافر

وقال الله عز وجل { وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 75الزمر

ولا يعرف مدى أو حدّ وجودهم حول العرش إلا الله عز وجل، فعلى أى أساس اختصوا فوق العرش دون غيره مكانا لله ؟!.. كما أســـأل الذين قالوا لا ندرى أين الله.. ألم يخبرهم الله فى كتابه أين هو ؟! أوَلم يخبرهم رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أين الله ؟!!.. بل إنه عدم تعريف المكان تعريفا صــحيحا.. فالنجوم والكواكب وكل المخلوقات المادية، هى أشــياء تشــغل أماكن، ولأنها مادية ولها أجســام ذات كتلة، فهى تتزاحم ويزيح بعضها بعضا أو يذوب وينتشر أحدها فى الآخر عند الوجود فى مكان واحد،.. ولكن إذا اختلفت الأشــياء اختلافا كاملا من حيث الخلق والتكوين، فقد توجد معا فى مكان واحد دون إزاحة أو تزاحم أو حلول أو اتحاد، مثل الملائكة والروح يمرون من البروج المشــيدة من حديد وحوائط ســميكة من الخرســانة الحديدية مهما كان سُــمكُها

[1] لم يجد أ/ محمد خليل هراس وأ/ عبد الرازق عفيفى غضاضة فى تسمية (العماء) بـ(المكان العدمى) فى كتاب شرح العقيدة الواسطية / ص80-81

وانغلاقها، ولا تعوقهم ولا يَحِلون فيها ولا يتحدون معها، مع تسـليمنا هنا قطعًا بمعية حقيقية فى مكان واحد يضـم الملائكة وهذه البروج.. قال عز وجل { أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ } **النساء 78.**

فإذا كان لبعض المخلوقات مثل هذه القدرة على الوجود اللطيف الذى لا يضـره ولا يعوقه شـيء من حياتنا المادية، فكيف يقول البعض باستحالته فى حق الله وهو النور اللطيف القادر المقتدر الذى لا يعجزه شـيء ؟! فالمكان هو الفراغ العدمى (العماء) غير المحدود الذى كان الله فيه كله قبل أن يخلق الخلق ولا يزال. نعم ولا يزال مع كلِّ مثقال حبة من خردل تكن فى صـخرة أو فى السـماوات أو فى الأرض يُديرُها وظائفيًّا ويأتى بها متى وكيف يشاء. فإذا أخطأ العلماء قديما فى تعريف المكان، وقالوا بامتناع وجود الله نفسه فيه، فعلى العلماء اليوم أن يتفكروا ويبحثوا ويُصَحِّحُوا، وليس مقبولا منهم أن ينحصـرَ دورُهم فى مُجَرَّدِ النَّقلِ لتفسـيراتٍ وآراءٍ قديمةٍ تحتملُ الخطأَ وتحتمل الصواب !.

والمكان لابد أن يكون سـابقا فى وجوده على وجود أى مخلوق، فأول وأقدم مخلوق خلقه الله، لا بد أن يخلقه فى مكان، لذا يجب القول بأن المكان قديم، ولا يصـح القِدَمُ إلا لله وصفاته، فالمكان المطلق صفة اتساع لله الواسع، وبه يتحتم وجود الله نفسه معنا.

يقول د/على جمعة (ويؤمن المسـلم بالمطلق، لأنه آمن بأن الله لا نهائى ولا محدود، والإيمان باللانهائى واللامحدود أتى من إيمانه بأسمائه وصفاته، فأسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن والسّنّة تمثل الهيكل التربوى للمسلم، قال سبحانه وتعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " الأعراف:180)إنتهى.[1] ولا يصح الكلام عن الوجود المطلق إلا بالكلام عن المكان المطلق، لأنه لا وجود إلا فى مكان، لذلك يلزم الاتفاق على تعريف دقيق لمعنى (المكان).

ثانيًا: أهمية عقيدة قرب الله وعظيم أثرها فى الأفراد والمجتمعات.

---

[1] كتاب(البيان لما يشغل الأذهان)ص22- أ. د/ على جمعة - مفتى مصر

لو كانت المسـألةُ مسـألةً فقهيةً يجوز فيها تعدد الآراء والاجتهاد ما كنت أتعبت القارئ الكريم فى قراءة كلمة واحدة من هذا الكتاب.. ولكن وجود الله هو حق لا يصح فيه إلا وجه واحد أخبرنا الله عزّ وجلّ به فى كتابه العلى المبين وأخبرنا به النبى الصـــادق الأمين **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فنحن عندنا فيه علم اليقين الذى قد يتساوى لدى المؤمن مع عين اليقين. ومن اختلاف وانقســـام الموحدين فى إثبات مكان الله يتضـــح حجم المأساة، فما بالنا لو استقصينا جميع الناس !..

ولو عَبَدَ الإنســـانُ إلهًا بعيدًا منه أو غائِبًا عنه فإنه بكل تأكيد يعبدُ غيرَ اللهِ !!.. لأن الله لم يصف نفسه أبدًا بالبُعد أو بالغياب.

إذنْ فالأمر يتعلق بعقيدة المؤمن فى الله نفســه عزّ وجلّ، وفى كتابه العزيز، وفى نبيه الصادق الأمين **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لذلك وجدت أنه من أوجب الواجبات أن أخلص كلام الله ورسـوله مما عداه، فلا تجوز المسـاواة بين كلام الله ورسـوله **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبين غيره من كلام البشر كانوا من كانوا. ولا يجوز للمؤمنين أن يظلُّوا مذبذبين فى القرب الحقيقى لله معنا، فهو الحق، وأعتب على عُلماءٍ تكلموا فى مقاصــد الشــرع الإسلامى وأسقطوا منها هذه المسألة.

وإليك مثال من الواقع لأثر عقيدة القرب والمعية والعلو المطلق لله نفســـه وكيف أثَّرَت فى حياة الناس : أمّة الإســلام على عهد سـيدنا محمد رسـول الله – **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ** – والذين معه اعتقدوا فى معية الله لهم معية كاملة تامة حتى أن النبى محمدا **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كإخوانه الأنبياء لا يعتدُّون إلا بها فى أحرج اللحظات والمواقف، فهى عقيدة النجاة والنصر والإنقاذ السريع: قال عز وجل " لا تحزن إن الله معنا " 40 التوبة يقص علينا قول النبى محمد **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لصاحبه أبى بكر الصديق **رضـــى الله عنه** إذْ هما فى الغار: ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وقال عز وجل (إن معى ربى سيهدين) 62 الشعراء. **يقص عن نبيه موسى.**

وقال عز وجل (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) 99 الصافات.. يقص عن نبيه إبراهيم.. وهو ذهاب قلبى عقائدى. والمؤمنون هم الأعْلَوْنَ معه، وهو الأعْلى معهم، قال عزّ وجلّ :

{ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ } محمد وكما قال لموسى وهارون عليهما السلام:

{ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ } طه

فلم يمنعه عُلوُّه عن معِيَّتِهِ لنا، كما لم يمنعنا وجودنا فى الأرض من معيته عزّ وجلّ. وهما فى الأرض، وقال لموسى (إنك أنت الأعلى) **طه68** فكلمة الأعلى قد تشير إلى المكان وقد تشير إلى المكانة والقدر.

فالأنبياء والصحابة اعتقدوا فى قربه منهم ووجوده الواسع وقدرته على نصرهم فعبدوه بإحسان عبادة الحاضر للحاضر { إياك نعبد وإياك نستعين } **الفاتحة** – وإلا فما معنى وما جدوى السجود لمن هو غائبٌ أو بعيدٌ ؟!! – بل آمنوا بوجوده معهم بنفسه، لأنه قالها، وقاعدة الإيمان عندهم هى (إن كان قال فقد صدق). فغلبوا أعداء الله بإذن الله. وكان بمقدورهم أن يقولوا أن الله يعلمنا أو يرانا أو يسمعنا من فوق عرشه، لكن لماذا ووجوده واحد معهم وفوق العرش ؟! فلم يفرّق القرآن فى وجوده سبحانه ولم يُقسّمه ولم يمنعه من مكان؛ {إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } **سبأ:50**، {إنَّ رَبِّى قريبٌ مُجيب}هود61 هذه العقيدة ملأتهم ثقة فى الله وقدراته غير المحدودة على فعل المعجزات فى أى وقت وفى أى مكان شاء، فأنزل الله جنوده فى صفوفهم للبشرى والطمأنينه، ونَصَرَهم بنفسه أو كفاهم القتال، وأرسل على أعدائهم جنودا لا قِبَلَ لهم بهم. إنه الله يدافع عن الذين آمنوا به كغيبٍ حاضرٍ قريبٍ معدودٍ معهم، لا كغائبٍ بعيدٍ فوقَ العرشِ بذاتِه معدودٍ هناك غيرِ معدودٍ هنا. ومن بعدهم لم يتغير الله ولكن تغيرت عقيدة الناس فى كمال القرب والوجود والمعية وطلاقة القدرة ! حتى بات منهم من يقول أن زمن المعجزات والكرامات قد ولّى! لأنه لا يُؤمن بوجود الله معنا حقا، وعَزَى كلَّ فعل للأسباب، شك فى أن الله يُجيب المضطر إذا دعاه، وينصر من ينصره.

إننى أكاد أحصر أسباب مشكلات الأمة الإسلامية كلها فى ضعف إيمانهم بالله وقربه منهم – رغم أنه معهم ! – حتى أنهم لَيَرْضَــون من ذلك بالمجاز دون الحق !، وليس لله أن يقول إلا الحق.. فالله هو الله الواحد الأحد الواســع الكبير العظيم.. هو – وليس علمه – معكم أينما كنتم. ودين الإسـلام يخبرنا بأن **الله** عز وجل معنا أينما كنا وعلى العرش اسـتوى واحدا أحدا. وذهب الصـحابة والتابعون فى فهم الاسـتواء على العرش على معنى العلو والفوقية إلى جانب القرب والمعية دون اختصـــاص بجهة دون أخرى أو بمكان دون آخر. وإلى هنا وشرع الله يؤيد هذا الفهم وهذه العقيدة ؛ فالله هو الواسع الكبير المتعالى القريب، والأدلة كثيرة وقاطعة فى ثبوتها ودلالتها على وجود الله مع وفوق كل شـــيء.. وإلى هنا والمســـلمون بخير.. إلا أنه ظهر بعدهم من يريدون أن يُقصِــروا وجود الله على (الفوقية الخارجة عن العرش من فوقه) تخصـيصــا.. زاعمين بذلك تنزيهاً لله – ســـبحانه وتعالى عن تنزيههم هذا!، وهؤلاء لدين الله معهم وقفة طويلة. يحاول هذا الكتاب مجادلتهم بالتى هى أحســـن ليرجعوا عن كلامهم فى تخصـــيص **مكانٍ بعيدٍ** لله – تعالى الله عن ذلك – وليتكلموا فقط فى **الغيابِ** الذى نفاه الله عن نفســه نفيا مطلقا، وفى **القُرْبِ** الذى أثبته لنفســه ثبوتا مطلقا بنصــوص قاطعة الثبوت والدلالة، لأن التفريط فى عقيدة المعية على حقيقتها هو فى الحقيقة تفريط فى نصرتنا لله وفى نصرة الله لنا، والواقع خير دليل على ذلك، فقد انتصر النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه، ولكننا انهزمنا !.

لن تجد فى كلام الله عز وجل وكلام رسوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** دليلا واحدا **يُحيِّزُ** اللهَ سبحانه فى ذاتٍ ثم يُخصص لها مكانا دون آخر أو ينفى وجودها من الأرض فى دلالة قطعية – وإن لم تكن (الذات) للتحييز فما معناها ؟!. ولا اعتبار لأدلة من نتاج مُخَيِّلة البشر سلفا أو خلفا الذين لا يعرفون شيئا عن حقيقة الله (الغيب المُطلق) فإنه لا يعرف حقيقة الله إلا الله. أما عن **التنزيه** والقول فى الله **بالمجاز**، فتلك فروع تتفرع عن أصـــلِها وهو الإحاطةُ بحقيقة الله، فلا يجوز أن يقول بها إلا الله، فعلينا الإلتزام بتنزيه الله لنفسه، حيث جاء التنزيه الواجب لله فى القرآن والسنة على سبيل الحصر

وليس منه بالتأكيد تنزيه الله عن الوجود معنا بنفسه يفعل أفعاله!.. فهو عزّ وجلّ – إلى جانب تكليفاته للملائكة– له من الأفعال ما لا يقوم بها إلا هو، فهو الذى يخلقنا ويُصَوّرنا فى الأرحام كيف يشاء ويُحيى ويُميت وهو الله الحى الذى لا يموت، وحقيقة قربه هى صفة له لا تموت، وإثباتها مسألة عقيدة تخص كل مؤمن، ويجب ألا يضيعها المتكلمون. قال عز وجل { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } **يونس104** لماذا يا ترى إختار الله الوفاة هنا دون غيرها من أفعاله الكثيرة ؟ هذا ليؤكد لنا على قربه منا بنفسه إذ يتوفانا بالليل والنهار، فهذا فعل من أفعاله الظاهرة فينا والقاهرة لنا، ولا يُمكن لأحد إنكاره، ووفاة نفس النائم يباشرها الله عز وجل بنفسه ويرسلها عند اليقظة بنفسه، إنما الموتة الكبرى يحضرها مع الله الملائكة يقبضون النفس بعد أن يتوفاها الله من الجسد. ولو تعرّفنا على الله وعرَّفناه للناس من هذا القرب وهو الحق لتراجع الكفر وانحصر فقط فى غير العقلاء. إن الله بإثبات قربه مع خلقه يقطع الطريق على من يعبد الأنبياء أو الأوَلِياء، لأنهم جميعا من خلق الله ويتوفاهم كما يتوفانا. فمن هذا الذى لا يؤمن بمن يشق السمع والبصر ويصور الأجنة فى الأرحام؟ إن الناس قد أقروا بأن الخالق هو الله ؟! فلماذا لا نخبرهم بأنه مع خلقه حيث يخلقهم ؟! إنه أمرنا أن نخبرهم، إن أفعاله أين ما وقعت فهى من دلائل وجوده، إنها عقيدة النبى والصحابة والتابعين، الله معنا وفوق العرش، فلماذا نخالفهم؟! إنّى لا أشك فى وضوح هذه الحقائق وثبوتها فى الكتاب والسنة بالبحث العلمى النزيه، وإنما أظن – وليس كل الظن إثم – أن وراء محاولات إخفائها عَمَلاً دؤوبا ممتدا عبر قرون الفلسفة والترجمة المستوردة فى رسائل (علمية) لها بريق، طغى فيها الجانب الفلسفى القائم على الشَّكِّ، فوضع الحقائق (الإيمانية) فى أُطُرٍ عقليةٍ خانقةٍ مُعَطِّلةٍ!، فتعطلت عقيدةُ القربِ الحقيقيِ عند (مُتصَوِّفَة اليوم) مع أنها أساسُ التصوف، وتعطلت عند (سَّلفِيَّةِ اليوم) مع أنها حقيقة التوحيد والاتِّباع، وتاهَ عنها يقينُ الأُمَّةِ مع أنها أساسُ الدِّين والهَويّة !، ألا تراها نَفَضَت قُلوبَ السَحَرةِ نَفْضًا فقالوا لفرعونَ اقضِ ما أنتَ قاضٍ!!.

الله هو الذى يُعَرِّفُنَا بنفسِه أين هو :

إنه إذا أخبرك أحد الثقات الصـــــادقين ذوى الحيثية بأنه فى بيته أو فى محل عمله، وجعل من مهامِّك أن تُعلِم وتُخبِر الناسَ بمكان وجوده، ثم وَجَدَك تشيعُ عنه بين الناسِ أنه ليس هناك أوْ لا تعلم أين هو!، ماذا بالله عليك سيكون تصرفه معك ؟ إنه موقفٌ مُحرجٌ ومُخزٍ لكلِّ مَنْ عِنْدَهُ مُرُوءة وحياء. إنها اللغة العربية بكل ما فيها من ظروف المكان تثبت لله وجودَه معنا وفى أرضــه وسـماواته وفوق عرشــه، واللهُ فى ذلك واحدٌ أحدٌ – أى: ليس عدما – يُخبرُنا عن مكانِه، فهل نقول له: لا، لا، حتى نراك أو نعرف الكيفية ؟!. إنك مع إثباتِ وجودِه نفسِه معنا لازلتَ لا تُشبِّهُهُ بشـيءٍ ولازلت تؤمن بأنه ليس كمثله شــيء، إنك فقط أثبَتَّ حقَّهُ فى الوُجُودِ الواسـعِ كما أمَرَكَ. إنك لو توسَّـعتَ فى تأويلِ "ليس كمثله شئ" بلا ضـابطٍ فستنكرُ وجودَه وأسماءَه وصفاتِه وأفعالَه مُتعلِّلاً بأنَّ لنا وُجودًا وأسـماءً وصــفاتٍ وأفعالاً !!. إن الله يُعرِّفُنا بنفسِــه، فهل نســتمع له أم نضـــع له مواصــفاتٍ من عند أنفسِــنا ؟ إن وجود النار فى مكانٍ لا يمنع وجودَ النورِ فيه، ووجود رائحة ما فى مكان لا يمنع وجود النور فيه، ووجود الإنســان والشــيطان فى مكان لا يمنع وجودَ اللهِ فيه، ووجودُ أيِّ شيءٍ فى مكانٍ لا يَمنعُ وُجودَ اللهِ فيه، لأنه لا مثلية فلا تزاحم، فلا يُقاسُ اللهُ على شـــيءٍ، ولا يُخَافُ على اللهِ من شـــيءٍ، فاللهُ لا يَضُـــرُّه شـــيءٌ. فلا تخافوا على اللهِ مِنْ خَلقِه، وخافوا منه على أنفسِـــكُم !. وكثيرًا ما يُراودنى هذا الســـؤال: هل الناس فعلا خائفون على ربهم أم هم مســـتريحون هكذا بلا حقيقة القرب بلا تبعاته ؟!.. إن اللهَ قد علَّمَنا معنى **القُرْبِ** ومعنى **البُعْدِ** كما علَّمَ آدَمَ الأســماءَ كلَّهَا، فكيف نجعلُ **القُرْبَ بُعدًا والحُضُــورَ غِيابًا** ؟!! وما دخْل (**العِلْم**) فى ذلك ؟!!.. إنَّ العِلمَ **صـــفةٌ** قد تتوافر للقريب وللبعيد على الســـواء، ولا دخل للعِلم فى إثبات **القرب** أو عدمه.

ثالثا: أهم سمات ومميزات العقيدة الإسلامية فى الله عز وجل :

1 – عقيدة أرسى قواعدها وأخبرنا بأصولها وفروعها شرعُ الله، ولا دخل لبشر – كانوا من كانوا – فى صياغة ألفاظها :

يقول الله عز وجل في سورة النجم :وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ
صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ
يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾

ويقول الله عز وجل في سورة الحاقة :
تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم
مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ
أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ
ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

هذا بالنسبة للنبي محمد **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فماذا يكون الشأن مع الأمّة كلها ؟! لقد حرّم الله على المؤمنين المُحرَّمات ومنها أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، قال سبحانه :

{ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ
بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ } الأعراف

وقال الواسعُ عزّ وجلّ { أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ }**41 الطور**

ولا يعلم أيُّ مخلوقٍ شـيئًا عن كيفيةِ نفسِ اللهِ وكيفيةِ وجودِه، فذلك غيب مطلق، وليس غيبا نسـبيا يعلمه بعض الخلق دون الآخر، وهذا يمنع على المفسرين أقاويلهم في الله بألفاظهم وعقولهم. قال ابن كثير في تفسـير الآية (كلا، فإنه لا يعلم أحد من أهل

السموات والأرض الغيب إلا الله)اهـ ورفض البعض التسليم بوجود الله نفسه معنا معناه أنهم عرفوا غيبه أو شيئا منه، وهذا ادِّعاءٌ باطلٌ. لكنه عزّ وجلّ أخبرنا باتساع وجوده فى كل زمانٍ وفى كل مكانٍ، فلم يَعُدْ خبرُ وُجُودِه معنا غيْبًا بعد هذا الإخبار اليقينى حتى ولو لم نعرف الكيفية، ولن تكون الكيفيةُ فى غيابه عنا أو بعُدِه عنّا بذاتٍ محدودةٍ لم يشأ اللهُ أن يُخبرَنا بها لنتطوَّعَ نحن باختلاقِها، فكل ذلك نفاه اللهُ ورسولُه نفيًا قاطِعًا، ونهى أن نتكلمَ أو نتفكرَ فى الكيفية بتاتا، والكلامُ عن (ذاتٍ) توجدُ فى مكانٍ دون آخر هو كلامٌ فى الكيفية. قال النبي **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره). قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية، و رواه الأصبهاني في الترغيب و الترهيب، و رواه أبو الشيخ كذلك، وهو صحيح المعنى. ويلاحظ هنا أن الحديث الشريف لم يأتِ للهِ بلفظةِ (ذاتٍ) أو (صفاتٍ ذاتيةٍ). ويقول الله عز وجل فى سورة الأحزاب:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

وقضى الله بنفسه أنه معنا وفى أرضه وفى سماواته وفوق عرشه، ولا اختيار لغيره فى هذا القضاء، ولم يُكلف الله أحدًا بالقول بما يخالف ذلك، فلماذا الكلام الذى يؤدى إلى طمس هذه الحقيقة كليا أو جزئيا ؟! يقول الله عز وجل :

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ فصلت

هذا ولم يجادل أحدُ العرب المؤمنين أو المشركين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى حقيقة القرب والمعية، ذلك لشدة وضوحها فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة

أخذا بظاهر معناها، ولكن انحسر كفر الكافرين وشرك المشركين آنذاك بعيدا عن هذا الموضوع !.. ألا يدلنا ذلك على شيء ؟!

وقال الله عزّ وجلّ { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ}**33الأنعام**، وتذكرنى هذه الآيات بالذى قاله البعض لرسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللرسل من قبله، وبأن جحودهم سببه أن الحق جاء على لسان غيرهم !، مثل قولهم فيما قص القرآن الكريم { وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }**31 الزخرف**، يذكرنى ذلك بأحد الذين عرضت عليهم كتابى هذا فباركوه، بل وساعدنى فى التعرف على أئمة عظام قالوا به، مثل إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى، وابن فورك وغيرهما.. ولكن بعد بضعة أسابيع من تأييده انقلب على عقبيه !. وبالتحرى عن سبب هذا الانقلاب المفاجئ كانت المفاجاة فى قوله لى " أتريدنى أن أكون تابعا لك ؟ ". وأتساءل : هل هو اتباع لى أم هو اتباع للحق ؟ هل هو اتباع أم مؤازرة ؟، إنها المؤازرة، لأن أهل الحق جميعا تابعون لرسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مؤازرون له. أنبه على ذلك، وأحذر كل إنسان من هذه النفس التى تدفع صاحبها لرد الحق، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أولى الناس بها. ويقول الله عز وجل :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ سورة الأعراف

معنى يُلحدون : يُخفون، يتجاهلون، يُنكرون، يكفرون.

وقد يندفع البعض وهو ينفى تحيُّز الله فى **ذاتٍ محدودة** فيقع فى خطأ فادح إذ ينفى وجود الله من داخل الكون ومن خارجه !، ولكنهم بالتأكيد يقصدون نفى تحيُّز الله فى (ذات) محدودة ؛ وإلا فماذا يقول الملحدون المنكرون لوجود الله أكثر من ذلك؟!، وهل هناك وجود إلا داخل العالم وخارجه ؟!. وجاء بعقيدة النجاة للإمام السيد محمد ماضى أبو العزايم [الله حاضر لا يغيب، وأسماؤه وصفاته وأنواره ليست منفصلة عنه، وهو سبحانه أمام ووراء وفوق ومع كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من نفس الشيء، وأنه

لا يحل فى شـــــيء ولا يحل فيه شـــــيء]. أى أن وجود الله معنا قريب ولكنه متميز ومستقل بنفسه، بائن بينونة نوعية وليست مكانية، وهذا ينقض قول المتقولين بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه.. ولكن القائمين على الطريقة العزمية الآن لهم رأىٌ آخر!! إنَّ وجودَ الله معنا فى أماكننا ليس لحاجته لنا ولا لما حولنا، ولكن لحاجتنا نحن وما حولنا إليه عزّ وجلّ. كما أن وُجُوده معنا فى المكان لا يستلزم مشابهة خلقه، ولا دليل على حتمية المشابهة من نقل أو عقل. مِن هنا يَبرُزُ الدُّورُ الأهمُّ للدَّاعِى إلى اللهِ، وهو أن يميز كلامَ اللهِ ورسولِه عن غيره من الكلام، فلا ينفى ما أثبته الله لنفسه، ولا يثبت ما نفاه الله عن نفسه، لكى يتعرَّفَ ويُعرِّفَ الناسَ باللهِ الحقِّ، ويُحِبَّ اللهَ ويُحَبِّبَهُ ويُقَرِّبَهُ إلى الناسِ ولا يُبْعِدَهُ عنهم، مع دوام التذكير بذلك دون كلل أو ملل. وإثبات قرب الله نفسه مع كل شيء قال به الله ورسوله والمؤمنون كما نرى، ونحن بعد ما أبانت لنا الذرة عن بعض أسرارها الباطنة، ووجدنا أن قوة كل شيء تنبع من باطنه، لا يسعنا إلا أن نؤمن بالقوى القريب، بل إن دلالات هذا الإيمان هى عندنا الآن أوفر، فنحن أوفر حظا ممن سبقونا،

وصدق الله العظيم الذى قال { سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ } فصلت،

الله شهيد على كل شيء ومحيط بكل شيء، من باطنه قبل ظاهره، ومن ظاهره قبل باطنه، إحاطة العلم التام والقرب التام والمعية التامة، ولا كلام فى كل ذلك إلا لله.

2- تعهد الله بحفظ كتابه بما فيه من نصوص العقيدة الإسلامية فى وجود الله :

يقول الله عز وجل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾) الحجر،

فلا سبيل لأحد إلى تبديل كلام الله، فإذا استعصى ذلك على أعداء الله عمدوا إلى أساليب أخرى، ومنها التفسير المُخِل والمُعَطِّل لحقيقة الآيات ومقاصدها. ولكن قد يقع هذا الخلل

وهذا التعطيل من أحد العلماء عفويا ودون قصد، هذا شيء وارد جدًّا لأنه لا عصمة إلا للنبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وبالتالى فالضمان الوحيد لبقاء العقيدة الإسلامية صحيحة على مدى الدهر هو أخذها دائما من المنبع الصافى، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة دون غيرهما، ومهما قيل من بعدهما يُضرَب به عرض الحائط عند تعارضه معهما. وليس أضر على العقيدة من الكلام فيها بغير علم قطعى من الله.

3: لا إغلاق لباب الكلام فى الله بما تكلم به هو عزّ وجلّ **ورسولُه عن (نفسه).** لا يمنع الشرع أحداً من ذكر الله بكل ما هو ثابت له فى القرآن والسنّة كما يليق بجلال الله وتنزيهه، بل يأمرنا بهذا الذكر، إلا ما يتشابه علينا فنرده إلى مُحكَم التنزيل ونسأل عنه أهل الذكر. ولكن جاء النهى عن محاولة أحدنا تصور ذاتٍ لله أو الكلام فيه بالعقل والمنطق البشرى والقياس الفاسد، مثل لزوم الحلول والاتحاد للمعية، أو اختراع تنزيه بما لم يتكلم به الشرع بأدلة قطعية الثبوت والدلالة. فالحلول والاتحاد إذا لزما المعية فى بعض المخلوقات لا يلزماها مع الله، بل هذا كلام سببه عدم قدرة العقل على تصور الله ويتناقض مع أصول الإيمان بالغيب. فإثبات الأينية المطلقة لله نفسه عزّ وجلّ حتى لو كان كلاما فى الكيفية فالذى قاله هو الله نفسه، أمَّا ما تكلم البعض به فى كيفية وجود الله فخصَّه بمكان دون مكان بعكس ما أنزل الله، فهو كلامٌ باطلٌ لأنه يتعاكس مع كلام الله عن معيته لنا أين ما كنا. فلم يأتِ لفظ (ذات) في القرآن أو فى السنة النبوية ليدل على الله نفسه، ولذلك دلالات هامة أهمها:ـ أن القرآن والسنة لم يعتمدا هذا اللفظ للدلالة على (نفس الله)، وأن الله نفسه أقدس وأعز من أن تتناوله الألسنة بالخوض فيه أو فى كيفية وجوده الواسع اتساعا غير محدود أو تتناوله العقول بالتصور والتخيل، فلا طاقة لهم بذلك – **أنظر باب الكنايات.** ونتأكد من ذلك من ردود القرآن على السائلين عن **ذاتٍ** لله فيردهم إلى أسمائه وصفاته وأفعاله **دائمًا** !، فمثلا : يقص القرآن الكريم علينا ما دار بين فرعون وبين نبى الله موسى عليه السلام، فيقول فى سورة طه :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ طه ولما سأل المشركون رسولَ الله محمدًا صلّى الله عليه وسلّم أن (يَصِفَ) لهم (اللهَ) نزلت سورة الإخلاص بـ(**صفات الله**) وهذه الصفات هى:

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ الإخلاص ولم يذكر الكنايات بالوجه والعين واليد..) فى سياق وصف تفصيلى ، لأن أيًّا منها يعنى الله نفسه .

وأمرنا بتسبيح الأسماء الحسنى فقال عزّ وجلّ {سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾}سورة الأعلى وهذا أمر صريح لنا لنسبح (اسم) ربنا الأعلى وهو (**الله**) لأنه يدل عليه نفسه، فأين ما ذكر لفظ (**الله**) فالله نفسه هناك ، {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}الرحمن٧٨ ، {سَبَّحَ لله مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ}١ سورة الحديد (الله) اسم علَم لله نفسه ، فأينما ذكره الله فى كتابه فثم الله نفسه . وقال { سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ}سورة الاسراء [(الذى) اسم موصول لله نفسه لا غيره .

ونلاحظ مما سبق أنه متى ذكر اسم (الله) فالمقصود هو نفسه، و(الله) هو الاسم الذى ذكر فى كل نصوص المعية والقرب. كما نلاحظ أن الناس يسألون عن **ذاتٍ** لله وعن ماهيته وحقيقته، وكُتبُ اللهِ ورُسُله يجيبون عليهم بأسماءِ الله (ومنها: النور: نور السماوات والأرض) وصفاته (ومنها: الواسع القريب) وأفعاله (ومنها:يخلق ويرزق ويُحيي ويُميتُ) لنعلم أنه معنا قريب. أما من يقول بعدم الكلام فى الله مطلقا مخافة الخوض فيه بما لا يجوز فهذا قول مردود، لأن الشرع يأمرنا أن نتعرف على الله كما أمر بقوله عز وجل:

{ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ } الفرقان

والخبير العليم بالله هو الله نفسه، ثم الأنبياء، ثم ورثتهم من العلماء الذين لا يحرفون القرآن لفظاً أو معنىً ويؤمنون بالكتاب كله ولا يتبعون ظنهم أو ظنّ غيرهم من سلف أو خلف. فالسؤال عن الله واجب والإخبار عنه واجب، وإلا فكيف يعبد الناس ما لا يعرفون ؟! ولا سبيل لنا لمعرفة الله عزّ وجلّ إلا بالكلام عنه. ولا سبيل لنا لمعرفة الحق والحقيقة إلا بضبط كلامنا عن الله بكلام الله ورسوله فحسب. وإثبات اليد واليدين والأيادى مع الوجه والعين والأعين والقبضة والأصابع والقدم والساق لله فى القرآن والسنة لا لنتفكر فى عددها أو فى كيفيتها، ولا لكى نجعلها ذاتًا محدودةً بعيدةً عنا، ولا لنتأولها بالقدرة والعناية.. فالذين صنفوها مع الصفات فجعلوها كالقدرة والعناية لم يُبقوا لله وجودًا حقيقيًّا نعرفه به إذ جعلوا اللهَ صفاتٍ فى صفاتٍ ثم لا يزالون يتكلمون فى (ذات)!. والذين جعلوها مقابل الأعضاء والذات عندنا وقعوا فى التشبيه أو القياس.. وكل ذلك ممنوع ومحظور شرعًا. بل إن ذكرها يفيدنا – بكل تأكيد وبلا جدال – بوجود الله معنا حيث يذكرها الله كنايةً عنه نفسه وعن قربه معنا. إن قلوبنا بين أصابعه.. أمَا وقد جعلوا أصابعه من ذاته، فيكون الله معنا بنفسه لو تفكروا. والإيمان بها وإثباتها لا يعنى أبدًا أن نتفكر أو نتكلم فى كيفيتها لأن فى ذلك فتحا لبابِ الزلَلِ. ولكن يكون بقبول **حقيقة أن الله معنا حقا،** هذه هى الحكمة المقصودة من ذكرها : **أن الله معنا بنفسه معية حقيقية بكيف يعلمه الله وحده.** فلا يأتى أحد غيره ويقول أن الله ليس معنا بذاته مهما كانت علومه أو فلسفته أو مقاصده !. فإن الله عز وجل لم يقلها مطلقة هكذا (وهو معكم أين ما كنتم) ويؤكد عليها بكل ألفاظ اللغة وبيانها إلا وهو يريدها هكذا مُطلقة، فالله قائم قيوم على كل نفس بنفسه، وكلامه عزّ وجلّ عن قربه ومعيته بنفسه لنا هو كلام يعنيه بنفسه عن نفسه – وهل يعود كلام الله عن نفسه إلا على نفسه ؟!، ومهما ذكر علمه أو ملائكته فليس كل ذلك بديلا عنه هو. وليس لمن لا يراه أن ينكر وجوده،

فليس كل ما لا نراه يحق لنا نكرانه ؟ فكيف يستنكف مؤمن بعد ذلك أن يكون الله معنا بنفسه ؟!، بل كيف يدّعى الإيمان إنسان يتكلم فى الله عزّ وجلّ بعكس ما تكلم به الله عن نفسه ؟ إن الله عز وجل معنا بنفسه بوجوده. وصفاته هى خصائص نفسه قائمة به أزلية أبدية، يتجلى ويُبدى منها ما يشاء في من يشاء متى يشاء أين ما يشاء، كتجليه بأسمائه الخالق البارئ المصور فى خلقه للخلق والمحيي فى إحيائهم والمميت فى إماتتهم والقوى فى إمساكه السماء والأرض والمانع فى منع النار من إحراق نبيه إبراهيم وعصمة نبيه محمد من الناس... وهكذا، فالله عند ذلك كله وكل ذلك عنده، وأفعاله كلها مُعجزة حتى المألوف منها، ويتحدَّى الجميع أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وهذه هى طلاقة المشيئة مع طلاقة الوجود مع طلاقة القدرة، وصفاته كلها بما فيها الوجود مطلقة غير مقيدة، إنه الواسع الكبير المتعالى. ويثير العجب من يسألك بعد ذلك : أليس اللهُ متعاليًا فوق العرش ؟ ويريد أن يجعل ربه إما فوق العرش وإما معنا !، ولا يستوعب معنى الواسع الكبير المتعالى القريب. وآيات الاستواء على العرش أثبتت وجود الله فوق العرش، لكنها لم تمنعه من غيره، فإذا قلنا أن الماء يوجد فى الطابق العاشر مثلا، فلا يعنى ذلك عدم وجوده بالطوابق الأدنى، بل ربما كان المقصود أن الماء (استوى) وجوده فى كل الأدوار، فلابُد من الدقة فى الاستدلال.. قال الله :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾

سورة الحج

ويتبعون رَأىَ البشـــر المتكلمين الذين ســـمحوا لعقولهم بنفى ما أثبته الله لنفســـه! وهل الصـــحابة الذين التزموا التســـليم والتفويض لم يكونوا عقلاء وقادرين على الكلام ؟! بل إنـه الأدب الواجب علينـا نحو الله عزّ وجلّ. ويجـب علينـا الانتبـاه إلى أن غلق بـاب الكلام فى الله ليس معاكســا لشــرع الله فحســب، ولكنه يعاكس ضــروريات الناس التى فطرهم الله عليها، ويورثهم جهلا مميتا لقلوبهم وأمراضا عضوية ونفسية وأخلاقية تتفاقم بســرعة مذهلة تأتى على جميع جوانب حياتهم !. يراجع فى ذلك مجلة الطب النفســى الإســلامى (النفس المطمئنة) ص5 العدد/30/أبريل1992- تصــدرها الجمعية العالمية

الإســلامية للصــحة النفسـية – حيث جاء فيها (يقولون فى المدرســة الوجودية للطب النفســى: أنا وأنت هنا الآن. وتقول المدرسـة الإسـلامية: **أنا وأنت مع الله هنا الآن)أهـ** وفيه إثبات المكان والقرب لله عزّ وجلّ كضرورة علمية أكاديمية متخصصة.

معنى الخَلِيفَة :

وفى قول الله عز وجل { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } **البقرة :30**

قال ابن كثير فى تفســـيره : قول الله عز وجل: "إني جاعل في الأرض خليفة"، وقوله عز وجل : "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض"، وقال : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليســتخلفنهم في الأرض" إلى غير ذلك من الآيات.أي يجعل منهم خلفاء يخلف بعضهم بعضا. وجاء فى تفسير الطبرى : القول في تأويل قوله : " خليفة ".. الخليفة من قولك: خلف فلان فلانا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده. كما قـال جـل ثنـاؤه: " ثم جعلنـاكم خلائف في الأرض من بعـدهم لننظر كيف تعملون" **يونس:14** يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم. من ذلك قيل للســـلطان الأعظم: خليفة، لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفاً. وعلى قول القائل بأن الجن خلقهم الله من قبل آدم ففسدوا فى الأرض، فعلى هذا القول يكون معنى : "إني جاعل في الأرض خليفة" يخلفون الجن فيها فيســـكنونها ويعمرونها. وقال آخرون في تأويل قوله: "إني جاعل في الأرض خليفة"، أي خلفاً يخلف بعضـــهم بعضـــاً، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله. وهذا قول حكي عن الحسن البصري.) اهــ ولكن أراد البعض مخالفة شـيوخ المفسـرين فيما قالوه، فجاء فى تفسـير الجلالين : (إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) أي : يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها !. اهـ

ولكن ما جاء فى تفسير الجلالين لا يجوز لعدة أسباب، منها :–

أولا:– أن الله باقى لا يزول وحاضـر لا يغيب، وهو الآخر فلا يخلفه أحد، ولا شـيء بعده.

ثانيا:– أن الله قيوم السماوات والأرض وسلطانه دائم، والخليفة إنما يأتى بعد موت أو غياب أو عزل من قبله.

ثالثا:– أن الخليفة إنما يكون كفؤاً للقيام بجميع أعمال من يخلفه، والله سبحانه لم يكن له كفؤا أحد ليقوم بأفعاله، وليس كمثله شيء.

لأجل ذلك لا يجوز فهم الآية الكريمة على أى نحو نشعر معه بغياب الله أو بعده عن أرضـه وسماواته. ولا يجوز هنا الخلط بين الخلافة من ناحية، وبين الوكالة والتكليف من ناحية أخرى، فالخلافة تقتضى غيـاب المخلوف، أما الوكالة والتكليف فلا يُشترط فيهما غياب المُوكِّل أو المُكَلِّف. وقد ورد أن الله عز وجل قال:

(الأغنيـاء وكلائي والفقراء عيـالى..) الحـديث، لكن لم يرد أنـه قـال عن أحـد: (خلفائى)، وقد علمنا أنه يجب أن يكون الكلام عن الله وفى الله توقيفيا. وكل ما أرجو أن ننتبهَ إليه أن الإقرار من جانبنا بحقِّ اللهِ فى الوجودِ الواسِعِ القريبِ على الحقيقةِ هو واجبٌ وفرضٌ افتَرَضَـهُ اللهُ علينَا، وليسَ نافلةً أو مندوبًا، وليسَ مَكرُوهًا أو مَحْظورًا كما هو الحال عند البعض !.. كيف لو كانت لأحدِنا صـفةٌ ثابتةٌ حقيقيةٌ يُحِبُّ أن يُذكَرَ بها، هل يقبل أن يُنكِرها عليه أحدٌ ؟!، طبعا لا بكل تأكيد، فماذا لو أنكرَها عليه أحدٌ ؟ هل سيتهاون معه ؟! لا، بدليل أن ما تعانى منه الأمة الإسلامية الآن ليس له سببٌ إلا ضـعفُ عقيدتها فى الله وضـعف الإيمان فى معيته.. والإيمان محله القلب، فلابد من سلامة القلب وتطهيره من أمراضه، مثل الكِبْر – وهو بطر الحق، أى ردّه.. وغمط الناس، أى الاستهانة بهم وتحقيرهم – ومثل الحَسَد.. فاستعن بالله على ذلك ولا تعجز.

ثمَّ ما هو الفَرْقُ بين التكذيب بحقيقةِ اتسـاعِ وقُرْبِ اللهِ نفسـه عزّ وجلّ **{ الواسـع القريب }.. وبين التكذيب بوحدانيتِه { الواحد الأحد } أو بسـمعِه وبصـرِهِ { السـميع البصير } ؟ أَلَيْسَت كُلّهَا أسماءٌ ثابتةٌ للهِ نفسِه ؟!!**

الباب الرابع
لله وحده الوجود المُطلق (غير المحدود**)**

الفصل الأول

الوجود المطلق[1]

1 يُراجَع فى ذلك كل مراجع الوجود المطلق وهى كثيرة، ومنها كتاب: أصـول العقيدة الإسـلامية للشـيخ الدكتور زكريا المصـرى ص35 منه، وعقيدة النجاة للإمام محمد ماضـى أبو العزايم وكتاب(الله – القصـد المجرد فى معرفة الإسـم المفرد) لأحمد بن عطاء الله السكندرى. دار جوامع الكلم ص37، كتاب البيان لما يشغل الأذهان د/ على جمعة

نماذج توضيحية للوجود المُطلق :

نموذج 1 الله نفسه واسع لا إنقطاع له وليس معه شيء

كان الله في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء . حديث شريف
بمعنى : كان الله ولم يكن شيء معه –

هو **النور** جل جلاله
واسع ممتد بلا انقطاع
لا تدركه الأبصار – ليس كمثله شيء
هو الأول والآخر والظاهر والباطن –

نموذج رقم ١

نموزج رقم٢

كروكي تقريبي يوضح البنية الكونية - كما وصفها الحديث الشريف

وأيًا كان الشكل الحقيقي للكون فإنه محدود والله معه وفوقه غير محدود



ثم خلق الله **معه** عرشه على الماء بأراضيه السبع وسماواته السبع وكرسيه وعرشه الأعلى سقف الكون فصور كل ذلك حاضرا مع حضور الله الذى هو الباقى على ما كان عليه قبل الخلق لا يزيحه ولا يبعده شيء ، ممسك بكل شيء

هذه المعية هى مصـــــاحَبَة تامّة كاملة بكل معانى التمام والكمال – لأنه بمقتضـــــى التنزيه لا يليق بالله إلا التمام والكمال – بكل ما يقتضـــيه ذلك من تمام وكمال الوجود المكانى والزمانى ومن تمام وكمال المشـــاهدة والإحاطة من قرب لا يعتريه غيابٌ أو بُعدٌ. والشّـكُّ فى المعية التى حقيقتها المُصـاحَبَة والقرب الدائم لا يخدم المسـلمين فى شـيء. بل إن الشـك فى المعية الحقيقية هو نقصـان فى الدين عقيدة وشـريعة ويُؤَدى حتمـا إلى الانفلات منـه أو فقدان الرؤيـة عنـد الـدعوة إليـه. لـذا يجـب إعطـاء هـذا الموضـوع حقه من الدراسـة العلمية الخالية من التقليد والتعقيد، بل يكون الفصـل فيها لكلام الله وحده، ولو فعلنا لاكتشـــفنا حقيقة المعية فى أنها لقاء دائم، حيث امتدح الله الخـاشــــعين " الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " البقرة249. أى: راجعون من علم اليقين إلى عين اليقين، راجعون من الـدنيـا إلى الآخرة، وليس بالضرورة راجعون من بعيدٍ إلى مكانٍ أقرب. واستِدْلالاً على حتمِيّةِ **لقــــاءِ الله** وإزالةِ الشـكِّ فيه، أكد عز وجل على قربه مع كل شــيءٍ وأكد على مشـــاهدته لكلِّ شــيءٍ وإحاطته بكلِّ شـيءٍ. فإذا ثبت عند المؤمن ذلك آمن بلقاء ربه. وإلا فهو الشـك ؛ لأن الشك فى المقدمات يسبب الشك فى النتائج.. فقال عز وجل:

سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن
لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ فصلت

وإنما لقاءُ الآخرةِ يتميز بكشــف الغطاء عن العبد فبصـــره يومئذٍ حديد – حادٌّ، ووجود هذا الغطاء فى الحياة الدنيا هو الذى قد يُعطل العبد عن إدراك معية الله له فى **لقاء دائم**، لكن لا يتم تســـميته فى الدنيا (لقاءً) إلا إذا أدركه العبد وحصـــل حوار كما فى (لقاء) موســـى عليه الســـلام بربه عزّ وجلّ عند الطور وكما فى معراج النبى محمد

صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولعل هذا يجعلنا ممن يحبون لقاء الله فيحب الله لقاءهم ولا نكون ممن لا تذكرهم كلمة (**لقاء الله**) **إلا** بالموت فقط!.[1]

ثم يفنى الخلق ويبقى الله فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء

كما كان الله ولم يكن شيء معه

هو **النور** جل جلاله

واسع ممتد بلا انقطاع

لا تدركه الأبصار – ليس كمثله شيء

هو الأول والآخر والظاهر والباطن –

نموذج رقم ٣

وهكذا له عزّ وجلّ الوجود المطلق الذى لا يتقيد بوجود المخلوق (العرش) أو عدمه. هذا ما جاء به الشرع الإسلامى فأصبح **معلوما من الدين بالضرورة** بموجب أسماءِ اللهِ الحسنى وكتابه الكريم وسنة نبيه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

1 يراجع فى ذلك مجلة الطب النفسى الإسلامى (النفس المطمئنة) ص2 العدد 34/أبريل1993حيث جاء فيها ما يؤكد على اتساع نور الله ودوام لقائه وفوائد ذلك، تحت عنوان " إنى ذاهب إلى ربى سيهدين" للمرحوم أ.د/ جمال ماضى أبو العزايم.

الفصل الثانى
أدلة قطعية من حيث الثبوت
والدلالة على وجود الله معنا ومُطلقا

وأقصد ب(الوجود)= (الحضور التام)= (ليس غائبا). كما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف. والمطلق= غير المحدود بأية حدود من أية جهة= الواسع بلا حدود

وإلى جانب ما ذكرناه فيما سبق، إليكم الأدلة التالية:قال الله عز وجل:

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

115 البقرة

جاء فى تفسيرها عند ابن كثير ما يلى (وقال ابن جرير وقال آخرون : أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة، وإنما أنزلها ليعلم نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه، أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية، لأن له تعالى المشارق والمغارب **وأنه لا يخلو منه مكان** كما قال تعالى: " ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ".)أهـ وقال ابن عثيمين فى تفسير {فثم وجه الله} الراجح أن المراد به الوجه الحقيقي؛ لأن ذلك هو الأصل؛ وليس هناك ما يمنعه؛ وقد أخبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الله تعالى قِبَل وجه المصلي، كما قال فى تفسير {فإنى قريب}186 سورة البقرة المراد قرب الله نفسه ؛ لأن الضمائر في الآية كلها ترجع إلى الله ؛ وعليه فلا يصح أن يحمل القرب فيها على قرب رحمته، أو ملائكته ؛ لأنه خلاف ظاهر اللفظ، ويقتضي تشتيت الضمائر بدون دليل.اهـ وهذا هو المستفاد من عموم اللفظ، وإنما تحديد القبلة بجهة الكعبة المشرفة غرضه توحيد الأمَّة. فلمصلحة من تعطيل القرآن الكريم تحت زعم أنه كلام لعلماء عقلاء ؟! ومن المفسرين جمع غفير جاءوا عبر الزمان والمكان بما لا يمكن معه تواطؤهم أو اتفاقهم على مفهوم "وجود الله معنا بنفسه" لأجل غرض فى نفوسهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر– وكلهم عُلماء وعُقلاء – الصحابى الجليل عبد الله بن عباس **رضى الله عنهما**، والإمام على بن أبى طالب **رضى الله عنه**، وإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى، والإمام ابن فورك، والإمام ابن جرير الطبرى وآخرون، كما هو ثابت عنهم فى تفسير ابن كثير لسورة البقرة

آية رقم 115. وجاء فى تفسير الطبرى لسورة الحديد في تفسير قوله عز وجل { هُوَ الأوَّلُ وَالاَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتّةِ أَيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ((يقول تعالى ذكره : هو الأوّل : قبل كل شيء بغير حدّ والآخر : بعد كل شيء بغير نهاية، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلّ ثناؤه: كُلّ شَيْءٍ هالكٌ إلاّ وَجْهَهُ. وقوله: والظّاهِرُ: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه والباطِنُ : وهو الباطن مع جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقال به أهل التأويل. وفى ذكر من قال ذلك، والخبر الذي روي فيه: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: هُوَ الأوّلُ والاَخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ ذُكر لنا أن نبيّ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بينما هو جالس في أصحابه، إذ ثار عليهم سحاب، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّها الرّقِيعَ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ،» قال: «فَهَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: «مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، قال: «فَهَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ؟» فقالوا مثل ذلك، قال: «فَوْقَها سَماءٌ أُخْرَى وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، قال: «هَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلك؟» فقالوا مثل قولهم الأوّل، قال: «فإنّ فَوْقَ ذلكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَينَ السّماءِ السّابِعَةِ مِثْلُ ما بَينَ السّماءَيْن»، قال: هَلْ «تَدْرُونَ ما الّتِي تَحْتَكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «فإنّها الأرْضُ»، قال: «فَهَلْ تَدْرُونَ ما تَحْتَها؟» قالوا له مثل قولهم الأوّل، قال: «فإنّ تَحْتَها أرْضا أُخْرَى، وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ»، حتى عدّ سبع أرضين، بين كلّ أرضيْن مسيرة خمس مئة سنة، ثم قال: «وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دُلّيَ أحَدكُمْ بِحَبْل إلى الأرْضِ الأُخْرَى **لَهَبَطَ على اللّهِ**»، ثُمّ قرأ هُوَ الأوّلُ والاَخَرُ والظّاهِرُ والباطِنُ وَهُوْ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)).أهـ، وعندما يأتى ذكر العرش مع ما يفيد بعلوه فوق السماوات، فهو ذكرٌ لناحيةٍ منه، من باب ذكر الكل والمراد الجزء والعكس. والحديث الشريف أكد على اتساع وجود الله،

وخص الأرض الأخرى أى السابعة بالذكر ليثبت حقيقة وجود الله فيها كما هو فوق العرش كما هو بينهما، وهذا من معانى الاستواء : أى الوجود فى كل الأماكن والجهات على السوية، هذا إلى جانب تعدد معانى كلمة العرش فى اللغة وفى الشرع كما هو معلوم. وجاء مجموع أعوام السير بين السماوات والأراضين سبعة آلاف، وعند الله اليوم بألف سنة مما نعُدُّ نحن، فلعله توجد علاقة بين هذه المُدد الزمنية وبين مراحل خلق السماوات والأرض ومدة كل منها.. وللرقم 7 فى الشريعة والحقيقة والخليقة ذِكْرٌ كثيرٌ.

وقول الله {هُوَ الأوّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ وَهُوْ بِكُلّ شَــيْءٍ عَلِيمٌ}ســورةالحديد هو القول الثابت فى القرآن الكريم ودلالته القطعية الاتســاع المطلق والوجود المطلق المتصل غير المنقطع من أى جهة أو مكان وبكيف يعلمه الله وحده ليس له مثيل ولا شــبيه ولا نعلم له ســميا. وهذا هو ما عليه النبى **صَــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ** وإجماع الصحابة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِي اللهُ عَنْه** قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذَ أَحَدُنَا مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَفَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَالظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَالْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ* قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه.

ونؤكد هنا على قوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْء) أى ليس أقرب منك شــيء، وثبوت هذا الاتســاع المطلق لله نفســه يقطع الطريق على من يدّعون الألوهية مثل فرعون والبهاء وغيرهما، لأنهم مثاقيل ذر فانية ولا اتساع لهم.[1]

ويقول النبى لابن عباس " احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ " وفى رواية "احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ"، ويقول الله فى حديث قدســـى : (أنا عند ظنِّ عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى). **إنتبااه {اللّهُ عندَ ظَنِّنَا بِهِ}** فمن ظنَّ القُرب قَرَّبَهُ اللهُ، ومن ظنَّ البُعْدَ أبْعَدَهُ اللهُ، فالجزاء من جنس العمل، والعقيدة ما وَقَرَ – اسـتقرَّ – فى القلب وصَـدَّقهُ العمل. وقال عز

1 راجع أسماء الله (الواسع)، (القريب) فى كتابى هذا.

وجل { وَإِذَا سَــأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْـتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُــدُونَ } **186البقرة** قال ابن كثير فى تفســيرها (قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنا مع رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا، فقال "يا أيها الناس، اربعوا على أنفســكم، فإنكم لا تدعون أصـــم ولا غائباً، إنما تدعون سـميعاً بصـيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. وقال **صَــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ** "يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني" وقال **صَــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ:** " قال الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ". (قلت)– أى ابن كثير يقول: وهذا كقوله تعالى " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "، وقوله لموسى وهارون عليهما السلام " إنني معكما أسمع وأرى ").أهـ

وجاء فى تفسيرها فى تفسير فتح القدير للشوكانى (أخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الحسن قال: سأل أصحاب النبي **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أين ربنا ؟ فأنزل الله هذه الآية " وإذا سألك عبادي عني " ويحتمل أن السؤال عن **القرْب والبُعْد** كما يدل عليه قوله " فإني قريب " ويحتمل أن الســـؤال عن إجابة الدعاء كما يدل على ذلك قوله " أجيب دعوة الداع " ويحتمل أن السؤال عما هو أعم من ذلك،

وهذا هو الظاهر مع قطع النظر عن الســـبب. وقوله " فإني قريب" قيل : بالإجابة، وقيل : بالعلم، وقيل : بالإنعام.أهــ ونلاحظ هنا أن تعبيره بقيل وقيل وقيل يعنى أنها أقاويل واجتهادات بشر وليست وحْيًا من الله إلى نبى أو رسول. ونلاحظ أيضا أنه كلما ذكر قرب الله منا ومعيته لنا، يبدأ البعض فى البأبأة والتبعيض!، وفى أى شيء ؟ فى الله نفســه! وهل يُسأل عن إجابة الدعاء بأين ؟! إن **(أين)** فى لغة العرب للسؤال عن

الوجود فى المكان. ونقرأ عن الرسول **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عموم قرب الله تعالى معنا مثل قول النبى **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** (إن أحدكم إذا قام يصــلى فإن الله قِبَلَ وجهه)، وقوله (فإن الله بين أيديكم فى صـــلاتكم) ولا تخصـــيص فيه بأن الله معنا بكذا وليس معنا بكذا، ولو استقصينا كل كلام القرآن الكريم والسّنّة النبوية المطهرة لتأكدنا من هذه الحقيقة. فمن نصـدّقُ ؟ هل نصـدّق اللهَ ورسـولَه أم نلهث وراء قيل وقيل وقيل ؟! ومن هذا الذى من حقه أن يقول بعد قول الله ورســـوله ؟! وفِيمَ يقول؟! فى الله وفى كيفية وُجوده؟! لقد خاب وخسـر ثم خاب وخسـر ثم خاب وخسـر من يُعَقب ويَسـتدرك ويُقدّم بين يدى الله ورسوله. ولهذا السـبب قال الإمام محمد عبده للسيد محمد رشيد رضـا " إن الله معنا بذاته ". يقول لى د. محيي الدين الصافى – وهو عميد سابق لكلية أصول الدين جامعة الأزهر– أن الإمام محمد عبده قالها بإصـــرار لمواجهة من يتأولها بالعلم فقط دون النفس، ولأنه وجد أن كلمة (الذات) قد ترسـخت فى الأذهان بأنها تشـير إلى نفس الله وحقيقته.

ونذكر هنا ما جاء فى القرآن الكريم عن تكليم الله بنفســـه عزّ وجلّ العلى الأعلى وهو يقدم نفسَــه بنفسِــه لنبيه موســى عليه الســلام فى أرض الله بالوادى المقدس عند جبل الطور **لتأكيد وجوده بنفســـــه معنا** دون أدنى شـــك. وتأمل معى تبيان القرآن الكريم وتحديده للمكان بكل دقة وتأكيده أن المتكلم هو الله بنفسه فيقول جل شأنه:

{ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١
وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢ } مريم
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ
مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ القصص

أنظر.. أين كان النداء ، وانظر التصريح بالقرب المكانى للنجوى والكلام. وقال سبحانه { وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤ } القصص

الله ينفى وجود النبى هناك، وينفى مشاهدة النبى لما حصل، ليثبت كل ذلك له نفسه عزّ وجلّ.. فهو نفسه مع موسى يكلمه ويخلق من العصا حية تسعى :

فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ النمل وقوله عز وجل (لَدَيَّ) فى الآية هنا ثم يوم القيامة فى قوله (لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ۝٢٨) سورة ق: ٢٨ يؤكد وجوده عزّ وجلّ بنفسه مع موسى عند جبل الطور كوجوده فى الآخرة بنفسه. فإن لم نستفد من ذلك وُجودَ اللهِ بنفسه مع موسى بالوادى المُقدَّس فماذا نستفيد ؟!

وقوله عز وجل " وسبحان الله رب العالمين " يتنزه الله تعالى عن أن يتمثل به غيره، حتى يتأكد موسى أن الذى يكلمه هو الله رب العالمين، وتفيدنا لغة باتساع الله إلى غير حد، فليس لموسى طاقة على إدراكه ببصره. ولا يُمكن أن تفيدنا بتنزه الله عن الوجود بنفسه معنا، فهذا قد أثبته الله لنفسه وهو عين الكمال. قال ابن عباس وغيره: لم تكن ناراً، وإنما كانت نوراً يتوهج.. وفي رواية عن ابن عباس قال : (**نور رب العالمين**).

وقوله عز وجل: "وسبحان الله رب العالمين" الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المباين لجميع المخلوقات ولا تكتنفه الأرض والسموات بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات. وقوله عز وجل "يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم" أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم). اهـ تفسير بن كثير..

ومعنى المباين : المغاير والمختلف وليس البعيد المتجافى. ومعنى لا تكتنفه : لا تحيط به إحاطة استيعاب واحتواء كالظرف للمظروف، لأنه الواسع فلا يحده حد ولا يحتويه شيئ بل هو فيه وخارجه، فالله يُحيط ولا يُحَاط به.

وهذه المعالجةُ مِنَّا للمباينةِ والاكتنافِ ترفعُ التناقضَ والتصادمَ بين من قالوا بهما من العلماءِ وبين كلامِ اللهِ ورسولِهِ، وتثبت لله حقه فى الوجود الواسع القريب الأول الآخر الظاهر الباطن النور المنير الذى ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير يُدرِك الأبصار ولا تُدرِكُهُ.

وقال نور السماوات والأرض عز وجل :

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ الأعراف

فما كان موسى **عليه السلام** ليطلب الرؤية لولا تيقنه من قرب الله ووجوده معه بنفسه فى مجال بصره. كما أقر موسى بذلك فى قوله " كلا إنّ معى ربى سيهدين ". وامتناع الرؤية لم يكن سببه غيابُ اللهِ أو بُعْدُه عن الأرض، وإلا لكان أخبره الله بذلك كعلة لعدم الرؤية، وإنما العلة هى عجز البصر عن إدراكه حيث لا تدركه الأبصار وهو معها يُدركها، فلاحظ ذلك. ولاحظ أيضا أن الله قد خص الأبصار فى العجز عن إدراكه دون السمع، فالسمع قد يُدركه عزّ وجلّ كما حصل مع رسوليه موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكما يحصل مع النفس المطمئنة التى تظل عند ربها فيطعمها ويسقيها، والتى تنام عيناها ولا ينام قلبها. وفى نفس السورة التى قال الله عز وجل فيها " الرحمن على العرش استوى "(5)طه، قال عزّ وجلّ مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام " إننى معكما أسمع وأرى " (46)طه. وإن تعجب فعَجَبٌ ممن يترك أصل الآية (إننى معكما) ويُمسك بفرعها (أسمع وأرى) فى حين أن وجود الصفة فرع عن وجود الموصوف ودليل قطعى عليه !، هذا ولم يفرق ربنا تبارك اسمه بين وجوده فوق العرش وبين وجوده معنا أينما كنا إلا فى الحجاب والتجليات وفعل ما يريد هنا وهناك. بل هو وجود واحد واسع لا ينقطع ولا يتجزأ كما أخبرنا بذلك عزّ وجلّ.. فلا يَغُرَّنك به تخفيه عن الأبصار، إنه احتجب بالنور ليرى من يخشاه بالغيب ممن هو

فى شك من قربه ومعيته. هذا هو فهم الصحابة حيث يقول الإمام على بن أبى طالب **رضـــى الله عنه:** " الله بلا كيفية – نعرفها – وهو أقرب من حبل الوريد". الحلية لأبى نعيم (73–1).

وقال الإمام على " إذا فرغ أحدكم من الصــلاة فليرفع يديه إلى الســماء وينصــب فى الدعاء، فقال قائل: يا أمير المؤمنين أليس الله فى كل مكان ؟ قال الإمام على: بلى، قال الســائل فلِمَ نرفع أيدينا إلى السـماء؟ فقال الإمام : أوَ ما تقرأ {وفى السـماء رزقكم وما توعدون}؟ فمن أين يُطلب الرزق إلا من موضعه ؟ وموضعه ما وعد الله عز وجل – السماء " أهـ وإلى الآيات:

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ النازعات ويقول عز وجل { فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ } طه أليس الله بنفسه هو المتكلم هنا؟

أليس المكان هنا فى أرض الله ؟ أليس ما يَثبُت لله مرة يثبت له مُطلقا ؟ إن الإجابة هنا ولا مفر هى (بلى)، وليس بوسع المؤمن أن يترك صريح القرآن الكريم والسُنّة الصحيحة وأسماء الله الحسنى، وليس بوسعه أن يسكت عنه كأنه لم يكن !.. ومن يتأوله أو يسكت عنه لأجل أوهام الانحصار والانحسار أو لأجل أوهام الحلول والاتحاد لا يُعتد بتأويله ولا يُعتد بصمته وسكوته عن الحق.

لا حول ولا قوة إلا بالله فأينما وُجدت قوة – باطنة أو ظاهرة – فثمّ الله **القوى** وأينما وُجد (منع) – باطن أو ظاهر – فثمّ الله **المانع**. وهكذا النافع الضــار والرزاق.. وبقية الأســماء الحســنى. وقوة الســمع والبصــر والتفكير والكلام والحب والبغض.. وجميع قدرات المخلوقات وخصــائصــها الطبيعية المجبولة عليها مثل خاصــية الإحراق للنار

وقوة بأس الحديد وسيولة الماء واستقرار الأرض وجريان الشمس والقمر.. إلخ، قوة ذلك وغيره بالله والحول دونه بالله، فمنه المنح والمنع، يقول القريب جل جلاله وهو يحثنا على الدخول فى الحياة الحقيقية والخروج من حالة الموت:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

24 الأنفال

فكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) تفسر للمؤمن ما يقول عنه الناس (قوانين الطبيعة).. فالذى يمسك السماوات والأرض قالوا عنه جاذبية اصطلاحا، ولكنه القوى المتين. والذى يحول بين وقوع السماوات على الأرض وبين فيضان البحار لتغرق الأرض هو الله بحوله وقوته، وحركة كل متحرك وسكون كل ساكن إنما بحول الله وقوته بنفسه. ولو اصطلح الناس جميعا على غير ذلك ما غيَّر ذلك من (الحق) شيئا؛ فما اصطلاحاتهم إلا أسماء وكلمات وظنون لا تفسير لكنهها عند أصحابها! وعجزهم عن تفسيرها يقتضى التسليم لمن عنده التفسير، وهو الله جل جلاله، وهى على أيّةِ حالٍ أفعالٌ لا فواعل، فمثلا : الجَذبُ هو إمساكُ الكواكبِ وتسييرُها فى مَداراتِها، وهو فعلٌ طويلُ الأجلِ قدْ يستمرُّ آلافَ الملياراتِ من السنين والفاعلُ لهُ بلا تعبٍ هو اللهُ نفسُه، قال عزّ وجلّ فى سورة فاطر:

{إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ } فاطر

والله هو المحرك لكل ذرة وكل عضو من جسم الإنسان ولو شاء أثبته على مكانته كالتمثال الصلد، قال عزّ وجلّ { وَلَوْ نَشَاء لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ }يس67 وهذا القرب الحقيقى لله نفسه معنا، أدَّبَ النبىُّ الناسَ على

أخذه مأخذ الجدّ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ النَّاسِ) رواه البخارى.

قال ذلك وهو يأمر المغتسل عريانا أن يستتر ولو كان وحده، ولو كانت معية الله لنا تعنى علمه بنا من بعيد ما كان للتستر ضرورة.

سُبحان الله..

كلمة تنزيه لله عن كل نقص. وبتفصيل أكثر: هى كلمة عربية من الفعل (سَبَح) سِبَاحَة وسَبْحًا. قال عزّ وجلّ { إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا }المزمل:7 حيث جاء فى التفسير" إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا، أي تصرفاً في حوائجك، وإقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيئاً. والسبح: الجري والدوران، ومنه السابح في الماء، لتقلبه بيديه ورجليه. وفرس سابح: شديد الجري" القرطبى.

وللمبالغة فى الفعل ومصدره يقول العرب بالتضعيف هكذا: سَبَّحَ سُبْحانًا. فهو مصدر يفيد اتساعا لله غيرَ محدودٍ لكل سابحٍ ومُسبِّح بل تبارك وزاد على ذلك واتسع إلى غير نهاية فهو(سبُّوح) أى نوره يوجد فى كل مكان، لذا لا يقال به إلا لله وحده، لأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن الواحد الصمد غير أجوف ولا منقطع ولا غائب هو معكم أينما كنتم..

سبحان الله : كلمة تنزيه لله تعالى عن كل نقص أو انحصار أو اختصاص بجهة دون أخرى أو غياب من مكان أو زمان.

(يسبح الإلكترون حول النواة 6.5 تتريليون مرة فى الثانية الواحدة، التتريليون واحد أمامه 14 صفر). د- أحمد فؤاد باشا.

و(سبحان الله) من غراس الجنة كما جاء فى الحديث الشريف :

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ولا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ * **رواه الترمذى فى الدعوات.**

فهذه الكلمات ولإن كنا نراها الآن حروفا تتحرك بها الشفتان مع اللسان إلا أنها عندما تصدر عن قلب امتلأ بنور الله فإن الله يترجمها فى التو واللحظة إلى غراس فى الجنة التى أعدت للمتقين، وهذا شأن الله وهو حق لا مجاز فيه ولا تشبيه، والله على كل شيئ قدير. وهكذا يبنى الناس فى الدنيا ديارهم فى الآخرة وصدق القائل:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التى كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها   وإن بناها بشر خاب بانيها

مستلهما فى ذلك قول الله عز وجل فى سورة الزلزلة:

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

وفيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه : قال رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ *

وفيما رواه الإمام أحمد فى مسنده : قَالَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** قَلْبُ ابْنِ آدَمَ عَلَى إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا شَاءَ أَنْ يُقَلِّبَهُ قَلَّبَهُ فَكَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ * وكان الله يصرف قلبه إلى طاعته حتى قبل البعثة وقبل نزول جبريل، فكان يلهمه الخلوة للعبادة تطهيرا وإعدادا روحيا لتحمل أعباء الرسالة فيما بعد، وهذا التصريف للقلوب يثبت قرب الله نفسه حيث لا وسائط.

ويقول الله عز وجل عن نسوة يوسف عليه السلام { فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ } يوسف

ومع أم موسى يربط على قلبها {لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾} القصص   ويحيط بكل شيئ :

وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ البقرة

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ آل عمران

فلماذا نحصـــر الإحاطة فى العلم دون الوجود الحقيقى ؟ أو فى الإحاطة الكلية للكون من خارجه فقط ؟ ! هذا لا يجوز ؛ لأن إحاطته ثابتة لكل الجزئيات من قرب ومعية وفوقية على الســواء. والآية التالية فيها الدليل القاطع على الوجود الدائم الواســع فى الأرض وفى الســـماوات وفوقها بلا أى اســـتثناء، إلى جانب الدليل على العلم والقدرة والخبرة :

يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ لقمان

لأن الله لو لم يكن دائما قريبا معها لاحتاج عند الإتيان بها إلى زمن وانتقال أو لمعاونة من غيره ليأتيه بها حيث كان، وفى ذلك احتياج وعجز محالان على الله ويخالفان تنزيهه، وهذا يتفق عليه العقل مع الشرع. وهذا فى لغة العلوم الكونية الحديثة يعنى أن الله يوجد مكانيا مع كل ذرة يصـــور بناءها ويقدّر فيها قوّتها ويحدد لها وظيفتها ودهرها ثم فناءها ثم إعادتها. وفى كتاب الله عز وجل :

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ هود

إن الأخذ بناصـــية كل دابة فى الأرض وفى الســـماء، ووجود قلوب العباد جميعا بين أصـــابع الله، هى نصـوص قطعية الثبوت والدلالة فى إثبات القرب والاتســاع لله نفســه مع خلقه، هذا معلوم من الدين بالضـرورة ولا يجوز تجاهله أبداً، لأن زعزعة اليقين فى حقيقة المعية لا يخدم إلا الشـيطان، فإنه لا يسـتوى الغياب مع الحضـور ولا البعد مع القرب فى النواحي التربوية والنفســية والســلوكية، ولنســأل رجلا خلا بامرأة لا تحل له وفعل الفاحشــة، هل كان يفعلها لو تيقن أن الله معه حقا يســمع ويرى ؟.. أو هل كان

يفعلها لو كان معها وَلِيُّها ؟.. وما الذى جعل اللهَ عنده أهون الناظرين إليه؟ – نتذكر هنا الحديث الشـريف (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)**رواه مسـلم** حيث ارتبط الإيمان بحقيقة المعية، وارتبطت المعصية بغيابها، **ولا سبيل لإيقاف تصاعد معدلات الجرائم والمعاصى إلا بتحقيق أعلى يقين فى (إن الله معنا)**.

إن إبعاد **(الله)** عنا يُخرج الضـميرَ الحيَّ من الخِدمة إذ يغفل الإنسـان عن قرب الله (القريب)(الرقيب). ولا حرج على أى مسـلم فى إثبات الوُجود لله فى كل مكان، بل يجب علينا ذلك، فهو من أصول العقيدة بعد أن أثبته الله لنفسه. والقائلون بنفى المكان عن الله لم يُنزِّهوا اللهَ بهذا النفى، بل قالوا على اللهِ ما لا يعلمون، قالوا ما لم يأمرهم الله بقوله، بل قالوا ما حَرَّمَ عليهم قوله !! – أنظر باب التنزيه.

إن إثبات الوجود لله عز وجل فى كل مكان عند علماء الأمَّة ثابت فى أمهات التفاسير ثبوتا لا ريب فيه، ولكن حصل عليه تشويش عظيم ولغو أثيم لصرف المسلمين عنه، وقد انصـرفوا بالفعل، فماذا كانت النتيجة ؟!! تاهت الأمة عن أصـل عِزَّتِها ورُوحِ وَحدَتِها، ولا أظن أن الغفلة عن الله قد أصـابتنا إلا من التقول ببعده وعدم إثبات حقيقة قربه، فضـاع اليقين وقلت المراقبة. إن آيات تكليم الله لموسـى عليه السـلام عند الطور لم يجرؤ المؤولون على تأويلها وصرفها عن ظاهرها كما فعلوا بآيات المعية فتجاهلوها تماماً كأن لم تكن !، وتمادوا فى إنكارهم لوجود الله بنفسـه معنا وكأنهم أعلم بحقيقة الله من الله !،

ولكن الله يوحد حقيقته مع صـفاته واحدا زائدا مغايرا معدودا حاضـرا مع كل عدد من خلقه، إذ يقول عزّ وجلّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ

مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ

مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ المجادلة

فالله قد برهن على إحاطة علمه بكل شيء بوجوده هو مع كل شيء – هذا مع التسليم التام بأن علمه قديم، لأنه لا تعارض بين علم الله القديم وبين حضـــوره مع الحدثِ لحظةَ حدوثه – وقَرَنَ بين علمه ووجوده دائما وأَكد ذلك بتكرار كلمة (**الله**) وكلمة (هو) (بعموم مدلول ومحتوى لفظ الجلالة) ولم يقتصر على ذكر علمه، وأتى ببعض الأعداد على سبيل المثال للتوضيح والتأكيد، فهو معهم ليس حالاً فيهم وإنما هو واحدٌ مُباينٌ أى مُغايرٌ لهم مُختلفٌ عنهم يَزيدُ عدَدُهم به واحدًا. ولو كانت معيته لنا تنحصـــر فى علمِه بنا من وجودٍ بعيدٍ لما كان معدودًا مع كل عددٍ لأنَّ العِلمَ معنى والمعدودَ أنفس، ولَكَانَ عَبَّرَ القرآنُ بتعبيرٍ آخر يقتصـــر على العلم بكل **دقة** وبكل **صـــدق** وبكل **أمانة** لأنه كلام الله !! ومن أصدق من الله قِيلا ؟! والعِلْمُ مَهمَا بلغَ لا يَقُومُ مقامَ الحضورِ فى أيَّةِ لُغَةٍ. فانظر إلى الشـــمول والعموم فى الآية الكريمة من حيث : العدد، ومن حيث لفظ الجلالة بكل مضـمونها (الله) و(هو) وليس علمه فحسـب، ومن حيث المكان أين ما كانوا. تجد الشـمول والعموم فى كل ذلك لا يحدهما حد ولا يقصـرهما قاصـر. شـــمول وعموم لا يُقبل معهما أى اســـتثناء. فكيف لا نفهم هذا عن الله ؟!، ثم كلمة (نجوى) وما تفيد به من قرب شـــديد. والكلمات فى الآية الكريمة جاءت **لأكثر** من الإفادة بالعلم، فالإفادة بالعلم يكفيها تماما أول الآية وآخرها (ألم تر أن الله يعلم ما فى الســـماوات وما فى الأرض.. إن الله بكل شـــيء عليم) والله أجلُّ وأعلى من أن يأتى بوسط الآية عبثاً!، إنما جاء به لإثبات المعية والوجود بنفسـه، وزيادة المبنى من زيادة المعنى كما تعلمون بيقين، فاتقوا الله ياعباد الله الذين ءامنوا وءامنوا بالكتاب كله. وقد أقرَّ فريقُ الإبعادِ بأنَّهم يتبعون فى نكرانهم للقُربِ الحقيقيِّ والاتســاعِ الحقيقيِّ للهِ نفسِــه كلامًا وظنونًا لا تغنى من الحق شـيئا. أنظر ما جاء على لســانهم فى مجلة التوحيد عدد جمادى الآخرة1427ص57 نقلاً عن كتاب (العُلوّ)، وقد نقلنا خلاصـته فى هذا الكتاب، كما سيأتى، بأنَّ دليلَهم على البعد هو تفسيراتُ وكلامُ الناس !!.

ولقد أثبت الله لنفسه علمَه بنا ومشاهدتَه لنا ووجودَه معنا كُلاً على حدة، فلا نتأول أحدَها بآخر!، والكلام بإثبات الوجود التام لله نفسه معنا ليس كلاما فى المحظور، بل فى الواجب.

وقال الله عز وجل فى سورة الحديد:

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

وهذه الآية الكريمة قد جمعت بين اســـتواء الله على العرش ومعية الله لنا دون تفرقة.. فالضـــمير **(هو)** فى أول الآية هو الضـــمير **(هو)** فى وســـط الآية هو **(الله)** فى آخر الآية. وإنك لو جمعتهم لقرأتهم : **هو هو الله** لا فرق. فهل بعد هذا البيان من بيان ؟! استوى على العرش وفى السماء ومعكم أينما كنتم (فى الأرض وغيرها)، وهو معنى الإستواء على العرش كما فهمه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس **رضى الله عنهما** كما جاء فى تفسير الإمام القرطبى، فهم استقاه مما صاحب آيات الاستواء من أفعال الله وصفاته، فقال : معنى الاستواء : يخلق ما يشاء إلى يوم القيامة وبعد القيامة. اهـــ، وهذا ومثله هو المتاح لنا فى القرآن والسـنة ولسـنا بمكلفين بغيره، فلا تقف ما ليس لك به علم. وقد أفتى ابن تيمية وابن القيم فى الفتاوى بقرب الله معنا بنفســـه حقيقة عملا بظاهر النصــوص وقبول الصـــحابة لظاهرها دون تأويل. والذى كان يحتاج إلى تأويل أوله النبى **صَــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ** والصـــحابة الكرام، كالوجه والســـاق أولوها بنور الله ووجوده نفســه، ومن يتأول من بعدهم فى هذا الباب إنما يتهمهم بالتقصــير وعدم بلاغ رسالة الله للعالمين !.

ودلالة الآية : أن وجود الله معنا ومع خلقه أجمعين ضـــــرورة حتمية من ضـــــرورات اســـتوائه على عرشـــه ومظهر من مظاهره. ومثله ما جاء فى ســـور الأعراف ويونس

والرعد و السجدة و طه والفرقان عن الاستواء على العرش. وسوف يتأكد لنا من آيات الاســـتواء على العرش عند تناولنا لها فى هذا الكتاب أنها جميعا أدلة إثبات للقرب والوجود لحقيقة الله معنا بنفسه وليست أدلة إبعاد !.

قال الله عز وجل فى سورة البقرة :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

وقال الله عز وجل فى سورة الواقعة :

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾

والله هنا يتكلم عن نفسه إذ يَتوفى الأنفسَ حين موتها والتى لم تمت فى منامها.. يتكلم عن نفســه بضــمير العظمة لا عن الملائكة وقد حضــروا، فالملائكة يبسـطون أيديهم لقبض الروح بعد خروجها، لكن الـذى يُميت هو الله (**المُمِيت**).. قـال عز وجـل: (والملائكة باســـطوا أيديهم أخرجوا أنفســـكم) الأنعام93.. فهو عزّ وجلّ معهم فلا تعارض.. ولأن الضـــمير (**نحن**) للمتكلم.. والمتكلم هنا هو الله الخالق (ولقد خلقنا).. أليس الخالق هو الله ؟.. هذه سورة (ق) يقول الله فيها عن نفسه :

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ }

الله يتكلم هنا عن نفسه (الخالق) الذى خلق الإنسان – قاله الإمام على بن أبى طالب كما جاء فى حلية الأولياء لأبى نعيم (73-1) – يتكلم عن نفســـه بضـــمير العظمة فالضمير فى (خلقنا) و (نحن) واحد يعود على الله.. فالملائكة لا يخلقون شيئا بل هم مخلوقون. وحتى الملائكة فالله **معهم** أينما كانوا يراهم ولا يرونه، وهم مؤمنون بذلك – يقول الله عز وجل :

إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ الأنفال

وقال الله عز وجل :

وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾ سورة الأنعام

وقال عز وجل { وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ } سورة الزخرف

وتعجَّب معى ممن يترك أصل الآية فى وجود الله فى السماوات وفى الأرض وكأنها ليست كلمات عربية، ثم لا يرى إلا فرعها وهى تتكلم عن العلم !، مع أن الصفة قائمة فى الموصوف عزّ وجلّ، لقد تكرر حرف الجر الذى يفيد وجوده فى كليهما على سواء، وحتى لا يقول أحد باختصاصه بأحدهما،

والآيات هنا جاءت بمساواة تامة بين السماوات والأرض فى كل ما يُمكن أن يُقال عن الله وُجُودا وعلما وحكمة وألوهية، فإذا قلنا أنه فى الأرض بصفاته يكون فى السماوات بصفاته، وإذا قلنا أنه فى السماوات بحقيقته يكون فى الأرض بحقيقته، وتأويلها فى سنة النبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كثير وكثير، ومنه أن **الله** أسرى بعبده أرضاً بصحبة جبريل والبراق ثم عُرج به فكلمه **الله** فوق السماء السابعة فى نفس الليلة، فهو الفاعل الفعال لما يريد هنا وهناك. أمَّنْ هو الفاعل فى الآية الأولى من سورة الإسراء ؟ لو كان جبريل لأسند الله له الفعل ولَمَا قال فيها " سبحان " لأنها لا تقال إلا لله. ومن الذى رمَى هنا فى الأرض فى قوله عز وجل " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمَى"؟- وهو دليل على وجود الله مع الفعل والفاعل والمفعول، وأننا لا ننفرد بفعل من دون الله

-، ومن الذى كلَّم موســـى فى الأرض تكليما ؟، إنه قرآن عربى مبين يفهمه العرب، فهل عرفنا أين **الله** ؟. ولو أَسْـــنَدْنَا كلَّ أفعالِ اللهِ لغَيْرِه لمَا بقى للهِ فعلٌ ولمَا كانَ اللهُ فعَّالاً وكأنَّه اســتراحَ كما قال المضِــلُّون !، وضـــلالُهم هذا أرادوه لنا!. ولكنه ثبت لنا وُجُودُ اللهِ فاعِلا فعّالاً فى الأرض وفى السماء مع نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فى ليلة واحدة، بل ودائما حيث يقول (إنى أظل عند ربى فيطعمنى ويسقينى)**رواه البخارى**

إن الله عز وجل الذى قال فى سورة الملك:

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾

هو عزّ وجلّ الذى قال بعدها فى نفس السورة:

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ سورة المُلك

إن **الرحمن** الذى اســتوى على العرش هو الذى فى الســماء هو الذى يمســك الطير فوقنا، وربما كان الطير يطير فى مســتوى أقرب منا إلى ســطح الأرض لو كنا على جبل أو مبنىً مرتفع، ومع ذلك فهو فى جو الســماء فى يد الله عزّ وجلّ حيث يقول " أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " **النحل:79** وربطت الآية ذلك بالإيمان الحق فتدَبَّرْها !. فالله لا يبعُد عنه شـــيء وإن كان مثقال ذرة تحت الثرى أو فوق الثريا، فلا وجود لأى شـــيء إلا بالله يخلقه ويصوره ويمسكه ويحركه ويُسَكّنه. إنه اللطيف وما أدراك ما اللطيف، إنه من لا تدركه الأبصار رغم أنه معها يُدركها.. إنه لطيف بعباده.

ولو تدبرنا قوله عز وجل (سـبحانه وتعالى عما يشـركون) فى القرآن لوجدناها مرتبطة بتعالِى الله عن الشـــريك والولد والزوجة، وهذا عُلو شـــأن، وليس عُلوًّا للبُعد المتجافى مكانا!. لذا يجب علينا مراعاة معنى ومحل التنزيه لله عند اطلاقها، فإذا قلنا: قال الله

تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)، فعَمَّ يتعالى الله هنا وهو يبشر النبيَّ بالعطاء ؟! بل الأفضـــل أن نقول: قال الله تعالى جَدُّه، أو قال الله عز وجل، أو قال جل شـــأنه، وهكذا. ولو رجعنا إلى كلام النَّبيِّ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** لوجدنا ذلك ثابتًا عندَه. وإنَّمَا تَوسَّعَ النَّاسُ بعدَه فى إطلاقِها بمناسبةٍ وبدون مناسبةٍ، وبمفهومٍ مَكَانِيٍّ فى غير سياق الكلام عن مكان !!، هذه أمورٌ دقيقةٌ لكنَّها بالغةُ الأثر.

إن قرْبَ الله نفســه معنا ليس عليه محاذير **شـرعية** من أى نوع، فلماذا التخلف عنه أو التخوف منه ؟!، ولو كان محظورًا لنهانا **الشــرعُ** عنه ولو مرةً واحدةً، ولو بكلمةٍ واحدةٍ فى **القرآن والســنة**، ولكن **الشـرعَ** يُلِحُّ علينا أن نؤمنَ به والشـياطين يلحون علينا ألا نؤمنَ به !، فمع من نكون يا أمّةَ النبيِّ محمدٍ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** ؟!. أمَّا لماذا لم يدافع علماؤنا عنه صـراحة وبوضـوح ؟.. بل ويهاجمه بعضــهم !.. فهذا هو الســؤال الذى لا أســتطيع أن أسـطر له هنا جوابا! إنك وأنت داخل دائرة الأمان العلمى المبنية من لبنات النصوص العلمية اليقينية تجد نفسك مُحاصَرا بحقيقة الوجود المطلق لله عزّ وجلّ بلا ريب.. أما من هو خارج تلك الدائرة فإنه لا يجوز له الكلام فى الله. هذا الوجود المطلق أثبته الله لنفســـه وحرّم أن ينكره أحد. بل إن نجاحنا فى إقامة الأدلة القاطعة على وجود الله نفســـه معنا ومع كل العالمين – بحيث لا ندع ريبة لمرتاب – هو أدعى لاجتماع الجميع على الإله الواحد الحق الحى الحاضر الذى لا يغيب، بكل ما يعنيه ذلك من خير لعولمة إيمانية صـــحيحة، تكون بديلا محترما لأطروحة عولمة ذات عورات.

والكلام فى (ذاتٍ لله بعيدة) حرام، فهو لفظ ليست له أية ضوابط من قرآن أو سنة أو من لغة العرب ليدل على النفس!، وليسـت له ضـوابط عند أصـحابه !!، وخطورته أنه **(يُجَسِّـم ويُحيز ويُبعِد!)** شــاء أصـــحابُه أم أبَوْا، إعترَفوا أم أنكَرُوا !.. نعم إن لله وجودا يُميّزه عن العدم ويميزه عن خلقه، لكنه وجودٌ واســعٌ غيرُ محدودٍ ولا يتعارض مع وجود خلقه فى مكان واحد. قال الله **عز وجل** فى سورة يونس :

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ

ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي

كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ يونس

وبهذا قد أثبت الله عز وجل لنفسه : العلم، والمشاهدة، والقرب، فلا يجوز نفى القرب. وقال عز وجل فى سورة يونس:

فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾

ومعلوم أن الشهادة تقتضى الوجود التام ولا تُقبل شهادة لغائب.

وقد أمرنا الله الخبير الحق عزّ وجلّ فى سورة الفاتحة أن نخاطبه فيخاطبنا خطاب الحاضر للحاضر معنا فى ليلنا ونهارنا فى كل صلواتنا ودعواتنا وتلاواتنا قائلين فى سورة الفاتحة :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

الخطاب هنا للحاضر القريب دائما **جل جلاله** ولو قرأها إنسان (إياه نعبد) لبطلت صلاته !. (يقول بديع الزمان سعيد النورسى: كرَّرَ "اياك" لتزيد لذة الخطاب والحضور، ولأن مقام العيان أعلى وأجلّ من مقام البرهان، ولأن الحضور أدعَى الى الصدق)اهـ **الإعجاز**. وقلنا : وإلا فما معنى وما جدوى السجود لمن هو غائبٌ أو بعيدٌ ؟!! ولو ظن المصلى هذا البُعد فإنه لا يُحدِّثُ إلا نفسه!. وقال الله عز وجل فى نفى الغياب مطلقا عن نفسه وفى لفظ صريح لا يقبل أىَّ تأويل:

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ الأعراف

ذلك ليؤكد على عدم غيابه مع تأكيده على علمه، فما جعل أحدهما بديلا عن الآخر. فإن كان لابد من شك فليكن الشك فى حضورنا نحن ؛ لأنه لا يملك أحدنا حضوره ووجوده فى هذا الوجود، فكيف نجادل فى وجود الله معنا ونحن بين يديه؟!، وفى سنة رسوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (إنكم لا تدعون أصمَّ و**لا غائب**، **هو** بينكم وبين رؤوس رحالكم). فلم يجعل علمَه بديلا عن وجوده بنفسه. كما نفى النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الغياب عن الله مُطلقا بلفظ صريح، ثم أثبت وجوده فى **مكانهم** صراحة. فجاء تأكيد نفى الغياب بإثبات نقيضه وهو الوجود، وجود الله نفسه. كل هذا ثابت لله فى صفة الوُجود والقيام بنفسه مع وفوق كل شيء بلا حد. كما قال عزّ وجلّ {وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ} المائدة:12 وبقية الآية تتكون من جملة شرطية تامة تستأنف منها التلاوة، ولا تتوقف معية الله لهم على شرط.

ولا شك أن كتمان معانى الآيات ومقاصدها الحقيقية لا يقل خطورة عن كتمان الآيات لفظا ومبنىً.. والله يتوعد الكاتمين بأشد الوعيد حيث يقول جل شأنه :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ البقرة

والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص سبب النزول أو فى من نزلت الآية الكريمة. والوجود المُطلق لله عز وجل بنفسه أوضح وأشهر من أن يُكتَم لفظاً.. الأمر الذى لم يجد الكاتمون معه إلا الذهاب إلى كتمان المعانى للآيات رغم دلالتها القاطعة !. وليس لمن يسمع ما يفيد العلو لله عز وجل بنفسه أن ينفى قربه ووجوده معنا بنفسه، فلا تعارض – راجع تفسير ابن عثيمين لقرب الله بنفسه، واحذر ممن يشيعون أنه تراجع عنه، فهذا هو تقولهم على كل من خالفهم !–، فالله هو **الواحد الواسع**، إنها لغة واحدة فى العلو وفى المعية، إنه سبحانه لم يختص نفسه بجهة فوق.. إنما اختص بعض خلقه بجهة فوق مثل الملأ الأعلى والحآفّين من حول العرش والعرش الأعلى

ســـقف الكون واللوح المحفوظ...، وخص جهة فوق بتدبير الأمور وتكليف الملائكة المختصـــين بالنزول إلى الأرض يفعلون ما يُؤمرون ثم يعرجون بالكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وبأرواح المؤمنين بعد وفاتهم إلى أماكن مخصوصة بذلك كما اختصنا نحن بالأرض. فيأتى الإختصـــاص بالجهة والحدود فى حق المخلوقات لا فى حق الخالق سبحانه. ربما يكون الملأ الأعلى أقرب إلى الله من حيث تجليات الله عز وجل لهم حيث طبيعتهم أنهم خُلِقوا من نور ولا يعصون الله ما أمرهم ؛ والطاعة تقرب العباد من ربهم كانوا من كانوا وأين ما كانوا. ونبينا محمد **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** تفوّق على أمين الوحى جبريل عليه الســـلام فى القرب من الله ليلة المعراج، قرب مع كشـــف الحُجُب فوق السماوات مع قرب فى الأرض من وراء حجاب، ولنقرأ الهدف من الإسراء والمعراج (لنريه من آياتنا)، (لقد رأى من آيات ربه الكبرى). مع تكريمه تكريما خاصـا برفعه مكانا عليا فوق جميع الأنبياء وفوق أمين الوحى رئيس الملائكة. ولو كان الهدف هو فقط **لقاء** النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بربه عزّ وجلّ وتكليم الله له، فلقد تم ذلك لموســى **عليه الســـلام** وهو فى الأرض دون معراج، وإبراهيم عليه الســـلام يرى ملكوت الســماوات والأرض على اتســاعهما وهو فى الأرض، يرى بالله الواســع معه حيث يقول عزّ وجلّ (وكنت بصره الذى يبصر به).

وإنى لأسأل المتشككين فى كمال معية الله لنا وقربه منا بنفسه من وراء حجابٍ بعد كل ما جاء من نصــوص وأدلة قطعية.. أســألهم مســتحلفهم بهذه النصــوص أن يقترحوا **الكلمات** التى لو أنزلها الله عليهم لآمنوا بقربه معنا بنفسه ؟!، وإنه لتحَدِّى القرآن والسنة يلزمهم ؛ لأن تشـــككهم – وهم يدَّعون الإيمان – يعنى حتماً أن عندهم من بيان اللغة ما هو أوضـــح ! فماذا يقول لهم ربهم أكثر مما قال ؟! وماذا يقول لهم نبيهم أوضـــح مما قال ؟! إننى أَلِحُّ لأنه دين، فإما إيمان وإما لا، ونوشـــك أن نلقى ربنا بأيهما، وما أوصلنا إلى هذا الموقف إلا الذين تكلموا فى ذاتٍ لله بغير إذنٍ منه وفرضوا رأيهم على الأمّة ! وتبعهم الكثير والكثير، فما دفاعهم أمام ربهم لو كانوا خاطئين ؟!.. **بل إننى أتحداهم أن يرفعوا أكف الضـــراعة معنا وأن نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين،**

لأنهم مهما قالوا بالعلو ونصوصه وأدلته قلنا آمنا بذلك مثلكم وأشد لأنه من عند ربنا، فآمِنوا أنتم معنا بالقرب ونصوصه ولا تحرفوه لأنه من عند ربكم !. ومهما تكلموا بالحلول والاتحاد نفيا أو إثباتا قلنا لا يلزم الله وقد سكت عنه الشرع، لأنه كلام فى الكيفية جاء من وحى الخيَال وما أنزل الله به من سلطان، إنه ليس بدين.. إنه من خيال عقل لا يحيط علما بحقيقة الله من قريب أو من بعيد. إن الله بنفسه فى السماوات وفى الأرض وفوق العرش، ولكن ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار: إن الله عز وجل عندما يتكلم عن نفسه فى القرآن الكريم لإخبارنا عن قربه لم يُبعد شيئا من نفسه ويُقرب شيئا، ولا تحتم قواعد اللغة ذكر كلمة (**بنفسه**) مع كل كلمة (**الله**) لكى نؤمن بذلك !، ولم يُبعد مكانا ويُقرب مكانا، بل العموم هو الصحيح الذى أكد عليه ربنا عز وجل، وعلينا أن نراجع النصوص القرآنية ونتدبرها ألف مرة. وتلك هى الحال عندما يتكلم النبى محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن قرب الله ووجوده، غاية ما فى الأمر أن الله عز وجل ليس كمثله شيء فى نفسه وفى كيفية وجوده، وبالتالى لا يجوز لنا قياس الله تعالى على أى شيء غيره يستوى أو ينزل أو يضحك، لا يجوز لنا القياس فى ذلك. إن استواء الله إلى السماء وعلى العرش لا يعنى أنه يغادر مكانا ليوجد فى مكان آخر، إنهم بذلك شبهوه بطائر متحيز أو كائن متنقل. ولو جاز الاحتكام إلى اللغة فى معنى الاستواء بأنه العلو والاستقرار، لجاز الاحتكام إليها فى النزول بأنه هبوط وانحدار، ولجاز الاحتكام إليها فى الضحك بأنه انفراج أسارير الوجه مع القهقهة وظهور الأسنان.. إنها جميعها كيفيات مستفادة من شكل وهيئة الإنسان، فلماذا يقيسون فى شيء منها دون شيء ؟!.

ولو كان وجود الله بنفسه فى مكان ما مع خلقه لا يجوز لأخبرنا بذلك صراحة بنص قطعى وما ترك ذلك لاجتهاد مجتهد. فمن آمن بنصوص الوجود الواسع على إطلاقها فهو المؤمن، ومن غيّر وبدّل، أو كذَّب وأنكر فحسابه عند ربه بقدر ما ضل وأضل. ولو اجتهدوا فى إثبات القرب المطلق والاتساع المطلق لله اجتهادهم فى (التقول فى الله بذات له بعيدة) لكان خيرًا وأنفع لهم وللناس ولوجدوا الله حاضرًا ليُوفِّيَهم أجُورَهم فى

الدنيا والآخرة. فالله حيٌّ لا يموتُ، وحقيقةُ قُرْبِهِ هى صفةٌ له لا تموتُ ولو كرِهَ المتشككون ونامَ عن إثباتِها النائمون وغفل عن قيمتها الغافلون !.

أَدِلَّةُ العُلُوِّ والفوقيَّةِ هى أدِلَّةُ اتساعٍ فى استواءٍ واستواءٍ فى اتساعٍ

قال ابن عثيمين (فإن قال قائل: كيف الجمع بين قربه جل وعلا وعلوه ؟ فالجواب: أن الله أثبت ذلك لنفسه، أعني القرب والعلو؛ ولا يمكن أن يجمع الله لنفسه – فى ذلك – بين صفتين متناقضتين؛ ولأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته ؛ فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه)اهـ تفسيره لسورة البقرة آية 186. فأنصح من يقرأ كتاب (العُلوّ) أن يقرأ معه كتابى هذا، لأن الفوقية تحيط بالأرض كلها، أى أن (العلو) هو الاتساع المطلق وليس هو البُعْد المطلق. والأرض تدور دائما، وما هو فوقنا الآن يكون تحتنا بعد ساعات ولكنه فوق نصف الكرة الأرضية المقابل. أنظر نموزج رقم4 التالى:



الأرض كرة تسير فى السماء وكل ما عداها يقع فوقها وليس لها (تحت).

وأكَّد اللهُ على ذلك فى قوله عزّ وجلّ { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ } **الزمر:5**

فهذه حقائق جاءت فى الشرع قبل أن تراها العين ويعقلها العقل. فإذا كان يلزم الإنسان الجهات الست فلا يلزم الكرة الأرضية إلا جهة واحدة هى كل ما علاها من اتساع مطلق أى السماوات السبع وما فوقهن، لذلك قال الله عز وجل (تحت الثرى)**طه** ولم يقل تحت الأرض، لأنه ليس تحت الأرض إلا باطنها. فإذا تنزه الله عن الكتلة المحددة بحدود فهو لا تلزمه جهة ولا جهات، بل هى المعية التى وسعت كل شيء وزيادة، إنه الاتساع فى الاستواء والاستواء فى الاتساع. وإذا اتسع الله إلى غير حد فلا

يكون قبله شــيء ولا يكون بعده شــيء ولا يكون فوقه شــيء ولا يكون تحته شــيء، لذا يقال إنه لا تحتويه ولا تكتنفه الأرض والسماوات، ذلك لشدة اتساعه فيهما وبَعدَهما إلى ما لا نهاية. فالنفى هنا هو نفى أن تسع الأرضُ والسماواتُ اللهَ كالظرف للمظروف أو الحاوية لما يُخبّأ بداخلها، وليس نفيا لمبدأ وجود الله فيهما. وليس أدل على ذلك من اســـتخدام القرآن الكريم لكلمات التعالى فى حق الله عز وجل، فجميعها للتنزيه وليس لتحديد مكان أو جهة. وجاءت آيات التعالى الثابتة لله بمعنى التنزيه عن الشريك والولد والزوجة، وليس بمعنى التجافى أو الانحسار أو البُعد عن الخلق، فالعلى المتعالى عز وجل تجد معناه فى سُـــوَر: الأنعام100/ الأعراف190/ يونس18/ النحل1و3/ الإســـراء43/ طـه114/ المؤمنون92و116/ النمل63/ القصـــص68/ الروم40/ الزمر67/ الجن3 وهكذا يقال فيه فيما جاء فى السنة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاةَ قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْـــمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ***رواه مســـلم**، فعلو الله إما علو مكانة وقدر وإما اتســـاع مكانى بلا حدود. والعلو المكانى نِســـبىٌ حســـب مكان كل إنســـان على الكرة الأرضـــية ومجموعُه هو الاتســـاع المُطلق فى كل الجهات. وإذا تكلم الله عزّ وجلّ لبعض خلقه بما يشاء فى الأرض أو فى السماء فى الدنيا أو فى الآخرة فلا يعنى ذلك أنه مختص بهذا المكان أو ذاك الزمان دون غيره، بل هو عزّ وجلّ يُوحى إلى كل مخلوق فى مكانه وزمانه بوسيط أو بدون. أما عن كيفية معية الله ووجوده، وعن كيف أن تكون الأرض جميعا قبضـــته يوم القيامة والســـماوات مطويات بيمينه، وكيف خلق الكون وهو فيه وكيف يُهلكه وهو فيه، فسـوف يرد على ذلك القلب المؤمن بمجيء الله إلى أرض المحشـــر مع أن الأرض جميعا قبضـــته يوم القيامة، ولا يتأتى أن يأتى الله محدودا مجســـما فى جزء صـــغير من الأرض التى ســـتكون جميعها فى قبضـــته يوم القيامة والســـماوات مطويات بيمينه. بل إن فى ذلك الدليل على أنها كنايات حقيقية ترمز لوجود الله نفســـه متى وأين ذكرت، واللغة العربية تســـمح لنا بهذا الفهم دون أدنى

حرج. وبهذا الفهم لن يغيب الله الواسع من سماواته ولا من فوق عرشه ليوجد فى أرض المحشر، لأنه يتجلى كيف ما شاء متى شاء أين ما شاء.

أما من توهموا أنها أعضــاء تكونت منها (ذات)، فإن هذا الوهم لا يســتند إلى دليل، وكان عليهم أوّلا الإجابة على ما يلى :

هل مجموع ما جاء فى هذا الصـــدد يمكن أن تتكون منه ذاتٌ سَــويّة – حيث أن الله لابد أنه موصــوف بالكمال والجمال ؟ هل هى يدٌ أم يدان أم أيادٍ لا حصــر لها ؟ هل هى عين أم أعينٌ لا حصر لها ؟ هل هو وجهٌ فى رأس ؟ وأين بقيته ؟ هل هى يدٌ فى ذراع فى جسدٍ ؟ وأين بقية الجسد ؟ وإن كان له بقية فلماذا لم يأتِ ذكرُها رغم ضرورة ذلك حين ذكر السـمع مَثلا ؟ ألا يقتضــى السـمع أُذُنا أو آذانا كما أن للبصـر عينٌ و أعينٌ ؟! فالذات فى عرف المتكلمين تعنى جســم ونفس الشـــيء، فهل اكتملت – فيما وَرَدَ– (أعضاءُ ذاتٍ) كاملة لله ؟ لا، إذَنْ لماذا نقول بــ(الذات) وهى – نصًّا – لم تَأتِ ؟!، إن ما ورد لا يعدو الرمزَ لوجود الله نفســــه، فالوجه عبارة عن الله، وكذلك اليد والعين والساق...إلخ. وهذا ما قاله ابن عباس وارتضـاه العلماء من بعده، ولو ارتضـى الجميع اتباع هؤلاء الســلف الأكرمين لوصــلنا بســهولة ويســر إلى أهم نتيجة على الإطلاق ألا وهى : **إن الله معنا حقا،** لكنه نورٌ من وراء حجاب، لا تدركه الأبصـــار وهو يدرك الأبصار. وهى نتيجة مُصَدِّقةٌ للقرآن والسُّنة، ويصدقها القرآن والسنة.

الفصل الثالث

وجود الله بحقيقته معنا ومع جميع خلقه ضرورة، ليخلق خلقه ويحكم عرشه، فهو الفعَّال لما يُريد، ومنه وحده النصر.

*** وجود الله بحقيقته معنا ضرورى لوجودنا وحياتنا :**

ولقد رَكَّزَ القرآنُ الكريمُ فى تعريف الناسِ بوجودِ اللهِ معهم قريبًا على محاور عديدةٍ ومنها : الأسماء الدَّالة على القرب والاتساع، الدلائل (الكنايات) الكريمة ثم أفعاله وضرورة وجوده الفعّال بنفسِه

مع فعله ومفعوله فى كل ما حولنا وفى أنفسنا .. قال عز وجل{وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ }إلى آخر السورة

قال الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآيات ما يلى : ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى فلا فاعل إلا هو. أهـ وقال الله عز وجل{ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }هود:56 وقال عز وجل:

{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} الجاثية13

هذه الآيات الكريمات تثبت قرب الله مع كل شيء فى السماوات وفى الأرض يفعل الله فيه من أفعاله ويتجلى فيه من صفاته ما به يكون المخلوق مُسَخَّرًا لنا. فكلمة (منه) فى هذه الآية ليست للتجزئة أو للتبعيض، ولكنها للقرب والمعية ولإلْحَاقِ الصورةِ بمُصَوِّرها والفعلِ بفاعلِه والخلقِ بخالقِه على دوامٍ يقتضيه قانون السببية، حيث أنَّ اللهَ يتناولُ كلَّ شيءٍ على طولِ بقائه فى هذا الكونِ بأفعالٍ لا تنقطع، بعكس صناعة الإنسان لشيءٍ يصنعه فى مدةٍ وجيزةٍ ثمَّ يظلُّ الشيءُ على صورتِه هذه بعد انتهاءِ تصنيعِه. لم يذكر اللهُ كلَّ ذلك ليأتى من يقولُ بتنزيه اللهِ عن الوجودِ والقربِ مع خلقِه !!

أما الذين يقولون ببعد الله عن أىّ شيءٍ من خلقه فهم وَاهِمُون فى تقوُّلِهم هذا، بل نخاف عليهم أن يُشركُوا مع اللهِ الأسبابَ، لأنَّ اللهَ عزّ وجلّ لم يُشهِدْهُم خَلْقَ السماواتِ

والأرضِ ولا حتَّى خلقَ أنفسِــهم حتى يقولوا عليه أنه يخلق من بعيد أو يخلق بصــفاته دون يده أو بيده دون نفسِه أو بالأسبابِ مع بُعدِه !!.. قال عزّ وجلّ :

{ مَا أَشْــهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِــهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِــلِّينَ عَضُدًا } الكهف51

هذا لِيعلمَ القاصِـى والدَّانِى أنَّه حين يظلم خلقَ اللهِ فإنَّهُ يَظلمُهُم بين يَدَىِ اللهِ نفسِـه وهو يراه ويسمعه، ولو شاءَ لأراهُ وجْهَهُ الكريمَ وهو عليه غضبانٌ ليذوبَ الظالمُ من الخوفِ والوجلِ والحياءِ من الجبارِ القهارِ جلَّ فى قُربِهِ وعُلاه. قال جل جلاله:

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ سورة عبس

فما معنى أن نبعد الفعّالَ لما يُريدُ عن مَحَلِّ أفعالهِ وإبداعِه؟! ومن الذى أمرنا بذلك؟! إن الربط بين وجود الله عز وجل بلا أىِّ استثناءٍ وبين كلِّ ما يفعله الله فينا وفيما حولنا واجبٌ بمُوجَبِ نصــــوصِ المعيةِ القطعيةِ. لكن من الذى أوجبَ الاســـتثناءَ والإبعادَ والانحصـارَ والانحسـارَ والدفعَ بالحلولِ والاتحادِ ؟ سـبحان ربى الأعلى العظيم !. وإذا قالوا أن عدم وجود الله بنفسـه فى الأرض ليس إبعاداً لأن الله ليس كمثله شـيء، فذلك رجمٌ منهم بالغيب وتقوّلٌ منهم فى كيفية وجود الله وفهمٌ خاطئ لانتفاء المثلية عن الله ؛

فالذى لا جدال فيه أن ما فوق العرش الأعلى سقف الكون وليس فى الأرض هو بعيد من وجهة نظر الناس فى الأرض، والناس مخاطبون فى الكتاب والسنة بالقرب كما يعرفونه ويتعارفون عليه، فالمقارنة جاءت بقرب حبل الوريد منهم وعنق راحلة الراكب وما هو أقرب. أما بالنسبة إلى الله فكل شيء قريب ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وهذا لا يعنى إلا القرب الحقيقى أيضا. وضربوا لكيفية وجود الله مثلا بالقمر فى السماء جسمه ومع الناس جميعا أينما كانوا نوره !. فأين نور القمر ممن هم فى نهار فى نصف الكرة الأرضية المقابل ؟! إن من قال بذلك قديما كان لا يعلم بكروية الأرض ولا يسمع عن نصفها المقابل، فهل هم اليوم لا يعلمون ؟ إن هذا المثل باطلٌ من حيث الأينية والكيفية. أين مثلهم هذا من قول الله عز وجل (ليس كمثله شيء) وأين هو من (توحيد) الواحد الأحد الذى لا يتجزأ إلى (جسم) و (نور) ينعكس عنه ؟ إن هذا قياس منهم لحقيقة الله على شيء، وهو باطل لأن الله ليس كمثله شيء. وقول النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن رؤيتنا لله فى الجنة بلا مشقة مثل رؤيتنا للشمس وللقمر، هو تشبيه فى يُسر الرؤية ووضوحها لا فى كيفيتها ؛ **فالله يُضرَب له المَثَل الأعلى ولا يُضرَب له المِثْل فى نفسه وكيفية وُجُودِه –لأنه ليس كمثله شيء**. وبإثبات قرب الله الدائم مع أفعاله فينا التى لا ينكرها أحدٌ ولا ينكر أحد أن الفاعل الفعَّال لها هو الله، تنقطع الحُجَّة عند الذين يعبدون (نبيا) لأن **اللـه** أحيا له الموتى، وعند الذين يعبدون (وليا) لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا أجرى **اللـه** على يديه كرامة، ويستحى العُصاة الذين جعلوا اللـه أهون الناظرين إليهم لشكِّهم فى قربه ومعيته. أليس هذا هو أعلى ما يسعى إليه الدعاة إلى الله ؟ إنه هو منهج القرآن والسنة الذى عطلناه، ولنستمع إلى رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو يبين لنا منهج الإسلام فى دعوة الناس إلى الله حيث (قدِمَ وفد نجران على رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال لهم : أسلموا فقالوا: قد أسلمنا قبلك قال: كذبتم، منعكم من الإسلام دعاؤكم لله ولداً وعبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير، قالوا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟

وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهم النبي **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشـــبه أباه قالوا: بلى قال: ألســـتم تعلمون أن ربنا حيٌّ لا يموت وأن عيســى أتى عليه الفناء(1) [1]قالوا: بلى، قال: ألسـتم تعلمون أن ربنا قيّمٌ على كل شـيء يحفظه ويرزقه قالوا: بلى قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا: لا، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث، قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصـــبي ثم كان يطعم ويشـــرب ويحدث ؟ قالوا: بلى قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسـكتوا فأنزل الله عز وجل فيهم صـــدر ســـورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها)أهــ[2]. ومن قبل ذلك نهج أبو الأنبياء إبراهيم نفس المنهج فى دعوته الناس إلى الله ربهم، قال الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) **البقرة:258**

فإن حركة الكواكب والنجوم والمجرات بهذا النظام – أو بغيره – ما هى إلا فعل لابد له من فاعل، هذا الفاعل عرفه إبراهيم بأنه الله الذى أنجاه من النار دون تدخل من جبريل! وهكذا يعرف الخليل خليله، قال : إن الله يأتى بالشـــمس. ولم يقل : يجعلها تأتى أو يأمر غيره أن يأتى بها. وكذلك الله يُحيى ويُميت بنفســـه. والجاذبية وأخواتها من الظواهر الطبيعية هى أفعال وليســـت فواعل، ومن يعتبرها فواعل فهو كمن يعتبر الموت فاعلا وليس فعلا.

والذى ورثناه عن النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد بغير غياب، قال الله عز وجل (فَلَنَقُصَّـــنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ) الأعراف:7، وقال النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (إن ربكم ليس بأصم ولا غائب، هو بينكم..) ملازمًا

[1] باعتبار ما سيكون بعد نزوله عليه السلام.
[2] أسباب النزول للنيسابورى

لأفعاله جميعا أينما كانت يفعلها بيده كما أخـبرنا فى كتابه وسنة رسوله، ويده منه بلا خلاف،

فيكون هو معنا بنفســه، وأكد ذلك بقوله **صَــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ** (هو بين أيديكم في صلاتكم).

هؤلاء هم الأنبياء والمرســلون يقربون الله للناس ليرتبطوا به ويفروا إليه ويدعوه رغبا ورهبا، إنه هو الذى يصــورهم، فمن هذا الإنســان الذى ينكر أنه صــورة من صــنع الخالق؟ ثمّ أليس من حق المصــور أن يرعى تصــاويره من خلال منهج مقدس ؟ هل يجوز للصــور أن تتمرد على مصــورها ؟، وهل لهم أن يؤمنوا ببعض الرســل ويكفروا ببعض ؟، إن الناس جميعا فى أمَسّ الحاجة لإدراك هذه الحقائق فلماذا لا نســاعدهم والعالَمُ الآنَ يبحثُ عن مُنقِذٍ لـه ؟!. إن افتقادهم لمفهوم (الواســع) والقرب الحقيقى يُفقدُهم أهَمَّ مَعَانِى الرُّبُوبيَّة والألوهية، والقول فى ذلك بالمجاز لا يستند إلا على الظن، ويجعلهم يتعاملون مع بعضــهم البعض أخذا وعطاء من دون الله ومراقبته المباشــرة. وقطعُ الصــلة المباشــرة بين الله وبين آياته فى الســماوات وفى الأرض هو قطعٌ لكل طرق التعرف عليه، بالإضــافة لما ينطوى عليه ذلك من الشــرك الجلى والخفى، لأن أفعال الله فى جميع آياته ظاهرة، فمن الفاعل لها غيره ؟ النفس البشــرية لا تملك إلا النية والعزم، أما الجسـد الذى تسـكنه والكون الذى تعيش فيه فلا سـيطرة لها عليه إلا بإذن الله ومدده وعطائه، وعجز النفس البشـرية فى ذلك جلىٌّ غيرُ خفىّ، وما قيل عن النفس البشرية فى هذا ينطبق على كل مخلوق غيرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله وحده..
قال عز وجل فى سورة الأنعام:

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ
وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ
نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ
ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ
مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ
لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ الأنعام

وقال عز وجل في سورة يونس:

قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ

ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ
هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ
قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا
يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ
أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

إن هذا الخلق لا يباشـره الله تعالى من بعيد، ولكنه عزّ وجلّ يباشـره من قريب، وإسـم الإشارة فى قوله (ذلكم الله فأنّى تؤفكون) الأنعام95 و(فذلكم الله ربكم الحق)يونس32 يأخذ بأيدينا لنرى ونلمس هذا القرب أينما تقع أفعال الله فى خلقه إذ يقول (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَـــيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) **35 الطور وما بعدها.** فكما خلق الله الســـماوات والأرض فى ســـتة أيام – كما جاء فى القرآن –، وفى الحديث النبوى (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّـبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّـجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ **عليه السلام** بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ) رواه مسلم وأحمد. هو لا يزال يفعل كما نرى فى كل أيام الأسبوع بلا استثناء. ولعل الأسبوع الأول من بدء الخلق كان يوم السبت فيه هو انقطاع الخلائق عن الوجود، حيث السبت هو القطع، أو جاء العدد فى القرآن ستة

أيام فتنة للذين كفروا ليقولوا اســتراح فى اليوم الســابع كما كان عدد الملائكة فتنة فى قوله عز وجل { وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا } **31 المدثر**. ويُبدئ الله الخلق ثم يُعيده بعد ذلك على مرّ الأيام بما فيها يوم الســبت كما فى الحديث أعلاه ثم دون اختصــاص لكل يوم بنوع معين – كما نرى الآن. ولعل عمر الكون من أوله إلى آخره ما هو إلا كأسـبوع عند الله تم خلق الكون فيه على مراحل يُشــار إليها بأيام الأسـبوع وســاعاته، وآخرها هو مرحلة خلق الإنســان. فلا أحد يزعم أن عملية الخلق قد توقفت أو أنها تتم بغير الله، (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ)**العنكبوت19** إن الله قدّرَها خطةً دهريّةً لكل شــيء طال دهره أم قصُـر. إن الفاعل مع فعله مع المفعول به ولا غياب، ولم يتركنا ربنا لنســتنتج ذلك رغم بداهته، ولكنه عزّ وجلّ رحمة منه ولطفا بنا وإعذارًا لنا أكد لنا ذلك صراحة بكل ما فى اللغة من بيان.. إن الإنسان ليحتاج إلى الله عز وجل معه أين ما كان ولو نزل إلى الأرض السـابعة أو تصـعّد فى السـماوات، لأن وجود الإنســان حيا يحتاج بالضـرورة إلى الحى القيوم الذى يحييه والمصـور الذى يصـوره – أنظر كيف ألقى الله شبه عيسـى عليه السـلام على أحد رجال بنى إسـرائيل ولم يشـــعر أحد !. ثم عند النوم أو الموت يحتاج المخلوق إلى من يتوفاه ثم عند الاستيقاظ أو البعث يحتاج إلى من يبعثه، يحتاج إلى الله نفسه، حيث لا بديل فى ذلك عن الله نفسه، قال اللهُ فى سورة الزمر :

ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ الزمر

وأفعال الله تبارك اسـمه فى خلقه وحاجاتهم الضــرورية لقربه لا تُحصَــى ولا تُعد، ولله ذلك كله، فهو ربُّ الســماوات فهو معهن، وهو ربُّ الأراضــين فهو معهن، وهو ربُّ

العالمين فهو معهم، فلن يَكُونَ رَبًّا غائبًا أو بعيدًا.. بل هو معنا يُدركنا ويبصـــرنا ولكن لا تدركه أبصارنا.. الكبرياء رداؤه والعزة إزاره والنور حجابه :

فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ الجاثية

اللـّهُ هو الدهرُ:

(إعجازٌ ِ عِلمِيٌّ فريدٌ لعقيدة القرب الحقيقى والاتساع المطلق).

روى الإمام البخارى :

قال أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِـي اللَّه عَنْه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ اللَّهُ : يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ * وعَنْه : قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُـبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *

وروى الإمام مسلم فى بَاب لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ من كتاب الألفاظ من الأدب:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِـي اللَّه عَنْه: سَـمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ *

وعَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وعَنْه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا *

وعَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ * وعَنْه عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ *

وفى مسند الإمام أحمد :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِــي اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: اسْـتَقْرَضْـتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْـنِي وَسَـبَّنِي عَبْدِي وَلا يَدْرِي يَقُولُ وَا دَهْرَاهُ وَا دَهْرَاهُ وَأَنَا الدَّهْرُ * وعَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ أَنَا الدَّهْرُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي لِي أُجَدِّدُهَا وَأُبْلِيهَا وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ *

وفى موطأ الإمام مالك :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِـي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ *

وفى سنن أبى داوود كتاب الأدب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِـــي اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ **صَــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ**: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *

ورغم تأكيد الأحاديث على أن الدهر المذكور فيها هو غير الليل والنهار، وأنه هو الله الخـالق وليس غيره، إلا أن الكثيرين من النـاس يخلطون بين هـذا وذاك!، فتجـد من يقولون (يعنى: وأنا خالق الدهر)!!. ولقد عزمت على أن آتى هنا بكل ما وجدت من روايات الحديث الشريف للتأكيد على أن الخطأ غير وارد على الإطلاق – بل مستحيل – فى كلام يُعرِّف فيه الله **نفسَه**.. والرسولُ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُعرِّفُ فيه **ربَّهُ اللّهَ**.. فالمتحدثُ هو رسولُ اللهِ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** الذى لا ينطق عن الهوى والذى أوتى جوامع الكلم والذى هو أفصـــح الخلق على الإطلاق.. ومع كل ذلك ســتجد من يُعدّل فى كلامه **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** عن الله بالحذف وبالإضــافة إلى حدّ عكس المعنى إلى الضدّ أو صرف الكلام عن مراده المقصود!. فما المانع أن يُعَرّف الله نفسَه بالدهر على مراده هو عزّ وجلّ من الكلمة؟، إنه البيان لأذهان الماديين الذين أرجعوا حياتهم ومماتهم للطبيعة المادية بأســـبابها الظاهرة المُدرَكة ولم يفطنوا إلى الواجد لهذه المخلوقات الباطن معها الظاهر لها بمعنى أنه مُظهِرُها، فهو دهرها – على الفعلية

والإســـمية – بمعنى أنه أعطاها خلقها ووقتها وعمرها، فهو الدهر الداهر لكل شـــيء، المُقيت المؤقت لكل شيء. راجع فتح البارى ج8 ص 575. وفى قوله عز وجل:

وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ الجاثية

الله لم يُؤاخذهم على قولهم "وما يُهلكنا إلا الدهر" – فالله هو الدهر – والدهر فى حق الله هو صفةُ أبديةٍ وبقاءٍ ودوامٍ **(هو الأبد)**، ولكن يُؤاخذهم على إنكارهم للبعث فى الآية المذكورة وفيما جاء فى قوله عز وجل:

وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾الأنعام

فهم يكفرون بالآخرة بغير علم لهم بذلك إن هم إلا يظنون – والظن غير مقبول فى العقيدة – وحُجتهم فى كفرهم بالآخرة داحضة :

مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾الجاثية

وبمقابلة إعترافهم بأن حياتَهم ومماتَهم ومَهلكَهم للدّهر فى الآية أعلاه مع إعترافهم أن الذى خلقهم والسماوات والأرض هو الله فى أكثر من آية مثل :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ الزخرف

كلُّ ذلك يُثبتُ لنا تاريخيا وقرآنيا مع الســـنة المطهرة أن الله هو الدهر العظيم الباقى. فهو البيان لهؤلاء الذين يعيبون الدهر والعيب فيهم أو ينســـبون للأيام ما ليس إلا لله مثل الوهب والمنع وتصريف الأمور وتقدير الأقدار والقهر والهيمنة والاتساع والتمكين والرفع والخفض،... وهى فى الحقيقة لله وحده، فإن نســـبوها إلى فاعلٍ فالله عزّ وجلّ هو هذا الفاعل وليس غيره. وهذا لا يتعارض مع قول القائل أن العرب تواضـــعوا على إستعمال (كلمة) الدهر بمعنى الزمن مثل: العام، العمر، فهو هنا نسبى مقيد بسرعة المخلوق المحدودة. أما الدهر فى حق الله عزّ وجلّ فهو مُطلقٌ أَبَدِىٌّ لســـرعة الله المطلقة المتناســـبة طرديا مع قوته المطلقة واتســـاعه المطلق بما يتلاشـــى معه الزمن اللازم للانتقال مهما اتسع المكان. فنحن نشعر بمرور الزمن لأننا رهن حركة الأرض

والكواكب والنجوم بســـرعاتها المتفاوتة بكل حوادثها، أما بالنســـبة إلى الله فكل هذه الحركات والحوادث –على اختلاف أزمانها الخاصـــة بها وأماكنها الخاصـــة بها– تقع أمام عينه وعنده ويدركها معا، فهو أول آخر ظاهر باطن معًا، **فالدهر هنا هو البقاء الدائم باتســـاع مُطلق لنور الله (الله نفســـه)** عزّ وجلّ.. فهو يرى ويســـمع الماضـــى والحاضـر والمستقبل رؤيةً واحدةً كما لو كان **الكونُ كُلُّهُ شاشـةَ عَرضٍ واحدةً واسـعةً جدًّا متعددة الأبعاد، لكن مجالَ الرؤيةِ عند اللهِ واســـعٌ بلا جارحةٍ، فهو لاتســـاعه المطلق يراها دفعة واحدة بوضـوح مطلق، يراها ويسـمعها إجمالا وتفصـيلا من قريب [إِنَّهُ سَـمِيعٌ قَرِيبٌ] سـبأ50**، ومن هنا كان القول بتقييده بجهةٍ مُحَدَّدَةٍ أو بمكانٍ محدد مخالفًا لتنزيهه حيث يَعدِلُه بمخلوق. فالمخلوق لضــعفه وصِــغره يحتاج إلى زمن ينتقل فيه من أول الشاشة إلى آخرها ومن أعلاها إلى أدناها ليرى أو يسمع أو يفعل فيها ما يشـــاء، فيعوزه زمن وجهد وحركة، وســبحان الله وتعالى عن ذلك علوا عظيما واتســـع اتساعا كبيرا. وكم من أسماء الله الحسنى ويُسمى بها غيره مع اختلاف المثلية مُطلقا، وهكذا الأمر مع **الدهر** فلا مثلية. ويقول عزوجل :

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ الإنسان

كلمة (الدهر) هنا تحتمل المعنيين – وجود الله الواسـع الدائم ثم الوقت المحدود – لأن كلمة (حين) وحدها تعنى الوقت والزمن والحِقَب، فالآية تتكلم عن حِقبةٍ محدودةٍ من الدهرِ اللامحدود. وقد ورد فى فتح البارى لابن حجر العســـقلانى نحو ما ذكرنا فقال (الدهر هنا بمعنى الداهر المدبر المصرف لما يحدث).ج8 ص 575

ويكفينا أن السّـــنّة المطهرة أتت بهما:الله وهو **(المقيت)** ثم **(الوقت)** المحدد، ولا يخفى ما فى المادة اللغوية فيهما من تقارب. وليس بغريب على اللغة العربية أن يُســـتعمل اللفظ الواحد لمعانى مختلفة متباينة. إنها محاولة للفهم، وعلى المؤمن أن يُطوع نفســـه وعقله للقرآن والسّـنة ولا يســارع للإســتدراك على النص ثم التأويل المُخِل، فهذا يجب علينا التوقف قبله بكثير. ونحذر هنا من الإســـاءة إلى **الدهر** بمثل كلمات : ســـاء الدهر، وفسد الدهر، أكل عليها الدهر وشرب.. إلخ بعدما علمنا بكل ما جاء فى ذلك

من تحريم. أما الذين يكفرون بالبعثِ والنشـــأةِ الآخرةِ فأدُلُّهم على دودة القز(الحرير) ليشاهدوها وهى تُقْبِرُ نفسَها فى قبْرٍ تصنعه بنفسها لتُبعَثَ منه نشأةً أُخْرَى وخَلْقًا آخرَ طائرًا يطيرُ بجناحين!، إنها أطوار الوجود عند كل المخلوقات، فلماذا سيشُذُّ الإنسان عن سنة الله ؟! وهل تكذيبه بالبعث سيُغير من إرادة الله فيه شيئا ؟، لا والله، ولكنه سيُحدد مصيره هو فى الآخرة إلى إين !. وكذلك لو كذب بقرب الله معه.

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتضح لنا أن قرب الله معنا ثابتٌ ليحرك ما يتحرك ويسكن ما يسكن و يقلب الليل والنهار، ويسوق الرزق، ويصور الخلق، ويحيى ويميت، ويشاهدنا ويسمعنا بنفسه من قريب وهو معنا وفوق العرش. فالمقصود بالدهر فى الأحاديث الشريفة المذكورة هو نفس الفعال لما يريد، الوهاب الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ويَسّر كل شيء لما خلق له، هذا الذى أسماه بعض الماديين العلمانيين بـ(الطبيعة)، فيقولون مثلا عن الورد الجميل وهبته الطبيعة ألوانا جميلة وعبيرا رائعا ! لعلمهم الأكيد أن الوردة لم تُعطِ اللون الجميل لنفسها، فيعزون العطاء والإيجاد والإبداع لقوى الطبيعة! ولئن سألتهم : وما هى قوى الطبيعة ؟ سكتوا!. والدين يقول لهم: هذه القوى الواهبة هى أفعالُ الواجدِ الماجدِ، وهو نفسُه القائمُ بها معها فى قرب واتساع، هو الواسع الذى له ومعه وعنده ما فى السماوات وما فى الأرض. بالمعارج والتنزيل بينهن الملائكة يتحركون بأمره منه وإليه أينما توجهوا، لا تراه الأبصـــار وهو معها يدركها، وكذلك الملائكة لا يرونه، هو الدهر الذى يتولى كل شـــيء بعناية بالغة منذ بدايته وحتى منتهاه ! أقرب للشيء من الشيء نفسه، ومع ذلك عزيز فى نفسه، كلما اقتربت من معرفته ازداد الأمرُ غموضـــاً ليزداد وَلَهُكَ به !. قال لمن طلب رؤيته لن ترانى، وليس ذلك لبعده عنه. إذا علقت إيمانك بوجوده القريب الواســع على رؤيتك أو تعقلك أو تصـــورك له فلن تؤمن إذاً أبدا !!، لذلك قالوا بأنه فوق العرش حتى يســتريحوا من هذا الوَلَه ومن هذه المفارقة – يُدرك الأبصارَ ولا تدركه الأبصارُ –، أبعَدوه فسكنت قلوبهم عنه فلا وَجَلَ ولا ترقب ولا مراقبة !، واكتفَوْا بلقائه فى الآخرة !. ولكن هيهات أن يكون اللهُ بعيدًا عن حَبْلِ وَرِيدِهم، فليؤمنوا بما يشاءون.

أما **الليل والنهار** فهما ظاهرتان كونيتان جعلهما اللهُ المقيثُ آيتين لنعلم بهما عدد السنين والحسابَ ولو شاءَ اللهُ لقبَضَهُمَا، وعلاقتهما بالدَّهر هى علاقة المخلوق بخالقه.. قال عزّ وجلّ :

{ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً } الإسراء:12

وفى البقرة آيةٌ أخرى :

ولو نظرنا فى قصة البقرة وقتيل بنى إسرائيل، فلا شك أن هذه المعجزة تهدف لبيان قدرة الله على إحياء الموتى فى الدنيا والآخرة.. ولكن لن يمنع هذا من أن يكون هدفها الأول هو البرهان الأكيد للناس على وجود الله نفسه معهم ومع قدرته، فلولا وجوده بنفسه ما تمت هذه المعجزة. ولأن قضية وجود الله نفسه الفعال لما يريد قريبا مع كل مفعولاته هى القضية الأوْلى بالرعاية عند أولى الألباب..

من هنا قال الله عز وجل : فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة

فى معرض كلامه عن معجزة يعجز العقل عن الإحاطة بها!. فهل سيطلب الله منهم أن يعقلوا اللامعقول ؟! لا، ولكنه عزّ وجلّ يطلب منهم أن يعرفوا قدر عقولهم، فلا يجعلوا عقولهم العاجزة عن الإحاطة بهذه المعجزة – وهى على الإحاطة بالله أعجز– تصدهم عن الإيمان كما أمر الله وأخبر به من أنه نفسه معهم أينما كانوا وقادر على كل شيء، وألا يُرَتبوا إيمانهم بالله على رؤيتهم له كقولهم لموسى عليه السلام (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون. فمن يطلب الرؤية فى الدنيا يصعق من تجلى الله ولو كان نبيا مرسلا، ومن يكفر بقرب الله معنا فقد كفر بما جاء به النبيون.. حيث أن كيفية وجوده الواسع عزّ وجلّ هى السر الأعظم محور الإيمان، فهل يُريدون أن يكشف الله لهم سره حتى يؤمنوا ؟! متى أو لمن من قبلهم كشف الله عن سره ؟ إنه لم يفعل ذلك لنبيه موسى **عليه السلام** – وهو من أولى العزم من الرسل– حينما طلب رؤيته مع أنه قرّبه **(لديه)** يكلمه تكليما !. وعن ابن عباس

رضي الله عنهما إن قوما تفكروا في الله عز و جل فقال النبي **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (تفكروا في خلق الله، و لا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره). رواه أبو نعيم في الحلية ، ويتضح من هذا الحديث الشريف أنه لا كلام عن (ذات) أو (صفات ذاتية)، ولكنه (الله) وكفى. سـئل الشـبلي رحمه الله عن الله عزّ وجلّ فقال : هو الله الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف. و قيل ليحيى بن معاذ: أخبرني عن الله عز و جل ؟ فقال : إله واحد، فقيل له كيف هو ؟ فقال ملك قادر، فقيل له: أين هو ؟ فقال هو بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته ما أخبرتك عنه. والمرصادُ هو مَكانُ الرصدِ والمراقبةِ، واللّهُ يرصُدُنا من قريبٍ.

الله يخلق بيده ويديه وأياديه ؟ أم بعلمه ؟..

قال عز وجل:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ يس

وقال عزّ وجلّ :

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ
ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا
وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ
حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ
ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ
تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن
يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ النمل

فإذا قيل أن كل ذلك يتم بعلم الله، قلنا : نعم، لكن : ما أدراهم ما علم الله وكيفيته ؟ إنه غيب مطلق كغيب نفسه المطلق. وهل صفة العلم تقوم مقام كل صفات الله ؟ بل مقام الله نفسه إذ يُمسك السماوات والأرض أن تزولا ؟ هل لأن الله عليم بكل شيء يجب علينا أن نعتقد أنه بعيد بـ (ذات) فوق كل شيء وغائب بـ (ذات) عن الأرض ؟ هل لأنهم تكرموا وآمنوا بأن الله عليم يحق لهم أن يجعلوا علمه بديلا عنه نفسه فى آيات

المعية والوجود فى السماوات وفى الأرض ؟!.. هذا هو قولهم بالضبط أفلا يشعرون ؟!.. وهل يستقيم فى لغة العرب أن يُثبت الله لنفسه الحضور والوجود الفعّال والقرب والمعية بالعدد المعدود وإمساك الأشياء بقوة و...و... فى أرض وسماوات هو خارجهما– على حد زعمهم– لمجرد علمه القديم بكل شيء؟!. إن كل شيء يتم بعلم الله، إن الله معنا بعلمه، كلمة حق، ولكن ماذا يُراد بها ؟! وماذا يُراد بنا ؟ وماذا يُراد منا ؟ هل المطلوب منا أن نسكت ونقعد عن إثبات باقى الصفاتِ ومنها القرب وعدم الغياب ؟ كيف لا نثبت لله ما أثبتناه لعلمه وكل ذلك بالنسبة لنا غيب مُطلَق ؟.. فلا قياسَ لنفسِ اللهِ ولا قياسَ لعلمِ اللهِ.

وفى الآية أعلاه رقم 65 النمل إستثناء موصول لا مقطوع – ومن قال بقطعه فهو مقطوع الحُجَّة – يثبت وجود الله فى السماوات وفى الأرض مع كل من فيهما، ويثبت انفراد الله بعلم الغيب من دونهم، وأعز الغيب هو كيفية وجود الله عزّ وجلّ الواسع مُطلقاً. إن من قال (الله معنا بعلمه) هو الإمام أحمد بن حنبل وقصد بها التفويض وليس التبعيض، ربما اضطر إليها أمام إلحاح سائل يسأل عن كيفية وجود الله معنا، حيث أن فى عصره كثرت الترجمة عن فلاسفة الغرب وكثر الكلام فى الله بالعقل وكانت فتن عظيمة مثل القول بخلق القرآن، فهل عصر مثل عصره نأخذ عنه عقيدتنا ؟! وهل قصّر النبىُّ فى بيانها ؟ والعبارة هذه لا تصريح فيها بأن الله ليس معنا بنفسه.. لذلك فسرها ابن عثيمين بقوله: أحد مقتضيات وجود الله معنا أن يكون الله معنا ومعه علمه، إنقاذاً للإمام أحمد وحتى لا يُتهم الإمام أحمد بالابتداع والمخالفة لأن هذه المسألة ليست محل اجتهاد. وإمام أهل الرأى والعقل – أبو حنيفة – لم يتكلم فيها إلا بما يؤكد المعية الحقيقية حيث ضرب لها مثلا بالزبد فى اللبن.

قرب الله نفسه ثابت معنا بثبوت ونفاذ مشيئته : قال عز وجل:

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ الإنسان

وتفريغ العقيدة من أى شيء مما ذكرناه هو تفريغ لدين الله من محتواه.

النصر من عند الله وليس من عند غيره من الجنود والأسباب وإن حضرت..

قال الله عز وجل :

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يس

النصر على الأعداء أمر من الأمور التى يقضى فيها الله عزّ وجلّ وحده، وجعل الله لحصوله شرطا أساسيا واحدا إذ يقول عزّ وجلّ :

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ سورة الحج

وقال عز وجل فى سورة محمد :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ محمد

فإذا تحقق هذا الشرط ونصر المؤمنون الله عز وجل بطاعته فى كل ما أمرهم به وحفظ كتابه دون تبديل نصرهم الله عزّ وجلّ على أعدائهم وأعدائه مهما تكن الظروف ..!!

وتدبر معى قول الله عز وجل فى سورة آل عمران :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ
تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ آل عمران

فمع تنزيل الله للملائكة بكل هذه الأعداد فما جعلهم الله إلا مجرد بشرى وللتثبيت، حتى ولو قاتلوا وضربوا فوق الأعناق، لكن الله يقول لنا ولهم : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم). ونحن لا نعرف (كيفية) هذه المصاحبة الدائمة بين الله عز وجل وبين الإنسان، وبين الله وبين ملائكته.. ولكنها هى القرب الثابت له فى النصوص القطعية، والتصديق به هو الإيمان، ومحاولة تأويله لعدم قدرتنا على تخيله نقص فى التصديق ونقص فى الإيمان.

كذلك يقول عز وجل فى سورة الأنفال :

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ
ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ
دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ
قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ الأنفال

وكذا فى غزوة الأحزاب نصـــر الله المؤمنين وكفاهم القتال، فقاتل هو أعداءهم، وقذف الرعب فى قلوب الأعداء، وأورث المؤمنين أرض أعدائهم وديارهم وأموالهم وأرضـــا لم يطؤوها، رغم كل الظروف غير المواتية.. يقول عز وجل :

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقًا تَقۡتُلُونَ
وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضًا لَّمۡ
تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ الأحزاب

فأمَّا النصر كفعل ونتيجة ورفع أقوام وخفض آخرين فقد جعله الله منه هو.

ولم يأمرنا عزّ وجلّ بالقتال إلا دفاعا عن النفس لو مَنَعَنَا أُنَاسٌ من تبليغ دعوته للعالمين، ونهانا عن الاعتداء على الغير لو خلَّوْا بيننا وبين التبليغ الواجب علينا شرعا. وأمرنا بالتعارف والتواصل مع الناس كافّة ودعوتهم إلى الله السلام على بصيرة من فقه العقيدة الصحيحة والمجادلة بالتى هى أحسن، ثم نهانا عن الصدام والنزاع فيما بيننا داخليا وفيما بيننا وبين الآخرين من أهل الأديان الأخرى حيث لا إكراه فى الدين. والحديث النبوى (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)، كثيرا ما يفهمه الناس فهما خاطئا وكأنه يبيح قتال الناس لإكراههم على اعتناق الإسلام. وحقيقة الحديث أنه جاء ليحرم قتال من قال لا إله إلا الله، ويبيح قتال غير المسلمين إذا اعتدوا على المسلمين – حسب ما جاءت به ضوابط القتال فى القرآن والسنة كما قال سبحانه:

{ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ قَـٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٍ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ }التوبة

هذه هى صفات من أمَرَ اللهُ بقتالهم. فكلمة (حتى) فى هذا الحديث الشريف ليست تعليلية بمعنى (لكى)، ولكنها حَدٌّ زمانىٌّ يفصل زمن الكفر عن زمن الإيمان، حيث يحرم قتل من قال لا إله إلا الله متى قالها. ومثلها (حتى) التى جاءت فى الآية { وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } البقرة:187 فهى حد زمانى فاصل بين زمن الإباحة وزمن التحريم. فالحديث جاء عتابا لمن قتل أحدَ الأعداء المحاربين بعد أن قال لا إله إلا الله، وهو فى أرض المعركة، فظن المسلم أنه يقولها تقية لينجو من القتل فقتله، فغضب لقتله النبى صلى الله عليه وسلم. فالحديث يشهد للنبى على درئه للقتل وليس إباحته.

فإذا تحلينا بالعقيدة الصحيحة – وهى الإيمان بالغيب لا بالغياب – نصرنا كما نصر رسله وأنبياءه والذين آمنوا معهم، وجعلها الله عزّ وجلّ سُنة مكتوبة ماضية فى رسله والمؤمنين إلى يوم القيامة، فقال جل شأنه :

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢

المجادلة

ونتدبر ســـورة الحشـــر، ومنها قوله عز وجل { **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ** الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ **اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ** مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا **وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ** يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ** }. فأين الله من قلوب الذين كفروا ؟!.. إنه معهم.. إنه بهم محيط.. إنه هو الذى فعل فيهم ما فعل. فهل آن لنا أن ندعوَ الناسَ جميعًا لمعرفة ذلك بيقين ؟

فما هى حقيقة الإيمان الذى ننال به نصـــر الله ؟ أى على أيّ وُجودٍ لله نؤمن ؟ وجود يقول به هو أم وجود يقول به غيره ؟ أعتقد أن الإيمان بالغيب لن يصح إلا إذا سلمنا بما قال الله ورســوله.. وبعد أن يصـــح الإيمان فإن وعد الله لا يتخلف أبدا.. قال عز وجل { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } الآية 55 سورة النور.

وقال عز وجل فى سورة الأنفال :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ الأنفال

فمع تأكيد القرآن الكريم على حقيقة أن النصـــر من عند الله وحده، أمر الله المؤمنين بإعداد ما اســـتطاعوا من قوة. ولكن الله آخَذَ المؤمنين على اتجاه عقيدتهم للربط بين

النصـر الذى لا يكون إلا من عند الله وبين كثرة عددهم وعُدَّتهم، رغم أن الأمر صـدر منه عزّ وجلّ إليهم بإعداد القوة بكل استطاعتهم :

فقال عز وجل فى سورة التوبة:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ التوبة

فإذا قيل : لماذا هذا الفصل المؤكد بين النصر وأسبابه التى خلقها الله حتى الملائكة ؟!.. فالإجابة : لأن الله أشدّ غيرة على توحيده من غيرة أحدنا على عِرْضِه، فالله يغار لو أشـرك المؤمن مع الله أحدا أو شـيئا من الأسـباب أو حتى من الملائكة المقربين أو من الأنبياء والمرسلين، فالله هو الفعّال لما يريد بصرف النظر عن الأسباب، فالأسباب ليسـت فعّالة إلا بالله. وأمرنا الله بالأخذ بالأسـباب **ليُخرجَنا من ظلمات التواكل والكسل إلى نور التوكل والعمل** وليس لحاجته لها مهما بلغت، ولأنَّ الأسـبابَ أفعالُه وهو يُفعِّلُها.. نعم، الأسباب يخلقها ولا يجوز شرعا أن تقوم مقامه.

وليس ذلك فى باب النصر فحسب، وإنما هى قاعدة وأصل فى جميع أمور الحياة، فمثلا : قد نعتقد أن نزول المطر له أسبابه المناخية ؟ وقد لا يشك أحد فى ذلك، ولكن نستمع إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو يؤكد منهج القرآن فى توحيد الله، عن زيد بن خالد **رضى الله عنه** قال : صلى بنا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال (هل

تدرون ماذا قال ربكم ؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال (قال : أصبح من عبادى مؤمن بى، وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضـــــل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب). ومعنى ســـــماء: مطر. متفق عليه/ كتاب رياض الصالحين.

هذا الحديث الشريف أصل من أصول العقيدة الإسلامية فى وجود اللـه معنا وفى كل جهة ومكان، وحجة فى باب القرب والمعية بحق، فمنظومة الأســـباب المرئية وغير المرئية ما هى إلا مجموعة من الأفعال المنتظمة الرتيبة الدالة على وجود فاعلها – عزّ وجلّ – معها وعندها مباشـــرة. إنما اقتضـــت حكمته انتظامها ورتابتها لاســـتقرار حياتنا نحن وانتظامها، ولولا ذلك ما اسـتطاع الإنسـان أن يسـتغل البحر طبقا لقوانين الطفو والملاحة، أو يســـتغل الجو طبقا لقوانين الطيران... وهكذا. إنها الفعل وليســـت الفاعل ؛ قال عزّ وجلّ {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِــيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ } البقرة210 لأنه دائمُ الإتيانِ بما يشــاء، ولا يَقَعُ فِى مُلكِهِ إلا ما يَشـــاءُ، ســـواءٌ كُنَّا نُحِبُّهُ أو نكْرَهُهُ.. ورجوع الأمور لله معناه أنها بيده حالا ومآلا، فى الدنيا والآخرة، لأن التعبير بالفعل المضـارع (ترجع) يعنى الدوام. ولا ننســى أن هذا التوجيه جاء من الله ورســوله للصــحابة الأكرمين وهُم خير القرون على الإطلاق، فكيف بمن بعدهم من القرون ؟ هل إذا قدَّم أحدٌ منهم بين يَدَيِ الله ورســوله، وخرج عن كلام الله ورسـوله، نقول فليكن فإنه سـلفيّ صـالح ؟!! هل هو أكثر سـلفيةً وأكثر صلاحًا من الصحابة ؟! أم هل هو معصومٌ من الخطأ من دونهم ؟!!!

وعلى من يعتقد أن الكون يسير بمنظومة الأسباب، بعيدا عن قبضة الله نفسه، أن يقرأ قوله عزّ وجلّ { أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} الفرقان45-46 التفسير كما هو عند ابن كثير (من ههنا شـرع سـبحانه وتعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشــياء المختلفة والمتضــادة، فقال تعالى: "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ؟" وقوله تعالى: "ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً" قال السدي : قبضاً خفياً حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سـقف أو تحت شـجرة، وقد أظلت الشـمس ما فوقه.) انتهى

– فانظر إلى قوله " ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا " تتأكد من وجود الله مع كل شيء يقبضه إليه ويبسطه. والظل، هو ظل الأشياء المادية المعتمة الناتج من حجبها شعاع الشمس عن الأرض، حيث ينقبض الظل مع ارتفاع قرص الشمس نحو كبد السماء، فيكون الظل تحت صاحبه تماما. هذا الظل وإن كانت الشمس دليلا عليه وسببا فى ظهوره، إلا أن الله هو الذى مدَّه ثم قبضه إليه، ولو شاء لجعله ساكنا، ولا كلام عن صفات الله وأفعاله فى معزل عن الله نفسه، بل إنها المعية والمصاحبة الكاملة.

وقال عز وجل فى سورة التوبة { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } التوبة40-41 وكأن مفتاح نصر الله هو عقيدة (إنّ الله معنا)، وبها يُهيّئُ الله لنا الأسباب.

يقص علينا القرآن قول الذين يظنون أنهم **ملاقوا** الله :

قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة

فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾البقرة

وقال عزّ وجلّ :

{ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ }محمد

وقول الله عز وجل { وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ }الروم

يُعتبَر بمثابة مؤشر ومقياس شرعى لإيمان الأمة، فلو تأخر عنهم النصر فعليهم النظر فى إيمانهم ماذا أصابه قبل نظرهم فى عددهم وعُدَّتهم، فلو صح الإيمان لنصرهم الله

حتى لو لم يستطيعوا القتال كما قال عزّ وجلّ { وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا } **الأحزاب: 25**

ولا تقتصر معية الله على المتقين الذين خصّهم بالنصر، بل معية الله مع الجميع ولو كان منهم من لا يشعرون بذلك ولا يُحِبُّهم اللهُ، فالله يقول:

{ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) } النساء

وبناءً عليه، لا يجوز قصر معية الله على المؤمنين، أو تأويلها بمعنى الموافقة والرضا أو بمعنى التأييد والنصر والحب مثلا، بل إن معية الله ثابتة فى القرآن والسنة بمعنى الوجود الحقيقى والقرب الحقيقى، فالله عز وجل يقول فى سورة المجادلة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ المجادلة

والآية فى أولها وآخرها تتكلم عن علم الله، ولكن وسط الآية يفيدنا بأن الله مع أيِّ عددٍ أيًّا كان دينهم أو مكانهم، يفعل فيهم وبهم ما يشاء. لذا سنجد معيةَ اللهِ مذكورة فى الترغيب وفى الترهيب وفى كل الأحوال، مع المؤمنين ومع غيرهم. وبالتأكيد يختلف فعلُ اللهِ بالمؤمنين عنه بغيرهم من حيث الهدى والضلال والنصر والخذلان. فإن تساوت الفئتان فى المعصية كانت الغلبة للأقوى سببا وعَدَدًا وعُدَّةً. وربَّما يُرجِّحُ اللهُ كفّةً على أخرَى لأمرٍ يُريدُه.

فالمعية لله مع خلقه جميعا ثابتة ثبوتا قطعيا وبدلالات قطعية على معنى وجود الله بنفسه – فهو عزّ وجلّ يتكلم عن نفسه لا عن علمه، ثم يأتى علمُه مع نفسه بالوحدانية –، ثم بموجب هذه المعية المطلقة يفعل بالمؤمنين ما يشاء ويفعل بغير المؤمنين ما يشاء. ولا تعارض بين الإيمان الضرورى بثبوت المعية غير مقيدة وبين تفويض الكيفية مطلقا لله. وعدم علمنا بكيفية المعية لا يعنى أن نتشكك فى المعية نفسها ؛ لأن المجهول عندنا هو الكيفية وليست المعية، وليس بوسع المؤمن أن يترك صريح القرآن الكريم والسُنّة الصحيحة وأسماء الله الحسنى، ومن يتأوله لأجل أوهام الانحصار والانحسار، أو لأجل أوهام الحلول والاتحاد أو غيرها، لا يُعتد بتأويله. ولا اعتبار لما يخالف ذلك من فلسفات منطقية وعقلية لأن هذا الميدان ليس هو ميدانها المباح أو المتاح، وإنما هو الغيب المحض الموقوف لله عز وجل ولرسوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من حيث عَلَّمَهُ اللهُ وأذِنَ له.

وجود الله بحقيقته معنا ضرورة :–

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له، ويُحيي ويميت :

يقول الله عز وجل :

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ العنكبوت

هذا هو القرآن يربط بين مكان وجود الرزق ومكان وجود الله، فالرزق الذى بين أيدينا فى بيوتنا، أو فى الأرض أو تحت الثرى، أو الماء ينزل من السماء أو الزرع يخرج من الأرض، أو غير ذلك مما لا يُعَد ولا يُحصَى، هو رزق عند الله، قال عزّ وجلّ:

{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ آل عمران وقال عزّ وجلّ :

وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ الحِجْر

وننزل تعنى: نتيح..

وتنزيل الكتاب لا يعنى بُعد الله عنا، بل هو عطاءٌ من لدنه حيث قال {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} النمل6. ولا يعنى استعمال الطبيب لأداة حقن الدواء فى وريد الإنسان أن الطبيب بعيد عن الإنسان. وكذلك استعمال (محَوّل) للكهرباء لا يعنى بُعد مصدرها. بل إنها المُعَالجَة التى تقتضيها الحِكمَة والخِبرَة وحاجة المتلقى، ولا تعنى بُعدَ الفاعل عن الفعل والمفعول به، ولا تعنى حاجة الفاعل نفسه إليها. والذى أنقذ إبراهيم من النار بنفسه، كيف يفترض أحد – بل يجزم !! – أنه فعل ذلك من بعيد ؟! وكيف يقول على الله ما لا يعلم ؟!.. هذا حرام..

كيف يمكن لعلماء أن يرددوا أقوالا لا علم لهم بها، وتعاكس فى معناها ومؤداها كلام الله ورسوله فى ظاهره وباطنه ؟!!

قال الله عز وجل:

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ العنكبوت

ويقول الله عز وجل فى سورة الشورى :

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ الشورى ويقول { وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ
لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ
﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ
ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ
فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم
مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ } الشورى

وقال جل جلاله { وَلَوْ نَشَـــاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ } **الزخرف60**
نعم، هى طلاقة القدرة، لا يعجز الله سبحانه أن يجعل منا نحن ملائكة يخلف بعضهم بعضـــا، كما لا يعجزه أن يجعل من الكفار قردةً وخنازير، كما لا يعجزه أن ينزل مائدة من الســـماء، أو يحيى الطيور الميتة لإبراهيم، أو يحيى الحمار للعزير، أو يحيى

الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص لعيســى، أو يخبره بما يأكلون ويدَّخرون فى بيوتهم، أو يسـرى بعبده محمدٍ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** ليلاً ويرفعه فوق الخلائق ليريه من آياته. والقلوب تتعلق تلقائيا بالفاعل القريب، فهل آمنا بأنه هو الله كما أمرنا ؟ لأنّ قطعَ الصلة المكانية بين الله وبين آياته فى السماوات وفى الأرض هو قطعٌ لدلائل التعرف عليه والتعلق به.

<u>وقد حرَّم الله الرِّبا :</u>

(وهنا تتجلَّى علَّةُ التَّحريم فى إعجازٍ عِلمِيّ أكيدٍ).

قال عزّ وجلّ {وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْـــعِفُونَ}الروم39 فكل موجود فى الكون هو عند الله، وحرَّم الله الرِّبا الذى هو زيادة إفتراضية لم تتحقق حقيقة فى الكون فهى ليست عند الله، فالربا زيادة يفتريها الناس لا واقع لها وقت التعاقد، وليس هناك من يضـــمن المســـتقبل وما يقع فيه إلا الله، فليسَ لأحدٍ غير الله أن يُقرِّرَ رزقا لم يتحقق بعد، ويجعله تكلفةً فِعليَّةً على المدين ورزقًا فِعليًا للدائن. أما الزكاة فإن الله يأخذها بيمينه فتربو فى كفه !.. عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ إِلا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ). رواه مسلم

هكذا يتبين لنا أن كل ما خلق الله بالفعل فهو عند الله والله عنده، لكن كلّ ما يفتريه الناس ولا وجود له فليس عند الله، ويَحرُم علينا إتيانُه. ومن الحديث يتضـــح أن يمين الله وكفَّ الله كناية عن وجوده الواســع القريب. يمينه مع كل الناس، فكيف يســعها ما بين كتفى النبى محمد صلى الله عليه سلم فى الرؤيا إلا أن تكون رمزًا ؟.

وفرَضَ اللهُ (الوارثُ) المواريـثَ : الله عزّ وجلّ هو الوارث. يَرِثُ التركـةَ فورَ موتِ صاحبها ثم يُورِّثها للوَرَثة. ولو أخذها الورثةُ بعد ساعةٍ واحدةٍ من الوفاةِ فقد آلت التركة إلى الوارث جل جلاله أوّلاً ثم تصـرَّف فيها كما يتصــرَّف المالكُ فى مِلكِه. وهو يرث

من لا وارث له، كما أنه له ميراث السـماوات والأرض، أى له مِلكيتهما أصـلاً وحالاً ومآلاً، ولا يملك غيرُه منهما شيئاً.

عقيدة القرب والمعية تُباركُ العملَ والبحثَ العِلمِىَّ والتقدمَّ الحضارى :

نعم تُبارك ذلك فى جميع المجالات النافعة وتأمُرُ بذلك ولا تعطله ولا تتعارض معه، والقرآن الكريم زاخر بآياتٍ تحضُّ على المشي فى مناكب الأرض والسير فيها والسعى والانتشـار والنظر والتفكر، وكذلك أحاديث النبي **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ**، ولا تعطل عقيدة القرب الحقيقى شـيئاً من ذلك، ولا حُجَّةَ لمن يزهد فى العمل – إنما الزهد فى التملك للاكتناز – فالفلاح عليه وضـع البذور فى الأرض والله يزرعها وينبتها ويفلق الحَبَّ والنَّوَى، والطبيب يعالج والله يشـفى.. وهكذا ترى كلاًّ فى شـأنِه وأفعالِه، فنجد تكاملاً وأخذاً وعطاءً فى شـكل سـننٍ وأسـبابٍ رتيبةٍ أو مُبَارَكاتٍ من الله تفُوقُ كلَّ التَّوَقُّعات !!.. وإذا كمَّل أو جمَّل الإنسانُ شيئاً فإنما يُكمِّلُ لنفسه بما يروق له، وليس لنقص فى فعل الله، فإذا صـنَّعَ من الحديد آلةً فلحاجته هو لها. أمَّا من لا عقل لهم فيرزقهم كما يرزق الجنينَ والطِّفلَ والبهائمَ.

لكن تدخل بعض الناس فى تفسير آيات قرآنية تخص الكَيْف فى ظاهرها – مثل آيات الاستواء على العرش، وتصـوير (ذات) لله من وجه ويد وقدم بالقياس على البشـر!– رغم أن الإحاطة بالكيف فوق طاقة العقل البشرى، مع جعلهم آيات العلو والفوقية دون غيرها لله نفسه، حيث جعلوا له ذاتا، وبالتالى حدَّدُوا الله بحدود رغم عدم تسليمهم بذلك ! هذا التدخل منهم غير محمود، وحجتهم فى تفسـير المعية والقرب بالعلم فقط حجة واهية ؛ فالله الذى قال: " وهو الله فى السماوات وفى الأرض **يعلم**..." **الأنعام: 3** هو الذى قال: "... ثم اسـتوى على العرش **يعلم**.." الحديد:4، فحجتهم فى قولهم أن الله معنا بعلمه يمكن أن نقولها لهم فى وجوده فوق عرشـه بعلمه. بل حجتنا فى أن الله معنا بنفسه كما هو فوق العرش بنفسه هى الحجة البالغة، لأن القرآن والسّنة لم يفرقا بين وجود الله فوق العرش ووجوده فى أرضه وسماواته، والنبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذى قال "ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السـماء" هو الذى قال "إن الذى

تدعون ليس بأصـمَّ ولا غائب، هو بينكم وبين رؤوس رحالكم" أى أن الله نفسه الذى معنا هو الذى فى السـماء هو الذى فوق العرش، ولا يعلم كيفية وجوده هنا وهناك إلا الله وحده. وإشارة الجارية إلى السماء عند سؤالها عن الله لا يُستفادُ منها تحديدًا لله فى ذاتٍ توجد فى مكانٍ دون آخر أو جهةٍ دون أخرى، لأن السـماء تحيط بالأرض من جميع الجهات، والأرض تدور وتتحرك فى السـماء لتأخذ منها مكانا بعد مكان، تمر فيها مر السـحاب فى تداخلٍ مسـتمر ومتجدد، وقد جاء فى القرآن الكريم أن الجبال الثابتة الراسخة فى الأرض تمر مر السحاب فى السماء كإشارةِ لمرور الأرض فى السماء كأى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية، فقال جل شأنه { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} النمل88، وبالتالى فلا معنى لفصل الأرض عن السماء. فهذه الآيات الكونية مع الآيات القرآنية أصبحت حجة على كل من عرفها، فالكون آيات الله وحجة لله على عباده مثله فى ذلك مثل الشرع تماما.

حِجَابُ الله نورٌ نَوْعِيٌّ لا فاصلٌ مَكَانِيٌّ، فهو لا يُبعِدُهُ عن خَلْقِهِ :

قال الله عز وجل { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } الشورى51 وعَن أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ وَلَكِنَّهُ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ*رواه أحمد. (فحجابه نَوعِيٌّ ولا يُبعِده عن خلقه). ورفع الأعمال إليه عزّ وجلّ تفيد رفيع مكانته وعظيم سلطانه على خلقه وعلو شأنه وتفيد باستوائه على عرشه وملكه وملكوته منذ أوْجَد وخلق وصور، ولا نستفيد من ذلك انحسارا أو انحصارا أو حدا مكانيا أو زمانيا يحد الله سبحانه وتعالى. إن استجابة الكون للأنبياء فى معجزاتهم لتؤكد أن الكون يباشره الفعّال لما يريد بنفسه وليس بآلية ما وليس بمعاونة من أحد. وكل هذه الأسماء ظاهرة الأثر فى مُلكه معنا وفى أنفسنا ومن حولنا

يتجلى بما يشاء منها على من وما يشاء، وينزل، ويأتى، ويتقرب بمعنى **(التجلى)** بما يشاء على من وما يشاء وِفقَ علمه القديم. وليس بمجرد العلم ينفعل كل ما فى الكون تلقائيا أو آليا، فإن لم يوجد الفعّال بنفسه مع مفعوله فلا فعل ولا انفعال. ومن الثابت شرعا أنه لا يستغنى شيء عن الله أبدا مما يثبت معيته لخلقه بوجود لا تدركه الأبصار ولا يماثله شيء، وجود لا يضره ما قد يلحق بالمخلوق من هلاك أو عذاب أو أذى. بل إن هذه النفس الإنسانية متى تحررت من الجسد يتسع مجال وجودها إلى حد يصعب علينا تخيله، ولتقريب ذلك علينا أن نتذكر أنه لا مانع من أن يرى آلاف النائمين فى شتى بقاع الأرض رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فى وقت واحد، ومن رآه فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل به كما جاء فى الحديث الشريف، ولن يرونه جميعا على هيئة واحدة، ولكن كل منهم يراه على هيئة مخصوصة وربما يحدثه بحديث خاص، هذا الحق الذى نسلم به وليس بوسعنا الجدال فيه لا بد أنه يساعدنا على التسليم بحقيقة اتساع وجود الله سبحانه جل شأنه ليكون مع كل مخلوق فى شأنه الخاص يدبر أمره ويأخذ بناصيته. وهذا ليس قياسا ولا تشبيها، ولكنه اليقين الجازم بأن النفس الإنسانية لن تكون أقدر ممن خلقها على الوجود الواسع، ووجودها فى أىّ مكان أو زمان هو دليل على وجوده معها بعد أن توفاها ورجعت إليه. فإذا قال قائل إن تفسير ذلك هو اختلاف المكان والزمان فى عالم الأرواح عنهما فى عالم الأجساد، قلت له إن الأرواح والأجساد لا يزالون معا هنا، فكيف الجمع بينهم فى آن واحد فى مكان واحد إلا بالتداخل التام بينهم فى المكان الواحد مع اختلاف سنن وقوانين الوجود عند كلٍّ منها ؟!، إنه بلا شك القرب المطلق، إنه الاتساع المطلق لله **القريب**، مع قلة الإدراك عند الأشباح. وفكرة تناسخ الأرواح يفسرها علماء الغرب بحلول روح أحد الذين ماتوا فى جسد مولود جديد، ولكن تفسيرها عندنا هو تلاقى الأنفس وتعارفها فى عالم الغيب، ومع التلاقى والتعارف قد يتم التعلم والتعليم.

الروح، والجسد، والنفس، والقلب، والعقل، والنوم، والموت، والحياة، وقرب الله ومعيته فى كل ذلك:

إذا أراد الله خلق إنسان فى الرحم صوَّر **الجسد** حيًّا حياةً بدائيةً – يُسميها الفقهاء حياةً نباتيةً – ثم ينفخ فيه **(الروح)**، ونفخ الروح هو أمر من الله بالحياة، ذلك بإدخال **(النفس)**– ولها حياة مستقلة– لتسكن الجسد وتقوم فيه بحياةٍ مشتركة. **فالروح** أمرٌ من أمور الله و**النفس** خلقٌ من خلقه. **وحياة الإنسان** تكون بالاتحاد بين الجسد والنفس، وهو عمل من أعمال الله الخاصَّة، فلا حَيّ ولا حياة إلا بالله نفسه، ولو ظن إنسان أنه يَحيَا مع بُعْدِ اللهِ نفسِه عنه فما عرف ربَّه الأعلى المحيي المميت الباعث الشهيد. فإذا تَوَفى اللهُ النفسَ من الجسد كان **الموت** ورجوع أمر (الروح) لله. فالموت هو الحال التى تكون فيها النفس منفصلة عن الجسد. ومن هنا كان الموت سابقا على الحياة ومخلوقا مثلها، قال الله عزّ وجلّ :

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } البقرة28،

وقال { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } المُلك2،

ومن هنا نعرف أن الموت سابق على الحياة، وأنه ليس نهاية للنفس البشرية، بل هو أحد أطوار وجودها.

و**الموت نوعان** : 1. **النوم** : وهو **الموتة الصُغرَى** وفيها تتعطل بعض أجهزة الجسد دون البعض، ويكون حيًّا لكن بلا إدراك، وأما النفس فيتوفاها اللهُ مؤقتا، وقد تبيت ساجدةً لله تحت العرش وترى وتسمع وتتكلم وتعقل وتدرك بلا جوارح –كما فى الرُّؤيا– ومنه نستفيد أن الله من باب أولى لا تلزمه جوارح أو أعضاء ليرى ويسمع، فهو عزّ وجلّ إن ثبتت له العين لم تثبت له الأذن إلا كفعل، بل هى كنايات يشير بها إلى نفسه حيث هو النور الواسع الذى ليس كمثله شيء. ثم يُرسِل اللهُ النفسَ عند الاستيقاظ لإحياء الجسد كاملا ومُدرِكًا من جديد. ولأن النوم وفاة، يُرفع القلم عن النائم.

2. **الموتة الكبرى** وفيها يتعطل الجسد تماما ويتوفى الله النفسَ وترجع لربِّها حيَّةً حياةً كاملةً فى حالة الشهداء يُبدلهم الله أجساد طير خُضر فى الجنة، أو حياةً برزخية فى حالة غيرهم. ويُعيدُ اللهُ الروحَ للنبيِّ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فى قبره – لا تأكل الأرض

أجساد الأنبياء– ليَرُدَّ السَّلامَ على من يُسَلمُ عليه، وهذا لا يُتصور حدوث فتور له أو انقطاع. ثم يُعيدُ الله الأنفس إلى أجسادها بعد إنباتها فى النشأة الأُخْرَى يوم البعث والنشور. وقد يُقالُ للنفس روحاً على المجاز – الأرواح جنود مجندة –. وفى الجنة ينعم المؤمنُ بحياة كاملة جسدًا ونفْسًا، أما الكافر ففى جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، فلا النفس تموت ولا الجسد المتفحم يحيا، كلما نضجت جلودهم بدَّلهم الله جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب. فالجسد وسيلة لتوصيل النعيم أو العذاب إلى النفس عند اتصالهما، فإذا انفصلا يصل ذلك للنفس بوسائل غيبية، لذلك اختلف الناس فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لأنهم فى دنياهم لا يرون ولا يسمعون ولا يُدرِكون عذاب القبر ونعيمه، ولو أدركوا ما تدافنوا !.

والعقل محله القلب ويقعا من النفس موقع الرأس والحواس من الجسد، فهما معًا مَحَلُّ الإدراك والتعقل والمعرفة، وهما محل المُخاطَبة والمُعَاتبة والمُحاسَبة، والعقل السليم فى القلب السليم، فلا يَسلمُ الإنسان حتى يَسلمَ قلبُه. وهذا هو الذى ينفع الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلب سليم. ويتضح بجلاء أن الجسد والنفس لا يزالان أبدًا فى قبضة الله عز وجل مجتمعين أو منفردين – أى حياة ومماتا وفى جميع الأطوار– وهذه معية حقيقية مهما اختلفت الإدراكات من طورٍ لآخرٍ. وَلَوْ انْتَبَهَ النَّاسُ إلى هَذِهِ الحَقِيقَةِ لانْفَضُّوا فَوْرًا عَنْ ظُلْمِهِم وَظُلُمَاتِهِم وَفَرُّوا إلى اللهِ يَجْأَرُون.

نضرب مثلاً للاتساع فى استواء والاستواء فى اتساع :

هذه الكهرباء التى تسبح فى الأسلاك من أقصى الدنيا إلى أدناها، هل تختلف فى أيِّ نقطةٍ جغرافيةٍ عنها فى أُخْرَى؟ لا تختلف، فهى موجودةٌ مؤثرةٌ. فلو افترضنا أنَّ لها إختيارًا فى أن تُؤثرَ أو لا تُؤثر، وافترضنا أن الأسلاك – وهى الوَسَطُ الذى تسرى فيه – اتسعت لتغطى جميع المكان بلا استثناء. هنا سيكون وجُودُها ثابتًا فى كلِّ مكانٍ لكنها تفعل أو لا تفعل، وبما أنها لا تُرَى بالأبصار ونُدركُها من أثرِ أفعالِها، فقد يُنكِرُ وجودَها من لا يعرفُ خصائصَها. وللهِ المثلُ الأعْلى، فاللهُ نورٌ سُبُّوحٌ قدُّوسٌ حيٌّ قيُّومٌ مُرِيدٌ مُختَارٌ يتجلَّى بما شاءَ أينَ ما شاءَ وقتَ ما شاءَ لا تُدركُهُ الأبصارُ بل نُدرِكهُ من أثرِ أفعالهِ فى كلِّ شيءٍ، ففى كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على وُجُودِه الواحد وهو يفعلُ

أفعاله، لا يَشغلهُ فعلٌ عن فعلٍ، ولا شأنٌ عن شأنٍ. والوَسَطُ الذى فيه اللهُ سُبُّوحًا قُدُّوسًا أزلاً أبدًا هُو المكانُ المطلقُ إذ يَسمَحُ بوجودِه فلا مانعٌ يمنعُ ولا حائلٌ يَحُول.

والمثالُ هنا للتقريب ويتكلم فى الأيْنيَّةِ لا فى الكيْفيَّةِ، لأنَّهُ ليسَ بإمكانِ بشرٍ – ولو كان نبيًّا – أن يُرِيَهُمُ اللهَ جَهْرَةً. ولو اعترَضُوا عليهِ فقد ضَرَبُوا للهِ مَثلاً بالقمرِ فجاءَ مَثلُهُم باطِلاً فى الكيفيَّةِ وفى الأينيَّةِ معًا !!. وإن تشبثُوا بإطلاق لفظة (الذاتِ) على هذا النورِ الواسعِ فما معنى ذلك ؟!. وهل هُم عندهم تصور أو علم أو معرفة بذاتٍ غير مُجَسَّمَة وغير مُحدَّدَة ؟ – سيأتى بيان مقت السلف للمُجَسِّمَة –

أما عن كيفية معية الله ووجوده، وعن كيف أن تكون الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وكيف خلق الكون وهو فيه وكيف يُهلكه وهو فيه، فسوف يرد عليه القلب المؤمن بمجيء الله إلى أرض المحشر مع أن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة، ووضع قدمه عزّ وجلّ فى جهنم دون أن تؤذيه، ونزوله عزّ وجلّ إلى السماء الدنيا كل ليلة مع إمساكه بالسماوات والأرض أن تزولا، سوف يجيب القلب المؤمن على العقل القاصر الحائر.. هذا إذا هدأ العقل واطمأن القلب.

ما هو المُحكَم وما هو المُتشابه من كلام الله ؟

قال الله عزّ وجلّ { هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ }سورة آل عمران:7 وجاء فى تفسير القرطبى للآية ما يلى: اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة ؛ فقال جابر بن عبدالله، وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما (المحكمات من أي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره. والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه، قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور). يقول الإمام القرطبى: قلت: هذا أحسن ما قيل في المتشابه، وقوله تعالى { فأما الذين في قلوبهم

زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه : متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام، كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن ؛ **أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذاتُ وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع، تعالى الله عن ذلك.**[1] لكن المتشابه يتنوع، فمنه ما لا يعلم البتة كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيبه. وهذا لا يتعاطى علمه أحد لا ابن عباس ولا غيره. فمن قال من العلماء الحداق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع، وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تأويله المستقيم، ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم.اهـ

ومنه تتضح الحقائق التالية:

1. الذين فى قلوبهم زيغ هم سيؤوا النيات الذين يتتبعون ما يتشابه على العوام فهمه ليزعزعوا الإيمان من قلوبهم ويزرعوا الفتنة والشك فى عقائد الناس ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا.

2. أما الذين يتدبرون القرآن ليرفعوا عنه ما يتوهمه الناس أنه اختلاف، وليردوا المتشابه إلى المحكم فهؤلاء هم العلماء ورثة الأنبياء. والرأى الأرجح فى المقصود بالمتشابه أنه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيلا مما استأثر الله عز وجل بعلمه دون خلقه، وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور، كما قال: هذا أحسن ما قيل في المتشابه.

وبناء عليه : يرى كثير من العلماء أن آيات الاســـتواء على العرش تتكلم فى الأثر المنظور– بدليل أنها تحثنا على النظر والتفكر فيه – لصفات الله عز وجل وأفعاله فى خلقه جميعا من الأرض السابعة إلى أعلى ما فى علم الله من خلق على حد سواء دون تفاوت حيث لم يخلقه عبثا، وإنما بمشـــيئة وإرادة وقصـــد من الله عز وجل، وهذا هو

---

[1] وفيه بيانٌ واضحٌ وصريحٌ لمقت علماء السلف للمجسمة وتعريفٌ بهم

معنى الإستواء. وهو لا يصف ذاتا لله تعالى بانحصار فوق سقف (عرش) أو انحسار عن غيره، بل يفيد بتمام كمال أفعاله فى خلقه، فاســـتواؤه هو اتجاه إرادته نحو خلقه (عرشـــه) الذى خلقه ابتداءً على الماء ثم وســـعه لأعلى، يفعل فيه ما يريد، ويحكم ويقضى بما يشاء، وذهب إلى هذا المعنى الكثير من أهل العلم كما ذكرنا، ولذلك قال الله عز وجل (على) العرش، لأنها تشمل العرش بجميع مكوناته من أرضه وسماواته وكرسيه وسقفه بكل التفاصيل حتى مثاقيل الذر وأصغر، مثل قوله عز وجل " كل من عليها فان"، ولم يقل (فوق) العرش لأنها قد توهم بالبينونة والمفصـــلية المكانية التى يقول بها البعض عن ظن لا عن يقين، ولو توافر هذا اليقين لكنا أســـرع الناس إليه. ولكن البينونة والمفصلية بين الخالق والمخلوق نوعية وليست مكانية.

وجود الله معنا حقٌ، وليس مَحَلّ اشتباه :

ويعلم الله أن فهم عقيدة الإســلام بالله الواســع هو الضـمان الوحيد والدليل الأكيد الذى يؤكد لنا وجود الله فوق العرش فضـــلا عن وجوده معنا، مع ترك كيفية الوجود هنا وهناك لله عز وجل لأنه لا يعلمها إلا هو – وفى ذلك تنزيه الله عن الحلول والتحيز (فى خلقه) أو (فوقهم) – ولأن هذا اللفظ المؤنث (ذات) لا علاقة له بتعريف الله الواحد الواســع، فكما رأينا أنه فى اللغة يعنى (صـــاحبة) ولا علاقة له بنفس الشـــيء وعينه، وكما رأينا أنه فى الوحى المنزل لا استعمال له للدلالة على الله نفسه، ثم أنه فى غفلة من التحقيق العلمى لغة وشرعا قفز ليستحوذ على أذهان الناس وتعبيرهم عن (الله) !. فإذا علمنا أنه لفظ مخترع ومختلق فى استعماله للدلالة على عين الشـيء، وعلمنا أنه ارتبط فى أذهان الناس بالدلالة على الأعيان المادية المتحيزة المجســـمة وهى مهما عظمت أقزام حقيرة فانية أمام (**الله**) الذى عرفناه بكلمات القرآن والســـنة. فإذا دلّت الأسـماء على (ذات) عندنا، فهل يجوز لنا القياس فى ذلك والقول بأن أسـماء الله تدل على (ذات)؟ ولماذا لا نقول أن الأسـماء تدل على (وُجُودٍ متميز) ؟، فنقول أن الله فى حقيقة نفسه له (وُجُودٌ متميز) ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار وهو معنا أينما كنا وعلى العرش استوى هو الواسع المتعالى القريب ؟! لماذا لا نتقيد بكلامه عن نفسه ؟!

وماذا عن هذا الضرر الفادح الذى سببه هذا الاستعمال المُضلل للفظ (الذات) ؟! إنه استعمال ليس له أية ضوابط عند أصحابه، ولم يُوضِّح لنا أية مَعَالِم عن نفس الله وكيفية وُجُوده، ففيما ورد فى الوحى لم تكتمل لله ذاتٌ تشبه ذواتهم، وليس لهم التطوع بإكمالها، غير أنهم جَرُّونا بكلامهم عنها إلى المحظور والاختلاف. والحق أن الله معنا نسمع به ونبصر، معنا يمنح ويمنع.

وينادى د. يوسف القرضاوى – رئيس الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين– وعلماءٌ كثيرون بتطوير مناهج تدريس العقيدة الإسلامية لمواكبة العلم الحديث، ويشيرون إلى ضرورة الربط بين وجود الله وبين أفعاله المفعولة فينا وفى الكون من حولنا، ويؤكدون على أن هذا هو أسلوب القرآن والسنة فى الكلام عن وجود الله، وأنه هو الأسلوب الأنجح فى تعريف الناس بربهم.[1]

وأقول : لأنه بعد موت النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وتمسك البعض بمقولة وجود الله تعالى خارج الكون، وتمسك البعض الآخر بمقولة عدم وجوده داخل الكون أو خارجه، يصبح من ينادى بالدين والتدين كمن يحرث فى الماء !.. إنهم إن جعلوا النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كعامَّة البشر وقد مات، ولا يملون من تذكيرنا بذلك – رغم أن أعمالنا تعرض عليه ويشعر بآلامنا حتى الشوكة يُشاكها المسلم، وهذه معية حقيقية مع اختلاف طور وجوده عن طور وجودنا إختلافًا لم يمنعنا أن نقبض باليد اليمنى للسلام عليه فى التشهد فى الصلاة – وجعلوا الله خارج الكون وليس مع الناس، فإلى أى شيء ندعُو الناس ؟! أندعوهم إلى شريعة هم عنها راغبون ويفرضون علينا غيرها ؟ ! بل علينا أن ندعوهم إلى الله من حيث دعاهم إليه القرآن والسنة، ندعوهم إلى ربهم الذى معهم أين ما كانوا وفى السماوات وفوق العرش مع تفويض الكيفية فى كل ذلك لله – كما فعل النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. ولا كلام عن حلولٍ أو اتحادٍ أو ذاتٍ ننزِّهُها على أهوائِنا !. هذا هو أهم ما يتميز به ديننا فى باب العقيدة ؛ لأن قطع الصلة المكانية المباشرة

---

[1] هذا ماجاء على لسانه فى برنامج الشريعة والحياة بتاريخ 2006/4/16م على قناة الجزيرة الفضائية فى حلقة تتكلم عن دور الأزهر الشريف). وأيضا كما جاء فى كتبه ومؤلفاته مثل كتاب : ثقافة الداعية

بين الله وبين آياته ومخلوقاته فى السماوات والأرض هو قطعٌ لكل طرق التعرف عليه، وإهدارٌ لكل حجج وأدلة إثبات حاجتنا جميعا إليه. فإذا أقمنا ملائكته مكانه فى فعل كل شيء، وقلنا بإبعاده من أرضه وسماواته، فقد قلنا بغيابه وعزله عن حياتنا، وهذا هو شرُّ قولٍ يُمكن أن يُقال أو يُسمَع، وشرُّ مَهمَّةٍ يُمكن أن يقوم بإنجازها مخلوق !.

الباب الخامس
شبهاتُ الطعنِ فى (وجود الله معنا)، والردّ عليها

الفصل الأول
لمحـــة تاريخيـــة

لقد رصــد مؤلف كتاب أصــول العقيدة الإســلامية / الشــيخ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصـرى أسـتاذ العقيدة والفقه الإسـلامى فى بيروت وطرابلس أمراً جللاً حيث جاء فى كتابه (أصـول العقيدة الإسـلامية – فى الصـفحات (95:90) – مؤسـسـة الرسـالة. ط أولى) قولـه : عمـد أعداء الأمـة إلى محـاولـة إفســـــاد دور القرآن الكريم فى حيـاة المســـلمين عبر محـاولـة تحريف ألفـاظـه فى المرحلـة الأولى، وعبر محـاولـة تحريف معانيه فى المرحلة الثانية :

ففى الأولى : حاولوا اســـتغلال الاختلاف بين القراءات الســـبع للقرآن الكريم، مما حمل عثمان بن عفان **رضى الله عنه** على جمع أصحاب النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من ذوى الرأى والمشورة فاتفقوا على جمع الناس على قراءة واحدة بلسان قريش ولغتها، فكتبها ووزعها على المدن الرئيسية الإسلامية وأحرق ما عداها من المصاحف، وأغلق الباب بذلك على أصحاب الفتنة والدس.

وفى الثانية : حاولوا إثارة الفتنة من خلال إثارة البحث فى الآيات المتشـــابهات، فدســـوا رجلا يدعى ضـــبيع بن عســـل، فدخل المدينة المنورة يســـأل ويبحث عن المتشابهات فأحس به أصحاب النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فرفعوا أمره إلى عمر بن الخطاب **رضى الله عنه،** فجعل يضربه على رأسه حتى قال كفى يا أمير المؤمنين فقد ذهب والله عنى ما كنت أجد فى رأسى، وعاد من حيث جاء.

ثم إذا كان العهد العباسـى حيث دسـوا رجلا آخرا للإمام مالك **رضـى الله عنه** يسـأله عن الاسـتواء على العرش، كيف اسـتوى ؟ فأدرك الإمام مالك الهدف المشـبوه الكامن وراء هذا السؤال، فأطرق طويلا ثم أجاب الإجابة المشـهورة : **الاسـتواء معلوم (يعنى: منصوص عليه فهو ثابت بالقرآن والسنة، ولم يقصد هنا كيفية الاستواء بالاستقرار وإلا لما قال والكيف مجهول)، والكيف مجهول (فلا أحد يعلمه إلا الله عز وجل، و لا قياس لله) والإيمان بـه واجب (وكذلك الإيمان بالقرب والمعية، وبكل ما ثبت لله، واجب كوجوب الإيمان بالاســـتواء)، والســـؤال عنه بدعة (نعم، الكلام فى الكيفية على أى نحو بدعة، والكلام فى الله بذاتٍ هو كلام فى الكيفية) وأراك صاحب بدعة،**

وأمر بإخراجه. فأخرجوه فخمدت الفتنة مرة ثانية. – الشــــروح بين الأقواس هنا للمؤلف.

ونحن نســـأل : هل هؤلاء أعلم من الإمام مالك **رضـــى الله عنه** حتى يتكلموا فى الاستواء بتفصيل فى ذاتٍ وحدٍّ ومكان؟ بل ويؤسسوا دينهم على ذلك ؟! وهل يدرك ضحاياهم ما وقعوا فيه من مصيبة ؟! وهل يهُب العارفون بدين الله لنجدتهم ؟!.

ويعود الأعداء للفتنة والدس ويتمكنون من إقناع الخليفة هارون الرشـيد بترجمة الكتب اليونانية الفلسفية لتصبح هى ميزان التفكير والحكم على القضايا الإسلامية، فتكلم الناس فى الله وتنزيهه بالعقل – مثل (الحلول والاتحاد) و (اســـتقرار ذات) وغيره : المؤلف –، مما شـكل خطرا على العقيدة الإســلامية، فأحس هارون الرشـــيد بذلك الخطر وانقلب على هؤلاء الذين أغروه بالترجمة ولاحقهم ففر الكثير منهم وعلى رأسهم (بشر المريسى)، ولما آلت الخلافة إلى المأمون بن الرشيد ظهر المريسى والمعتزلة كأحمد بن دؤاد وثمامة بن الأشرس وتقربوا من المأمون الخليفة وتابعوا مسيرة الدعوة إلى الفكر الإعتزالى تحت غطاء التوحيد والتنزيه بالعقل البشـرى وتأويل النصـوص، وأثاروا المأمون على مخالفيهم! <u>وتصـــدى لهم الإمام أحمد بن حنبل **رضـــى الله عنه**</u> الذى أغروا المأمون بقتله حتى أوشـك المأمون أن يقتله!، ولكن خشـى المأمون الفتنة فامتنع عن قتله لكثرة أتباعه.

ولما كان عهد المتوكل قلب الأمر على المعتزلة، فأصـــدر الخليفة أمرا بملاحقتهم ومعاقبتهم فانكشف حالهم للناس وتبين أن أصولهم تنتهى إلى عبد الله بن سبأ. وأدى ما نفثوه من خلافات إلى إضعاف الدولة الإسلامية، فأغرى بها ذلك الضعف المغول والتتار فهاجموها حتى وصــلوا إلى بغداد عاصـمة الخلافة آنذاك فدمروها وقتلوا فيها البشر وأحرقوا الشجر، وبلغ عدد القتلى نحو مليون إنسان ! (ما أشبه اليوم بالأمس!. المؤلف) ومن هؤلاء المعتزلة الزنادقة الأديب ابن الراوندى الذى ألف كتابا أنكر فيه نبوءة النبى محمد **صَـــلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ**، وكتابا آخر اســـتخف فيه بالقرآن الكريم ووصفه بضعف التركيب والبلاغة، وكتابا ثالثا فضّل فيه اليهودية على الإسلام !. ا.هـ باختصـار. فهل يدرك الضحايا إلى أين اسـتُدرِجوا!. وهل يكون لأعداء الله يداً خفية

وراء محاولات تغييب مبدأ وجود الله معنا حقا وحقوقه علينا ؟! ربما.. بل أكيد.. يقول د. مصطفى محمود فى كتابه " من أسرار القرآن " باب التآمر على الأديان (وأعداء الله يُلقون غلالة من الأسـرار والطلاسـم والكتمان والغموض على كل شـيء. وكانت وسيلتهم إلى هدم الكتب السماوية هى تفسيرها بالتأويل، وذلك برفض المعانى الظاهرة واختراع معان باطنية تهدم الغرض الدينى وتفسد هدفه).أهـ **ص 33 طبعة1986 دار المعارف. مصر**

وعجيب هو أمر المسلمين، كُلما ألقى عدُوهم إليهم طُعْماً ابتلعوه، أو دخل جحرا دخلوه !. ولا يغررك أسماء لامعة وشخصيات بارزة تتعصب جدّا لهذا الطعم القديم الحديث فهُم ضحاياه.

إن عقيدة الإسلام لا يصوغها الفلاسفة أو المتكلمون، بل إنه كلام الله ورسوله فحسب، وكلما كان كلامنا فى العقيدة مضـبوطا **بألفاظ** القرآن والسـنة كلما كان وصـوله إلى القلب أسـهل وأيسـر وأسـرع، وكثيرا ما أتى من أهل الكلام ما لا يُحمَد عُقباه، مثل كلامهم عن (ذاتٍ) لله ثم تخصـيصـهم لمكانها واسـتوائها ! بقولهم : الله **فوق** العرش اسـتقرَّ بذاته، تقوُّلاً منهم على الآية الكريمة { الرحمن على العرش اسـتوى (5) }طه وهو تقوُّلٌ منهم فى صـميمِ الكيفِ المجهولِ والغيبِ المُطلقِ – ويمنعون تأويلها بالقرآن وردها إلى المُحكَم ! – وانتهى بهم كلامهم فى الله بأن جعلوه منحصـرا فى مكان ومنحسـرا عن مكان !. فانظر إلى أى مدى تكلموا فى حقيقة الله الذى حرّم عليهم وعلى غيرهم مجرد التفكر فيها، وأوجب عليهم وعلى غيرهم الإيمان بالغيب بأن الله معهم أين ما كانوا كما هو على عرشـه اسـتوى يُدبّرُ الأمرَ ويعلم كل شـيء ويغشـى الليل النهار،.....،

فالله هو **الواسع** مُطلقا بلا حدود تحده، هذا هو إسمه المعلوم من الدين بالضـرورة يتعارض مع ما قالوا به من ظن وتخمين، وتجاهلهم له إلحاد منهم فى أسـمائه. قد يكون تقولهم هذا رأيا قديما ولكنه خطأ، والخطأ مرفوض أياً كان عمره، والرجوع عنه فضيلة، والتمسك به مكابرة، وربما أكثر من مكابرة..

وعجز العقل عن تصور كيفية وجود الله معنا ليس عذرًا يُبيح لنا التعطيل أو التقول فى الله بذاتٍ بعيدة. ولا يصح استنتاج عدم وجود الله معنا بسبب وُجُوده فى السماء.. فثبوته فى مكان لا يعنى عدمه فى مكان آخر. ولا يصح فهْم الاستواء بالارتفاع والغياب من الأرض والاستقرار فوق سطح الكون.. ولا يصح القول بأن الله ليس داخل العالم ولا خارجه ؛ لأن هذا قول بالعدم. فكل ذلك لا يخلو من قياس فاسد أو تشبيه أو تمثيل أو تعطيل. وكل ذلك يجب تنزيه الله عنه. فالذين تكلموا بالحلول والاتحاد بين الله وخلقه، والذين نفوا ذلك فرفضوا بسببه وجود الله نفسه معنا وفى أرضه وسماواته، وقالوا بتنزيه الله عن المكان والزمان، هم بذلك تكلموا فى قوانين كونية لا فى نصوص شرعية، وكلامهم فى القوانين الكونية دون إحاطة كافية بها أوصلهم إلى نتائج خاطئة تعطلت معها النصوص الشرعية القطعية فى ثبوتها ودلالتها على وجود الله نفسه معنا !. وإهدار الأدلة قطعية الثبوت والدلالة هو هدم لكل قواعد العلم المعتبرة، بل إننا لا نتجاوز الحق إذا قلنا أنه لا علم إلا بأدلة قطعية. إننا بهذه الحقائق التى جاءت بهذا الكتاب قادرون بإذن الله على التحاور مع أى إنسان – مسلم أو غير مسلم – مهما كانت توجهاته وأفكاره، ثم إننى متأكد أننا سنضحك فى بكاءٍ قائلين : لماذا نختلف أيها الناس ؟، لماذا نتقاتل مع إننا جميعا لله وإننا إليه راجعون ؟! إنه فصّل لنا كل شيء.. إنه أخبرنا بكل شيء.

إنه باليقين فى وجود الله معنا يتم الانتباه التام لمراده منا وتقديمه على أهوائنا فتستقيم حياتنا كلها، وإلا فهى الغفلة عنه وعن مراده وتقديم الأهواء فالتخبط والضياع، **والمسئولُ الأوَّلُ عن ذلكَ إنّما هُمُ العلماءُ بتَحَمُّلِهِم أمانةَ البَحْثِ العِلْمِى.**

الفصل الثانى
آيات قرآنية إشتبهت عليهم

مثل آيات الاستواء على العرش وآيات العلو والفوقية..فهموها حدّاً فاصلاً لوجود الله .!

آيات استواء الله على العرش جاءت فى سبع سور من القرآن الكريم وهى:

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ سورة الأعراف

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ سورة يونس

تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ سورة طه

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ سورة الرعد

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ سورة الفرقان

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ سورة السجدة

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾
سورة الحديد

والمتدبر لجميع هذه الآيات يتأكد له أن الله قد أثبت فيها وجودَه بأفعاله يفعلها فى أرضه وفى سماواته وفوق العرش على سواء. وربما هذا هو معنى الاستواء على العرش، أنه إثبات لوجود الله فوق العرش امتدادًا لإثبات وجوده فى أرضه وسماواته، حيث لا يجوز تفسير استواء الله على العرش بمفهوم مغادرته للأرض والسماوات !!، لأن فى ذلك تحجيمًا له وتحييزًا وتغييبًا، وهو فهم يتعلق بكيفية مبنية على تشبيه الله بغيره من المحدودات !، وهذا يتصادم مع أسماء الله الأول والآخر والظاهر والباطن والواسع والمتعال والقريب كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم باتساع الله المطلق معنا ومع كل شيء وفوقنا وفوق كل شيء، بمعنى استواء وجود الله نفسه فى كل جهة ومكان دون تحدد أو تحيز، وبالتالى دون غياب من أى مكان، ولا مانع من هذا التفسير لغة وشرعا، وبه قال الكثيرون، وبغيره لم يقل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ملخص أقوال علماء السلف فى تفسير الاستواء :

قال الإمام أبو المعالي : إن محمدا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليلة الإسـراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت. ذكره الإمام القرطبى فى تفسير سورة الحديد.

وبعد معرفتنا لرأى الإمام مالك وأم المؤمنين أم ســلمة بأن الكيف مجهول، أورد الإمام القرطبى أهم أقوال العلماء فى معنى الاســتواء على العرش حيث قال ((هذه مســألة الاســتواء، وللعلماء فيها كلام، والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري ســبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضــرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس يتحيز بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والســكون للمتحيز، والتغير والحدوث))ســورة الأعراف وقال((ومعنى: ذو العرش: أي ذو الملك والســلطان؛ كما يقال فلان على سرير ملكه وإن لم يكن على سرير، ويقال ثل عرشه أي ذهب سلطانه)) سورة البروج أ.هـ

وفى تفسير ابن كثير (وأما قوله تعالى "ثم استوى على العرش" فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام **مذهب السلف الصالح** مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله لا يشبهه شيء من خلقه و"ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى).أه ونحوه قاله الإمام الفخر الرازى

والبيضاوى وغيرهما. **وأقول : هؤلاء هم سلفنا الصالح أمة الإسلام لمن أراد أن يتبعهم،** وهم أهل الفهم، كصحابة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يؤمنون بوجود الله فوق العرش، ويؤمنون بوجوده فى كل الجهات مطلقا، إذ تلزمنا ولا تلزمه، وهذا معنى تنزيهه عن الجهة أنه ليس كيانا محددا، وليس معناه أنه لا يوجد فى أية جهة، إنهم لا يحددونه فوق العرش. إن حرف الجر (على) يختلف عن ظرف المكان (فوق)، ففى قوله عز وجل " كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ "الرحمن26 (عليها) هنا تشمل من فيها ومن تحتها ومن فوقها، أما "استقر فوق العرش" فهو تحديد إقامة، ويجب ملاحظة الفرق بين هذا وذاك، لأن القرآن لا يعارض بعضه بعضا، و(استوى على العرش) يجب ألا تتعارض مع قوله عزّ وجلّ:

{ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ } البقرة

فهل كلمة **(واسع)** فى الآية تصف "علم الله" أم تصف الله ؟ بل هى تصف الله وعلمه معه. وجهة فوق – على المستوى العام للأرض بحكم أنها شبه كرة – هى جميع الجهات مطلقا، وهذه حقيقة كونية كانت غائبة عمّن تكلموا بالاستقرار قديماً، بل وما زالت غائبة عن أذهان الكثيرين الآن وهم يرددون – وفقط – كلام بعض من سبقوهم أو يسيؤون فهمه!. ولكن جرت سنة الله فى خلقه، وسنة النبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على الإشارة إلى العلو – إلى السماء – عند السؤال عن الله حيث الأوسع والأرحب، ونسبة حجم الأرض إلى حجم السماوات وما فوقها تكاد لا تذكر، وللبعد عن الأوثان المعهودة فى الأرض آنذاك، وحتى لا يظن أحدٌ أننا نشير إلى أى كائن مما حولنا. وفى الدعاء نرفع أيدينا إلى السماء مع غض البصر لأسفل. وتلك الإشارة إلى أعلى افتتن بها بعض الناس فأرادوا بها تحييز الله وانحساره بعيدًا عن أرضه وسماواته مخالفين القرآن والسنة وجمهور الصحابة فى التوقف عن التفصيل، ولكن كما فى الكتاب و السُنَّة، الله عز وجل فى السماوات وفى الأرض وفوق العرش إلها واحدا أحدًا واسعًا قريبًا. وعندما يأتى

ذكر العرش مع ما يفيد بعلوه فوق السماوات، فهو ذكرٌ لناحيةٍ منه، من باب ذكر الكل والمراد الجزء والعكس. وجاء ما يفيدنا بوجوده على الماء المعهود لنا فى الأرض ووجوده فوق السماوات بما يفيد استيعابه لكل الخليقة دون استثناء، ففى الأحاديث الصحيحة " وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ " فيما مضى، ولا يزال حاليا " إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ أَوِ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ "يعنى الآن. " إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي " **البخارى – التوحيد**، " فَيَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ "**ابن ماجه** يتبدَّى:يتجلَّى، " وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ " **أبو داود–السنة**، " فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُفْتَخِرُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ " **أحمد**.. وكل ذلك يفيد باتساع الخليقة والخالق معًا حيث المعيَّة، ويفيد بزيادة اتساع الخالق فوق الخليقة فى استواءٍ واتساعٍ لا حدودَ لَهُمَا.. ووجودُ العرشِ على الماء وفوق السماء يدلُّ على وُجودِ صاحبه معه، هذه إفادةٌ لُغَويَّةٌ تفيدُ المعيةَ والمصاحبةَ وقد أثبتها اللهُ لنفسِه فى كتابه وسنةِ نبيِّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولا مانع لها فى شرع الله ؛ يقول الله عزوجل { وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ}الذاريات47–48 وإذا اتسع العرش على صاحبه فى المخلوقات فهذا لضآلةِ المخلوق، ولا يجوز ذلك على الله سبحانه فهو الأوسع والأكبر والأعظم والأعلى، من قبْل ومع ومن بَعْد العرش. والمُحَصّلةُ أنه ليس شيئا من اللهِ بغائبٍ عنا أو بعيدٍ منا، لا ذات ولا غيرها، بل إن **(اللهَ)** معنا وليس بغائبٍ ولا بعيدٍ. ولن تتكلم آيات الاستواء بجعل الله فى حيز وجهة، لأنه سيكون نوعا من رسم حدود وتحديد إقامة لله لا يختلف كثيرا عن كلام من جسموه وأحلوه فى بعض خلقه فى الأرض!، ويترتب عليه القول بغياب الله من أرضه أو تقسيمه إلى كيان فوق وصفات تحت ! ؛ فالله يمسك السموات والأرض بقدرته وقوته فأين هذه الصفات

؟ أهى مع نفسه فوق العرش دون السموات والأرض؟ أم فيهن دون نفسه ؟! إنه الإبعاد والغياب والتجسيم لا محالة، وذلك لا يجوز شرعا ويتصادم مع أسماء الله الحسنى وكتابه العزيز والسنة الصحيحة، ويختلق اختلافات فى الكتاب والسنة، وهذا مستحيل وممنوع شرعا!. لن تتكلم الآيات فى حدودٍ للهِ وإقامةٍ له فى جهةٍ محددةٍ لأنّ بابَ التفكرِ فى اللهِ نفسِه مغلقٌ ومحظور علينا، فهو ليس كمثله (ككيفه) شيء، وفعله استوى لا يشبه استواء خلقه فى خلو الأرض منهم إذا اعتلوا المراقى!، فهذا تشبيه حتى ولو قالوا بلا كيف. فالآيات لن تتكلمَ فى بابٍ حرامٌ علينا الكلامُ والتفكرُ فيه تحريمًا قطعيًّا إلى يومِ الدِّين، وليس تحريمًا مؤقتا يُرجى رفعُه، ولن تحثنا على التفكر فيه لأنه لا حكمةَ منْ لَفْتِ النظرِ إلى شيءٍ النظرُ فيه حرامٌ. وأىُّ مُحَاولةٍ لفهمِ الاستواءِ بعيدًا عن هذا الكمالِ المطلقِ فى أسمائه الحسنى جميعا بلا استثناءٍ ستكونُ محاولةً ما لها من قرار ولا سند، ولا يعلم حجم إضرارها بالدين والناس إلا الله، ولكن من هذه الأضرار بالتأكيد الغفلة عن اللهِ والتشكك فى قربه ومراقبته وإجابته، والجرأة على عصيانه والباءة بغضبه وخذلانه وزوال نِعَمِه والعياذ بالله. وليس خافيا ما يشيع بين الناس من تأويلاتٍ خاطئةٍ جرَّاءَ عدم التقيد بحكم التوقيف وقواعد اللغةِ والأدلةِ القطعيةِ.

ونورد فيما يلى ما قاله بعض العلماء المعاصرين:

جاء فى كتاب علم التوحيد تأليف الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، بعد أن أورد رأى الإمام مالك المعروف سلفا، (عن بعض علماء الخلف: المقصود من قوله عز وجل: ثم استوى على العرش – استقامة علمه – تعالى – واطراد حكمه ونفاذ أمره فى مخلوقاته)اهـ ص111، ومثل ذلك قاله الإمام محمد متولى الشعراوى فى خواطره الإيمانية مستدلا بما جاء فى تفسير الإمام الفخر الرازى. **أقول:** ولا يتعارض ذلك مع ثبوت وجود الله فوق العرش حقيقة، فقد ثبت ذلك قطعيا بالاتساع المطلق.

وجاء فى كتاب الإلهيات فى العقيدة الإسلامية للأستاذ الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير (وقوله سبحانه " الرحمن على العرش استوى " ما جاء لإثبات صفة ذات لله

تعالى، وإنما لتأكيد صفة فعل للواحد القهار، إن السياق القرآنى لهذا التعبير الكريم فى سابقه ولاحقه يجلى آثار الإبداع والقدرة والهيمنة الإلهية)اهـ ص146

والطاعنون فى حقيقة المعية لهم أدلة أخرى مبهمة وفضفاضة :

ويستندون كثيرا فى كلامهم إلى مفاهيم وتعبيرات فضفاضة مثل : الفطرة السليمة، السلف الصالح، إجماع الأمّة، ويلجأون إليها لإسكات غيرهم والإيهام بأن كلامهم مُسَلم به.. ونذكر فيما يلى شيئا يسيرا عن ذلك :

أولا : مفهوم (الفطرة السليمة) :

الإنسان يُولد على الفطرة – لا يعلم شيئا، كما فى قوله عز وجل:

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل

وكما فى الحديث الشريف :

{مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}رواه البخارى

فأبواه يشكلان عقيدته تبعاً لما هما عليه، ثم تؤثر البيئة المحيطة فى تشكيل عقيدته. والشرع الإسلامى – كِتابٌ وسُنَّةٌ – تولَّى مناقشةَ وتصحيحَ عقيدة كلِّ أطيافِ الناسِ، حتى الصحابة الأجلاء، ولم يتركهم لفطرتهم الخالية من العلم صغاراً أو المُتأثرة بالموروث كباراً، لأن النفوس تركن إلى ما تعودت عليه عادةً. فيجب الإنتباه جيداً حتى لا يحدث عندنا خلط بين (الفطرة السليمة) وهى التى ينادى بها شرع الله من عقيدة سليمة، وهى محل بحثنا فى هذا الكتاب، وبين موروثات وعادات اكتسبها الناس بعضهم من بعض، لأن كل إنسان ربّما يدّعى أنه هو وحده – ولو لم يكن مُسْلِمًا!– على الفطرة السليمة من دون خلق الله، واسألوا الناس أمّةً أمّةً وفردًا فردًا !. ومن المفارقات أنَّ كلَّ الفِرَق – على اختلافاتهم – يستشهدون بالفطرة السليمة !.

ثانيا : مفهوم (السلف الصالح) :

السلف الصالح إن قصدنا بهم (النبى محمد **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه مع كل أنبياء الله ورسله) فهذا عليه إجماع ولا خلاف حوله. أما إذا توسعنا بالمفهوم ليشتمل على من خَلَفَ هؤلاء الأكرمين، فإننا سنجد أن كل فِرقة من الفِرَق تسمِّى مؤسسيها بالسلف الصالح وتنسبهم دون غيرهم للنبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه !. لذلك يجب علينا الوقوف تماما عند من عليهم الإجماع دون خلاف، وهم عندهم الكفاية التامة فى باب العقيدة، ونُحذِّر من الكذب والدّس عليهم ممن حاولوا ترويج مذاهبهم فى القرون التالية، وليست الإسرائيليات من ذلك ببعيد، ونظراً لأهمية العقيدة فلم تسلم من الدس والتدليس. وقد أوردنا عقيدة سلفنا الصالح بوضوحٍ تامٍ فى اللهِ الواسعِ القريبِ معنا أين ما كنا وعلى العرشِ استوى، وليست التفسيرات المخالفة لذلك بأعز من المصاحف التى أحرقها عثمان لما وجد أنها سوف تتسبب فى تفرق الأمة إلى أحزاب متناحرة.

ثالثا : مفهوم (إجماع الأمة) :

يعنى توافق علماء الأمّة المُسلمة جميعهم وبدون انتقائية فى عصر واحد أو أكثر على رأى واحد فى مسألة بعينها. ويُقال لهذه المسألة بعينها هى التى حصل عليها الإجماع. ويبدو لأول وهلة لمن يتدبر هذا المعنى للإجماع صعوبة الجزم بحصوله والتأكد من وقوعه مُؤخراً بسبب كثرة العلماء واتساع أرض الأمّة. فمن قال عن رأيٍ مُستَحدَثٍ فى اللهِ بعد عصر الصحابة أن عليه الإجماع، فأقل ما يُوصفُ به أنه يفتقر إلى الدقة. ولا يجوز اعتبار ما يجرى على ألسِنَةِ العامَّةِ **إجْمَاعًا**، أو قولهم: "كنا والتابعون متوافرون نقول كذا وكذا.."، فهذا – ولو صَحَّ – ليسَ دليلاً على إجماعٍ، وليسَ دليلاً قطعيَّ الثبوتِ والدلالةِ يصحُّ اعتمادُه فى بابِ العقيدة. وقد أقرُّوا بأنَّ كُلَّ ما لَدَيْهِم هو هذا الظنُّ، فيقولون (لما قال الجهمية أنَّ اللهَ ليس بينه وبين خلقه حجابٌ وأنكروا العرشَ وأنَّ اللهَ فوقَهُ وقالوا أنَّ اللهَ فى كلِّ مكانٍ فسَّرَت (العلماءُ) {وهو معكم}الحديد:4 يعنى: عِلْمُهُ، ثمَّ تواترت الأخبارُ أنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ العرشَ فاستوى

عليهِ فهو فوقَ العرشِ مُتَخَلِّصًــا من خَلقِهِ بائِنًا منهم)أهـــــ مجلة التوحيد عدد جمادى الآخرة 1427ص57، فدليلهم كلام بشـــــر وتواتر الأخبـار بغير كلام الله من مثـل: متخلصا، بائنا، ذات، ولا يزالون قائلين بها رغم كل التحذيرات!!.

بالتأكيد ليس للجهمية ولا لغيرهم إنكار شـيءٍ ثابتٍ فى القرآنِ والسُّـنة، وليس لغَيْرِهِم أن يَردُّوا عليهم بإنكارٍ أسـوَأ مِنهُ فيضـيعُ الدِّينُ بين أوْهَامِ المنكِرين على اختلافِ ألوانِهم وأقوالِهم. ولا أدْرِى إنْ كانَ يُوجَدُ الآنَ من يتكلَّم باسم الجهمية لنسألَهُ عمَّا يقصِدُون من إنكارِهِم الحِجابِ، وهل يقصِـــــدُون بذلك إنكارَ بُعدِ اللهِ عن خلقه ؟ لأنَّ حِجَابَ النُّورِ والعرشَ والاستواءَ عليه وَارَدٌ فى القرآنِ والسُّنةِ الصحيحةِ ولا يجوزُ إنكارُه، لكِن لا شيءَ منها يُبعِدُ اللهَ عن خَلقِهِ.

إنها مواجهة حقيقية بينهم وبين كلام الله !

إننا إذاً أمام مواجهة حقيقية بين قول الله تبارك اسـمه { **وهو معكم أين ما كنتم** } على إطلاقها، وقول بعض البشــــر : ليس (**هو**) على إطلاقه وليســـت (**معكم**) على إطلاقها وليست (**أين ما كنتم**) على إطلاقها! فالبعض يتكلمون فى تخصيص وتقييد !!، مثل ما جاء فى كتاب قصة الخلق من العرش إلى الفرش على النحو التالى:

(قولوا: ربنا الذى فى السـماء)**ص87** – أقول((ويُفسـرون **السـماء** بل والسـماوات السـبع كلهن على هواهم – بعيدا عن اللغة والشــرع – بأنها العلو البعيد فوق العرش فقط !!)) – كما جاء فيه أيضــا (الله مسـتوٍ على عرشـه ويختص به)، (إن الله على العرش بائن من الخلق)، (وقد أجمع اليهود والنصـــارى وأهل الأديان مع المســـلمين على أن الله على العرش، ومن لم يقل أن الله فوق سماواته على عرشـه بائن من خلقه وجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضُـربت عنقه ثم ألقى به على مزبلة لئلا يتأذى ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة) ص88

وأقول : أمرهم عجيب، فإما القول بكلامهم وإما ضرب العنق وإلقاؤها على مزبلة !، فهل هذه لغة علماء يعرفون للإنسان قدره حيا وميتا حتى ولو اختلف معهم فى الرأى

مع إيمان واستدلال صحيحين ؟!، أليست هذه دعوة منهم للقتل والعربدة وبطر الحق وغمط الناس؟! – كما جاء فيه أيضا:

(وهو مستوٍ على عرشه فى سمائه دون أرضه وخلقه) ص90، (وكل ما جاء فى قرب الله من عباده فهو خاص بالعبد الذى دعاه، أو قرب الملائكة وليس الله، ويدل على ذلك أنه يقول " نحن " بصيغة الجمع، وكل ما جاء فى القرآن بصيغة الجمع فإنما يدل على أن المراد أنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده وأعوانه من الملائكة) ص94. هذا جزءٌ من جملة كلام نسبوه لابن تيمية ويتضح منه مفهومهم للإله البعيد المحتاج إلى أعوان!. **وأقول:** وهذا كلام لا يقوله من له أدنى معرفة بالله وبالقرآن وبالسنة ؛ فالله يتكلم عن نفسه بضمير الجمع تعظيما لنفسه وليس إبعادًا أو تغييبا، فيقول { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ } الغاشية25–26 ومعلومٌ أن الله هو الذى سنعود إليه وسيحاسب الناسَ جميعا بنفسه.

ثم يعرضون صورةً لذاتِ الله ! فى الكتب المقدسة ادَّعَوْا أنها تتفق تماما مع القرآن الكريم! فيقولون (فخلق الله الإنسان على صورته، وعلى صورة الله خلقه ذكرا وأنثى)ص110 ا.هـ.

فإذا لم يكن هذا هو التشبيه فى أبهى صُوَرِهِ فكيف يكون التشبيه ؟!! وهل هم متأكدون أنهم يتكلمون عن الله الذى ليس كمثله شيء ولا نعلم له سميا ؟ – لقد سبق أن ذكرنا أن الله تبارك اسمه قد يتجلى رمزيا للنبي فى المنام على صورة جميلة يضع يده بين كتفيه، والصورة ليست كالأصل، ومعلوم أن رموز الرؤى لا تُعبِّرُ عن هيئةٍ أو ذاتٍ لما ليس له ذلك، واللهُ يتجلَّى بما يشاء أين ما يشاء متى يشاء وهو ليس كمثله شيءٌ، وهو السميع البصير بلا جارحة، وإشارة القرآن والسنّة لليد والوجه والعين والأصابع والساق للكلام عن الله عزوجل ووجوده وتجلياته لم تأتِ بالتأكيد للمشابهة أو للمِثلية، بل هو النور الواسع القريب المتعال، ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء، وإجماع الصحابة معقود على ذلك وأقوالهم ثابتة فى التفاسير المعتبرة كما أوردنا). والجنوح نحو التجسيم والانحسار بعيدا بعيدا جدا عن الخلق يجعلهم دائما فى حاجةٍ إلى

التحشـــير أو الإضـــافةِ أو الحذفِ !، ففى مجلة (التوحيد) عدد ربيع أول1427ص36 يحشرون كلمتهم المفضلة (فى السماء) فى كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (من كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله *فى الســـــماء* حى لا يموت) دون ذكر مصادر! – ومع أن قولَهم بأن الله فى السماء هو قول حق، إلا أنهم يُريدون به باطِلاً !، يريدون به أنه ليس معنا بذاته حســـــب مفهومهم للذات ومفهومهم للسماء، وكلها مفاهيم منقطعة عن أصل اللغة وأصل الشرع، ولا تخدم إلا أعداءَ اللهِ ؛ فما معنى أن يســوقوا الأدلة القاطعة على وجود الله فى الســماء، ثم ينفون وجوده فيها ؟!! إن الثابت لغة وشـرعا أن **(السـماء)** إسـم جنس **لكل السـماوات السـبع**، ولا يجوز قصرها على فوق العرش !!، لماذا لا يسمون الأشياء بأسمائها ؟!.

ويؤكد مؤلفوا كتاب شـــرح العقيدة الواســطية لابن تيمية – فى طبعة خاصـــة لجماعة أنصــار الســنة فرع عابدين القاهرة أصـحاب مجلة التوحيد –، يؤكدون الاسـتقرار فوق العرش بائن من وعن خلقه ص120، وفى تناقضٍ ظاهرٍ عجيبٍ قالوا(وهو ســـبحانه يجيء ويأتى وينزل ويدنو وهو فوق عرشـه بائن من خلقه، فهذه أفعال له سبحانه على الحقيقة، والمجاز تعطيل)اهـــــ ص55، ولو اعترض أحدٌ عليهم لاسـتحالة ذلك أنكروا عليه وطالبوه بإلغاءِ العقلِ تمامًا، رغم أن هذه المســألة تخُصُّ العقلَ بالضـــرورة لأنها تخصُّ (الأيْنِيَّة) لا (الكيفية) !. ويعالجون ذلك بقولهم : أليس الله بقادر على أن ينزل كل ليلة إلى الســـماء الدنيا حقيقة وهو فوق العرش بذاته بائنا من خلقه ؟! وبالتأكيد لا يجوز لمســلم أن ينســب لله عجزا، ولكن فاتهم هنا أمران: **<u>الأول</u>** أن قدرة الله لا تتعلق بالمســتحيلات، فلا يجوز أن يقول أحدٌ أليس الله بقادر على أن يجعل له شـــريكا فى المُلك ؟، و**<u>الثانى</u>**: أن ســـؤالهم هذا يمكن رده عليهم هكذا : أليس الله بقادر على أن يكون معنا بنفسه وفوق عرشه بنفسه فى آن واحدٍ وعلى الدوام ؟ هذا هو السؤال عن طلاقة قدرة الله، وعليهم الإجابة عليه. ولمَّا عرفوا أن المجاز تعطيل، فلماذا يُعطلون كلَّ أدِلَّةِ وُجُودِ اللهِ معنا أينما كنا ؟! هذا والله لأنه لا تدركه أبصــــارهم. إنما الحق كما

نراه فى شـــــرع الله أن الله يجيء ويأتى وينزل ويدنو بمعنى **التجلّى** من وجوده الثابت الدائم الواسع القريب الحى الحق القيوم بلا غياب وبلا انتقال.

ويجب أن نعلم أن كلامهم هذا وبهذا الأسـلوب قد صـدّ كثيرا من الناس عن دين الله الحق وأظهر عقيدتنا بشـكل غير مفهوم، ولا عذر لهم فى ذلك!.. وأظهروا الإسـلام بمظهرِ الدينِ الرافضِ للبحثِ العلميّ الكَوْنِيّ حين رفضـوا القول بدوران الأرض ! بل وعندهم من قال بتكفير من يقول بدورانها ! وكأنهم أرادوا للإسـلام أن يأخذ موقفاً مُتحَجّراً من العلمِ الحديثِ ويرفضُـه، ليسوغَ بعدَ ذلك القولُ بتهميش الإسـلام وعزله من حياة الناس!.[1]

يقول أحدُ علماءِ الغربِ – د. كلارنس إبرسـولد – : (والحق أن التفكير السـليم والاستدلال المستقيم يفرضان على عقولنا فكرة وجود الله،.. ولكن هل لله وجود " ذاتى" ؟ – يقصـد كيان متجسـم كما يزعم البعض– أما من وجهة نظر العلم فإننى لا أستطيع تصور الله تصورا ذاتيا بحيث تستطيع أن تدركه الأبصار أو يحل فى مكانٍ أو أن يجلس على كرسى أو عرش كما تصف الكتب المقدسة.)اهـ [2]

ويجب الانتباه إلى أننا لا نأخذ عقيدتنا عن كلام د. كلارنس، ولكن جئنا به لأنه يقترب من حقائق الإسـلام. كما أنه يجب الانتباه أن رأى الإمام أحمد بن حنبل فى المعية لا يخرجها عن حقيقتها حين قال إن الله معنا بعلمه، فكما بينا سـابقا فى هذا الكتاب أن العبارة هذه للتفويض وليسـت للتبعيض، كما أن رأيه هذا لا حجة فيه على أن الله ليس معنا بنفسه، لذلك فسره ابن عثيمين بقوله **(أحد مقتضيات وجود الله معنا أن يكون معنا ومعه علمه)اهـ.** وجاء ذلك إنقاذا منه للإمام أحمد من بين أيدى المحرفين وحتى لا يُتهم الإمام أحمد بالابتداع والمخالفة ؛ لأن هذه المسألة ليست محل اجتهاد. وهذا إمام أهل الرأى والعقل – أبو حنيفة – لم يتكلم فيها إلا بما يؤكد المعية الحقيقية حيث ضرب لها مثلا بالزبد فى اللبن.

---

1 راجع كتاب قصة الخلق- السابق ذكره

2 (هو يقصد بالكتب المقدسة : الكتب التى لدَى غيرِ المسلمين الآن والتأويلات المشابهة لها عند المسلمين). كتاب قصة الخلق - المصدر السابق

أما عن دور الملائكة فى الرســالات والمراســلة والتبليغ من الله إلى البشــر، ومن أمّة الإسلام إلى النبى فى قبره، فإنهم ترجمان بين أنواع الوجود وأطواره بصرف النظر عن المسافات المكانية إن وجدت، فالله الذى مع أنبيائه جميعا صلى الله عليهم وسلم يرسل جبريل عليه السلام إلى محمدٍ ويكلم موسى تكليما بلا واسطة، فهذه شئونٌ لله مع خلقه ليس مَرَدُّها حتمًا للمســافات البينية. وإذا أراد الله لمخلوق أن ينتقل من مكان إلى مكان آخر فى لا زمن – أى بســرعة مطلقة – فإنه يفعل.. فما بالنا بالله نفســه إذا ما أراد الوجود فى أى مكان بنفسه ؟ ألا يستطيع ذلك ؟ وما الذى يحول بينه وبين ما يريد ؟

إن لكل شيء باب، وباب الإيمان بالله هو الإيمانُ بقربِهِ واتساعِ:

إنهم إن جعلوا النبى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعامَّة البشر وقد مات، وتناسَوْا أنه تُعرَضُ عليه أعمالُنا كُلُّها فيحمدُ اللهَ ويســتغفرُه لنا، ويَعْرِفُنَا فردًا فردًا بأســمائِنا وأســماءِ آبائِنا وأمهاتِنا ويَرُدُّ السلامَ على

من يُسَلِّمُ عليه، ويشعرُ بآلامِنا حتَّى الشوكةِ يُشاكُ بها المسلم، أَوَلَيْسَ كلّ ذلك إدراكاً منه لنا بما يتساوى مع المعية التى بمقتضاها نسلم عليه فى كل صلواتنا بخطابِ الحاضرِ للحاضرِ "السلامُ عَلَيْكَ أيُّها النبىُّ ورحمةُ اللهِ وبركاته"؟!، إنه اتساعٌ للهِ ومن معه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، كُلٌّ حسبَ ما قدَّرَ اللهُ وأذِنَ له من الاتساعِ والإدراكِ، إنه حضورٌ للنَّبىِّ معنا مع اختلاف أطوار الوجود.

وفزَّاعةُ الحلولِ والاتحاد لا تُخِيفُنا، لأنها خوضٌ من جانب أصحابها فى الكيفية بلا علم لديهم، فمن قالوا بلزوم الحلول للمعية لا حجة لهم غير الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا، فهو كلامٌ منهم فى الكونيات وفى صُوَر الوجود وكيفياتها وأطوارها التى يعجز البشر جميعا عن الإحاطة بحقيقتها، بل وهو تعدِّى منهم وعدوانٌ على ما هو أعظمُ من ذلك إذ حَكَّموا عقولهم فى كيفية وُجُودِ اللهِ نفسِه معنا فأنكرُوه !! وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ فى كُلِّ من تجرَّأَ على اللهِ وقالَ عليهِ ما لا يَعْلَم. فإذا هضم البعض حقا من حقوق الله أو حقا من حقوق رسله، فلا يدفعنا ذلك لهضم حق آخر لله ورسله !، ولو ظلم البعض

فلا يدفعنا ذلك لظلم من نوعٍ آخر، ولو تقوّل البعض على الله بغير علم فلا يدفعنا ذلك للتقوّل عليه بغير علم ؛ لقوله عزّ وجلّ:

{لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون} المائدة 8

الفصل الثالث
تنزيه الله ليس محل اجتهاد

يقولون بأن وجود الله فى الأرض يتنافى مع تنزيه الله من عدة أوجه ذكروا منها:

أولا : جهة السماء هى جهة التنزيه : والرد عليه يكون بما يلى:

التنزيه لله، هو كلام فى الله بالنفى أو بالإثبات، ومن هنا فحكم الشرع فيه هو التوقيف، ويجب على من يسوقه أن يقدم الدليل القطعى من حيث الثبوت والدلالة. والسماء فوقنا تقابلها سـماء تحت أقدامنا فوق النصـف الآخر للكرة الأرضـية، إن السـماوات هى الاتسـاع والله يسـعها وأوسـع، قال عزّ وجلّ { وَالسَّـمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِـعُونَ}**الذاريات47**، وقد أذِن ربنا عزّ وجلّ بوجود القرآن الكريم معنا فى الأرض، وهو كلام الله الذى وصفه الله بالعَليّ الحكيم.. قال عز وجل (وإنه فى أم الكتاب لدينا **لَعَلى**ّ حكيمٌ) **الزخرف:4** فهذا دليلٌ على عدم تعارض الوجود فى الأرض مع التنزيه. وإبليس عندما رفض السـجود وأصـابته اللعنة إن كان فى السـماء آنذاك فلم تنزهه السـماء، وإن كان فى الأرض آنذاك فيثبت وجود الله يكلمه فيها بنفسـه. وكما أوردت مجلة التوحيد- عدد شـعبان1425ص26 - أن الله أخرج من صـلب آدم كلَّ ذريته فنثرهم بين يديه كالذر بنعمان - يعنى عرفة - ثم كلمهم قبلا بنفسه عيانا لا من وراء حجاب ومن غير أن يولى أمره أو كلامه أحدا من ملائكته. كما أنَّ قوله عز وجل :

{وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ(49) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(50)} سـورة النحل به يثبت العلو والفوقية على ما فى السـماوات وما فى الأرض لله الواسـع، ولا خلاف على ذلك، لكنه دون انحصار فوق العرش أو انحسار عن الأرض والسماوات، فلا يجوز ذلك إلا للمخلوقات المحدودة بحدود وأبعاد، والله ليس مثلها، واللغة العربية فيها التعبير بالعلو والفوقية لما هو ثابت وجوده فى الأرض بلا نزاع، وإليك مثال: هذه شـجرة عالية فوقنا، وهذا بناء مرتفع فوقنا مئات الأمتار. هل يمنع هذا العلو وهذه الفوقية من وجود الشـجرة ووجود البناء فى الأرض ؟ فما بالنا بالله عزّ وجلّ؟ هذا من ناحية اللغة.. أما من ناحية الشرع

فلم يثبت اســتثناء (ذاتٍ) لله من عموم أدلة وجوده معنا. والله لا يعجزه التعبير، فعندما أراد الفوقية منقطعة عن الأرض قال عزّوجلّ فى سورة الأعراف:

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ الأعراف

فعبّر بالنتق وهو الخلع مع الرفع بقوة لأعلى مع القطع من الأرض، فوقهم كأنه ظلة، أى كأنه سحابة فى السماء غير متصلة بالأرض، واقع بهم لعدم ارتكازه أو اتصاله أو وجوده بالأرض! أرأيت صـــورة تعبيرية أوضـــح من هذه ؟ والله هنا يعبر عن جبل، فكيف لو أراد أن يعبر عن نفسه ؟!. ومن قول الله { وفى السماء رزقكم} – ومن الرزق النيل والفرات – يتأكد لنا اتصـال الأرض الدائم بالسـماوات، فقد كانتا رتقا ففتقهما الله، ولا زالت الأرض كرة معلقة فى الســماوات تدور فى مدار لتحتل منها مكانا بعد مكان، فالفتق نشــأ عنه تباين ولم ينشــأ عنه خروج الأرض عن معية الســماء. والله لم يمنعه علوه عن معيتـه لنا ولم يمنعنا وجودنا فى الأرض من أن نكون نحن الأعلون معه، لأنه علو القدر والشــأن. ولكن يجب لله عزّ وجلّ الوجود الواســع القريب معنا وفوقنا وبكل شــيءٍ محيط، وهى أســماء الله وصــفاته التى أمرنا أن ندعوه بها– أنظر نماذج الوجود المطلق.

ولو كان الله سبحانه وتعالى فوق العرش منحصرا، وعن الأرض منحسرا، لأخبر بذلك موسى **عليه السلام** عندما طلب الرؤية، ولكان جواب موسى **عليه السلام** لقومه عندما طلبوا منه أن يروا الله جهرة أنهم لا يستطيعون رؤيته بسبب بُعده فوق العرش، ولكانت حجة قوية وعذرًا مقبولا، لكن ذلك لم يحدث. بل الثابت هو وجود الله فى الأرض – مع علوه غير المحدود – يكلم موسى تكليما كلام الحاضر للحاضر من وراء حجاب. بل إن طلب موسى **عليه السلام** الرؤية يعنى تيقنه من قرب الله ووجوده معه حين أدركه بسمعه وهو يكلمه تكليما، وقالها صراحة "**كلا إن معى ربى سيهدين**" **طه** عن يقين بالحقيقة التى لا مجاز فيها ولا وَهْم.. كما قالها له ربه:

قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ طه

وفى المقابل : فإن وجود الله فى الأرض لم يتعارض مع تكليمه نبيه محمدا **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فوق السماوات ليلة فرض لنا الصلوات الخمس إذ أسرى به أرضاً، وكلمه سماءً. ولم يكن يجرى على لسان سيدنا محمد **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَسَمٌ بالله أو ذكر لله يفيد باختصاص وجود الله بفوق العرش خارج الكون ! بل كان يُقسِم فيقول والذى نفسُ محمدٍ بيدهِ، ونفسُه الشريفةُ ساعةَ يُقسِمُ كانت بين الناسِ فى الأرضِ، ويدُ اللهِ هى كنايةٌ عن اللهِ نفسِه، وذلك يؤكدُ لنا حقيقةَ الوجودِ المطلقِ للهِ عز وجل. ونسألُ من يقولُ بغيرِ ذلك مُدّعِيًا التنزيه : هل الإنحسارُ عن الخلق تنزيهٌ، أم هو تقييدٌ وتحييزٌ وإبعادٌ وتغييب ؟!!!

بل يجب علينا أن نفهمَ أدِلَّةَ العُلُوِّ على أنَّها أدِلَّةُ اتساعٍ ومَعيةٍ.

ثانيا : الحلول والاتحاد :

قالوا بلزوم حلول الله واتحاده فينا لو كان معنا بنفسه..

والرد على ذلك أنه كلامٌ بشريٌّ فى اللهِ، والكلامُ فى اللهِ توقيفيٌّ أى يجبُ على من يسوقُه أن يُقدِّمَ الدليلَ القطعِيَّ من حيثُ الثبوتِ والدلالةِ. والحلولُ لا يلزم المعية إلا فى بعضِ المخلوقاتِ، أما اللهُ فلا نعرفُ كيفيَّتَهُ، فمن أين لهم هذا الجزم ؟ هل أحدٌ منهم يعرف حقيقة اللهِ ؟ لا، بل هو عدم تعريف المكان تعريفا شرعيا وعلميا صحيحا حيث أنهم يعتقدون أن المكان ينحصر فى السماوات وفى الأرض فقط، على الرغم من أن القرآن والسنة يعرفان المكان بأنه الحيز أو الموقع الذى يشغله الشيء، فالأرض ليست (مكانا) لما عليها، وإنما هى شيء يشغل حيّزا (مكانا) مثلها فى ذلك مثل كل شيء يشغل (مكانا) فوقها أو حتى داخلها. وهكذا النجوم والكواكب وكل المخلوقات المادية، هى أشياء تشغل أماكن، ولأنها مادية ولها أجسام ذات كتلة، فهى تتزاحمُ ويزيحُ بعضُها بعضًا أو يذوبُ وينتشرُ أحدُها فى الآخرِ عند الوجودِ فى مكانٍ واحدٍ. ولكن إذا اختلفت الأشياءُ اختلافًا كاملاً من حيث الطبيعةِ والماهيةِ، فقد توجدُ معًا فى مكانٍ واحدٍ دون

إزاحةٍ أو تزاحمٍ، مثل الروح تمر من البروج المشـــيدة من حديد وحوائط ســـميكة من الخرسانة ومعها ملك الموت ولا يعوقهما شيء من ذلك، قال عز وجل :

[أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَـــيَّدَةٍ] **النســـاء :78**، فإذا كان للمخلوقات مثل هذه القدرة على الوجود اللطيف، فكيف يقول البعض باســـتحالته فى حق الله وهو النور اللطيف القادر المقتدر الذى ليس كمثله شـــيء ؟! إنَّ مكان الله المطلق هو الفراغ (العماء) غير المحدود الذى كان الله فيه كله قبل أن يخلق الخلق ولا يزال. وقولهم عن الله بالحلول والاتحاد هو خدعة خُدِعُوا وخَدَعُونا بها وأَدَّت للقول بإبعاده !.. وهو قول مردودٌ لأسبابٍ نذكرُ منها :-

1. لأن الله ليس كمثله شـــيءٌ فلا قياسَ له - فهنا مكانها الذى تقال فيه- فهو ليس بمادة كالهواء والماء متى وجدت مع شـــيءٍ حلت فيه وتحَيَّزَت به. نعَمْ هو نورٌ له وجودٌ، ولكن لم يُعاينُه أحدٌ ليجزمَ لنا بشيءٍ عن حقيقتِه وليس كمثله شيء ليُقاس عليه. فأىُّ قياسٍ لحقيقةِ اللهِ باطلٌ. وإن اتصف اللهُ بشيءٍ فحقيقته من حقيقة الله نفسه، فنؤمنُ بها حقًّا ونُفوِّضُ الكَيْفيَّةَ فيها للهِ فهو أعلم. وأوهامُ الحلولِ والاتحادِ يُزيلُها استقصاءٌ منا لنصوصِ التنزيهِ ومجالاتِه فى الكتابِ والسنةِ ثمَّ وقفُ الكلامِ فى الله تمامًا للهِ ورسولِه. وهذا وحده هو الكفيلُ بردِّ المتكلمين على اختلافِ دوافعِهم. وليس الردّ على تقوُّلِهم على اللهِ يكونُ بتقوُّلٍ آخَر منا على اللهِ، فنهربُ من الحلولِ والاتحادِ - وهو ليس بلازمٍ - إلى انحصارٍ فى جهةٍ ومكانٍ فوقَ العرشِ وانحسارٍ عن الخلقِ، وهو باطلٌ مصادمُ للنصوصِ الثابتة القاطعةِ.

2. تسليمهم بنزولِ اللهِ كلَّ ليلةٍ على الحقيقةِ يتناقض مع كلامهم بلزوم الحلول ويبطله، لأن السماءَ الدنيا مليئةٌ بالمخلوقاتِ أكثرَ من الأرضِ، فلو كان وجودُه معنا بنفسِه أينما كنا يســـتلزمُ حلولَه فينا لكانَ نزولُه كلَّ ليلةٍ -(والليلُ لا ينقطعُ من الأرضِ)- إلى السماءِ الدُّنيا بحقيقتِه كما آمنوا وآمنا يستلزمُ حلولَه فى كلِّ سُكَّانِ السماءِ التى أَطَّتْ بهم وحُقَّ لهَا أن تئِطَّ، بل وفى الحافِّين من حول العرش وهو معهم فوقَه قبلَ النزولِ وأثناءَه وبعدَه !!. ولكنَّ الحق أن نزولَ اللهِ كلَّ ليلةٍ هو **تجَلِّى** اللهِ كيف يشاءُ وبما يشاءُ

من صـــفاتِه من وجودٍ واســـعٍ دائمٍ قائمٍ لا يزولُ ولا يغيبُ. و(الوجودُ الواســـعُ المطلقُ) ليس هو (وحدة الوجودِ)، حيث يعنى الأخير أن الخالق والمخلوق شـــيءٌ واحدٌ كما قال به بعضُ الفلاسفة من غير المسلمين.

3. معنا من الأشـياء ما هو يغمرنا مثل الإشـعاعات وموجات الأثير تحمل الإرسـال الإذاعى والمرئى وغيرها وتجعل الأجهزة تنطق بالصوت والصورة والحركة ولا تحل فيها ولا تتحيز ولا تتجســـم، بل ولا تتزاحم ولا تختلط فيما بينها – بمعنى أنه يمكننا أن نستقبل أيًّا منها فى كل نقطة من مكان وجودها الواسع، نستقبلها مستقلةً متباينةً عن غيرها، فقط تؤثر فى أجهزة الاســـتقبال ولا تتأثر بها حتى ولو احترقت هذه الأجهزة. هذه الأشـــعاعات يمكن تصـــنيفها كنوع من النور اللطيف واســـع الانتشـــار، ولم يكن يعرفها قديما أهل الكلام بالحلول والاتحاد الذين ألزموا اللهَ ما لم يلزم بعضَ مخلوقاته، وتكلموا فى أمورٍ كَوْنيَّةٍ تجريبيَّةٍ لا تجربة لهم فيها ولا خبرة !. وقد عَلِمنا أيضـــا فى تفسير النور والمشكاة أنه لا اتحاد بين النور وبين الزجاجة رغم أنهما فى مكان واحد، ولم يتحدد النور بحدود الزجاجة بل غمرها وتعدَّاها. وكذلك الملائكة والروح مع البروج المشيدة ومع أجساد البشر، معية لا حلول فيها ولا اتحاد.

ثالثا : <u>أماكن قضـــاء الحاجة (دورات المياه)</u> قالوا كيف يكون فى مكان مثل ذلك ؟.. وهذا القول منهم يؤكد على البدائية والســـطحية المعرفية التى يتكلمون بها ويُلحّون بها علينا للخوض فى كيفية وجود الله، بل وفى حقيقة الله نفســـه، ويؤكد أنهم لا يُصـــدِّقُون بكلام الله حتى يعقلوه. ولو أنهم تفكروا كيف كلَّمَ اللهُ موسَـى فى النار عند جبل الطور، أو كيف يضـــعُ قدَمَهُ عزّ وجلّ فى جهنم لتكف عن طلب المزيد، فليخافوا عليه من النار إذاً !!– لو تفكروا فى المُتاح لنا من علمٍ عن اللهِ وصـــفاتِه، لعرَفُوا أنَّ هذا الكلام منهم لا علاقةَ له بالتنزيهِ من الأساس. بل هم لم يسوقوه عن علم لديهم بحقيقة اللهِ أو عن أمرٍ أو نهيٍ من عندِ اللهِ ورسولِه **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فنقول حينها سمعنا وأطعنا، ولكنهم ما ساقوه إلا جدَلاً ولإحراجِ غيرِهِم. لكنه وَقَعَ منهم قياسًا فاسدًا إذ ساوَوْا بين اللهِ وبين خلقِه فى الوجودِ والإدراكِ، وقاسُوا وجودَ اللهِ على وجودِهم وإدراكَ اللهِ على إدراكِهم

فى هذه الأماكن، وقاسُوا أثرَها على نفسِه بأثرِها على نفوسِهم، وأقسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيْمَانِهم أن ليسَ فيها من عظمةِ اللهِ شيئا. وما أدْرَاهُم بنفسِ اللهِ وهو غيبٌ ؟ أليست هناك كائناتٌ حيةٌ من أيِّ نوعٍ ؟ فمن يُحييها ؟ إنه لا حَيٌّ إلا بالحيِّ المُحْيِي. ألا يموتُ فيها إنسانٌ ؟ إنه لا أحدٌ يُميتُ الأنفسَ إلا اللهُ المميتُ ثم تتوفاها ملائكتُه. والملائكةُ يتخلوْنَ عمَّن يقضِى حاجتَه، ولا يتوفون النائمَ، والإنسانُ قد يأتيه الموتُ أو يغلبه النومُ، فمن يتوفاه هناك غير الله؟ وهو عزّ وجلّ يقول(ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)**الواقعة** 85 أى لا تبصروننا نحن الله المميت وملائكته. ثم إن أى شيء – مهما استقذره الإنسان– لو حللناه إلى عناصره الأساسية المكونة له، ثم إلى الذرات المكونة لكل عنصر، لما وجدنا شيئا مستقذرا قط، إنها صور مصورة فكيف تؤثر فى الحق ؟ إنها كالظل، فهل يؤثر الظل فى الشاخص ؟! وهل يوجد بدونه ؟!. ويقول عزّ وجلّ { وإن من شيء إلا يسبح بحمده}**الاسراء 44** وهذه الأماكن وما فيها تدخل فى عمومه، فهل سيمنعونها من التسبيح بحجة التنزيه ؟! وكيف يمنعونها وهم لا يفقهون تسبيحها كما لا يفقهون كيفية وجود الله معنا ولو كنا فيها ؟! إنه – وهو معكم أينما كنتم– الغيب الأعز الأعلى، كيف يفقهون غيب الله خاصّة دون غيره من الغيوب ؟! إن الأثر النفسى بل والحكم الشرعى للأماكن والأشياء هو أمر نسبى متغير حسب العوالم والأجناس المختلفة، بل وفى داخل الجنس الواحد. ولا نعرف الأثر النفسى والحكم الشرعى لمكان أو لشيء إلا إذا عرفنا جنس من يتعلق به الأثر والحكم، فمن ذا الذى يستطيع أن يجزم لنا بأن هذه الأشياء تنال الله بأثر ما والله فى نفسه غيب مطلق لا سبيل لهم لمعرفة أثر الأشياء على نفسه وحكمها الشرعى فى حقه إلا بنص قطعى الثبوت والدلالة ؟ وجميع هذه الأماكن نسبية ومحدودة وتتبدل باستمرار تبعا لحركة الأرض وما عليها، لكن الله واسع ثابت دائم، ولا يهرب المحدود من اللامحدود. هكذا لن يقوم تنزيه الله على إدراكاتنا واعتباراتنا وعلاقاتنا النسبية نحن بالأشياء والأماكن!.. فمثلاً : هل إتخاذ الزوجة والولد والشريك بالنسبة لنا أمر يؤذينا ؟ هل إعتباراتنا لهذه الأشياء تقوم على الرفض الشديد لها والتنزه عنها ؟ أم هى أشياءٌ

مُحَبّبة لنا ودلائل غِنىً وقوة ومنعة وعزة ؟ لماذا إذاً تنزه الله عنها واختلف عنا فى إدراكاتنا واعتباراتنا لها ؟.. بل قال عز وجل فى سورة مريم :

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾مريم

وقال عز وجل فى سورة الحج { لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم.. وبشر المحسنين } **الحج:37** الله لا يناله دمٌ ولا روثٌ يقع فى مكانٍ أو فى أحشاءِ مخلوق، بمعنى أن هذه الأشياء ليست ذات موضوع بالنسبة له!. هل اقتربت من فم أحد الصائمين قبيل موعد الإفطار ؟ هل شممته ؟ أنت تنفر منه، لكن الله لا يتأذى منه بل إنه أطيب عند الله من ريح المسك !، هل رأيت كيف اختلف الأثر؟! هل اقتربت من لهيب النار ؟ هل تعرف حر نار الدنيا مقارنة بنار جهنم ؟ إن جهنم تفور لها شهيق وزفير تقول هل من مزيد لا تسكت حتى يضع الله قدمه فيها – لا تحرقه ولا تؤذيه – هنالك ينزوى بعضها إلى بعض وتقول بعزتك قطٍ قطٍ (كفى)!. ويوم القيامة يكون المحشر فى الأرض ولقاؤنا بربنا فى الأرض وتكون الأرض جميعا قبضته، والسماوات مطويات بيمينه، فلماذا الإنكار الآن؟ هل علم اليقين لا يساوى عين اليقين؟ إن الإيمان معناه أنهما عند المؤمن سواء. هكذا يتأكد لنا أن المسألة محل (تصديق قلبى) وليست محل (جدل عقلى). فاتقوا الله يا عباد الله الذين آمنوا ولا تقولوا على الله ما لا تعلمون!، فلن يكون التنزيه من بنات أفكاركم ولا من استحسانكم!، بل هو الذى يُعلمنا كيف ننزهه، فالذى يتنافى مع التنزيه هو أن تجعلوا لله شريكا أو تدّعوا أن له ولدا أو زوجة أو بناتٍ أو أعواناً أو تلحدوا وتكذبوا بصريح آياته حيث يقول عزّ وجلّ { **إنّى قريب** } و{ **هو معكم أينما كنتم** }، وتقولوا **إنه بعيد** أو تقولوا ليس مع خلقه أو حالٌّ فيهم. فكلُّ ذلك كلامٌ فى الكيفية بالنفى والإثباتِ بألفاظٍ من خارج الكتابِ والسنةِ ويتنافى مع الحُكْمِ التوقيفيّ. فالتنزيهُ عبادةٌ توقيفيّةٌ أكملَ الشرعُ الكلامَ فيها على سبيلِ الحصرِ. قال اللهُ القريبُ { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } **المائدة: 3**

وما وَكَلَ اللهُ إكمالَ دينِه لغَيْرِه. هنا مجالُ التنزيهِ، وهكذا يجبُ التنزيه. وأخيرًا، وبنفس طريقتهم فى الجدال نقول : ألا يستطيع الله تجنب ما يشاء أن يتجنبه وهو معنا أين ما كنا ؟ هذا لو كان فى الوجود شيءٌ يريد الله أن يتجنبه، لكن لا دليل على أيِّ استثناء.

إنَّ المشكلةَ الحقيقيةَ الآن هى فى الكثيرين من العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية!، الذين تمَّ ترتيبُ أدمغتِهم على رفضِ التسليمِ بوجودِ اللهِ نفسِه معنا حسب ما درسوه من علوم الفلسفة والكلام المبنية على القياسات العقلية الخاطئة والمبنية على الشكِّ فى كلِّ شيءٍ – حتى فى كلامِ اللهِ ! – والتى تسمح للعقل بالحُكمِ فى الغيبيات رغم فُقدانِه لكُلِّ المُؤهِّلات اللازمةِ لذلك !!. وتحتاج هذه المشكلة إلى جُهودٍ مُخلِصَةٍ وجَريئةٍ للتغلبِ عليها.

رابعا: وقالوا إن الأرض ومن فيها لا يطيقون نور الله، فقد اندك الجبل عندما تجلى الله له :

وهذا الكلامُ ظنٌّ منهم يضعُهم وعقيدتَهم فى الميزانِ، فظنُّهم أن وجودَ اللهِ فوق العرش يُبعده ويُبعد عنه من فى الأرضِ ويحمِيهم من سُبُحاتِ نورِ وجْهِه خطأٌ منهم يُبرِّرُ جدالنا هذا لهم، لأنهم بذلك يَظنُّون أن نورَ اللهِ فى الأرض أضعفُ منه فوق العرش! بل ويقولون أنه ليس فى الأرض البتة !، مع أن الله يقول { وهو معكم أين ما كنتم }، { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }، والرد عليهم : أنَّ اللهَ كلَّمَ موسى عليه السلام فى الأرضِ عندَ جبلِ الطورِ ولم يندَكّ الجبلُ إلا عندما **تجلَّى** اللهُ له بما يشاء أن يتجلَّى به من نفسه وصفاته وأفعاله، قال الله عز وجل :

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَـٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ الأعراف

أىْ أنَّ الله كلَّمَ موســى أولاً ولم يندك الجبل، ولكن عندما تجلَّى اللهُ للجبل اندك. فالدَّك سببه **التجلِّى** وليس سببه حُضورٌ مُفَاجِىءٌ من بعد غيابٍ، أو اقترابٌ من بعدِ بُعادٍ !. ومع تسـليمهم بأن تجلى الله للجبل يثبت وُجود الله فى الأرض آنذاك، أسـألهم: متى غادرها الله ؟! ومن أين لهم القطع بذلك والقاعدة الشرعية الأصل **أن الله لا يقاس على غيره** وبها يَسلَمُ المؤمنُ ؟ ولا يجوز لنا قياس استواء الله إلى السماء على استواء غيره إليها، إن اللطيف فى نفسه لغةً هو من يوجد معك ولا تراه بسبب لطافته. والآية التالية عند من يتدبرها فيها الدليل القاطع على الوجود الدائم الواسـع فى الأرض وفى السماوات، إلى جانب الدليل على العلم والقدرة والخبرة :

يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٍ مِّنۡ خَرۡدَلٍ فَتَكُن فِى صَخۡرَةٍ أَوۡ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ لقمان

لأن الله لو لم يكن قريبا معها دائما لاحتاج عند الإتيان بها إلى زمن وانتقال أو إلى معاونة من غيره ليأتيه بها حيث كان، وكل ذلك احتياج وعجز يتنزه الله عنه تنزيها ثابتا بأدلته فى الكتاب والسنة. وهذا المفهوم للآية يتفق عليه العقل مع الشرع. ومثله يقال فى قوله عز وجل { أين ما تكونوا يأتِ بكم اللهُ جميعا } **البقرة:148**

خامســا : وقالوا : إن وُجُود الله فى الأرض وفى الســماوات يســتلزم حاجته إليها ومشابهته للمخلوقات !..

ولست أدرى على وجه الدقة من أىّ نبعٍ آسنٍ يستقون كل هذه الترَّهات ويستسلمون لها وكأنها من فم نبيّ !، ولســت أدرى كم فى جرابهم من خبءٍ لم يخرجوه بعد !.. ما بالهم الكلام فى الله عندهم كالكلأ المباح ؟!.. إنهم بذلك يصدون عنه وينهون وينأون. إن الله تعالى ليس كمثله شــيءٌ فيقاس عليه، ولم يقل أحدٌ أن الله فيهما ســاكنا فى حجرات أو محمولا على أرضٍ أو فرشٍ أو سريرٍ، اللهُ تعالى ليس فيهما معتمِدًا عليهما فى شــيء، أو محتاجًا لهما فى شــيء!!، إنه فيهما لهما ولحاجتهما له بالضــرورة القصوى، فلا قوة لأى شيء فيهما إلا بالله، وقوة أى شيء على فعل أى شيء مستمدة من قوة الله – أقرب اســتدلال على ذلك هو اســتدلال ســلطان العلماء العز بن عبد الســلام بوجود الروح فى كل الجسد باستقلالية تامَّةٍ ويستمد الجسد حياته وصفاته وجميع قُوَاهُ وأفعالَه منها ما دامت فيه. ومن يُريدُ أن يَطمئِنَّ غالبًا ما يسألُ (كيف)، فقد قال نبيُّ اللهِ إبراهيمُ {ربِّ أرنِى كيفَ تحيي الموتى} ليطمئن قلبُه. ونحن أولى منه بطلب الاطمئنان. ولكنَّ الكيفَ لا طاقة لعقولنا به، هذه هى المشــكلة التى لا حلَّ لها إلا عند الله نفسه عزّ وجلّ. فهل طلبنا الإطمئنانَ من اللهِ بأدبٍ مثلِ أدبِ إبراهيم **عليه السلام** ؟ هذا الأدب مع الله هو حلُّ المشكلةِ. وعلى من يبحث عن الله ألا يتكلم عنه حتى يطمئنَّ إليه بعلمِ اليقين، لأنه ربّما يُشير إلى كوكبٍ أو قمرٍ أو شمسٍ فيقول هذا ربيّ !، وإن كان هذا مستبعدا بعد ظهور الإسلام، ولكن قد يقع الضلال عند الإنسان فى تصوره لله كَيْفاً ومَكَاناً فيقول بأن له (ذاتًا) بعيدة أو يقول لا ندرى أين هو !. وعلى من لا يقين له فى معيةِ اللهِ معه ألا يتكلم فيه أبدًا حتى ولو كانت وظيفتُه ولقمةُ عيشِه هى الكلامُ فى الدِّين، رُبَّما يُحفظُ القرآنَ أو يُدَرِّسُ فقهَ العباداتِ مثل الوضوء والغسل، لكن لا يتكلم بعكسِ ما يتكلمُ به القرآنُ والسُّــنة عن وُجُودِ اللهِ مَعَنا !، فتلك مصــيبةٌ قصمت ظهرَ الأمّةِ.. وكفى !!. ثم ما هى حتميةُ التشابُه بين اللهِ وبينَ خلقه فى ثبوتِ المكانِ للهِ ؟ – مرةٌ أخرى يتكلمون فى قوانين كَونِيَّةٍ وغَيْبيَّةٍ لا تجربةَ ولا خِبرةَ لهم

بهـا!!- إن وجودَ اللهِ فى المكـانِ لا يعنى حـاجتـه عزّ وجـلّ لمخلوقٍ، فـالمكـانُ هو الاتساعُ المطلقُ، وليس هو الأجرامُ والأشياءُ المخلوقةُ فى هذا الاتساع، والاتساع صفةٌ ثابتةٌ للهِ نفسِـــه، فهل نقول بتنزيه اللهِ عن إســـمه وصـــفته وفعله لكى لا يتشـــابه مع المخلوق الذى له اســـم وصـــفة وفعل ؟!.. إن وجودَ اللهِ فى المكان ضـــرورةٌ عقليةٌ وشـرعيةٌ للإمسـاكِ بمن فيه وتدبير شـؤونهم. ومصـطلحاتُ الجاذبية وأخواتها ما تركت فِعلاً لله فى قلوبِ كثيرٍ من الناسِ يعبدونه لأجلِه ويعرفونه به، فما الفرق بين المؤمن وبين غيرهِ إذا هو ردَّ كلَّ الأفعالِ فى الكونِ لغيرِ اللهِ تعالى؟!. وقد قال الله عز وجل فى سورة فاطر:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ ﴿٤١﴾ فاطر

والإنســان لن يُؤمن بالله إلا إذا رآهُ فعَّالاً بنفسِــه فى هذه الآية وغيرها.. فبأيِّ بيانٍ كانَ القرآنُ ليُثبتَ الوجودَ للهِ أعظمَ من ذلك ؟! إن وجودَ الله معنـا فى المكـانِ لا ليعتمدَ على مخلوقٍ فى جلوسٍ أو نومٍ أو إقامةٍ أو اســـتقرارٍ، بل إن من قالوا باســـتقراره فوق العرش هم الذين وقعوا فى ذلك!. وسُـئل النبى **صَـلَّى الله عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ**:" أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ قَالَ كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَخَلَقَ عَرْشَـهُ عَلَى الْمَاءِ ". **حَدِيثٌ حَسَـنٌ. سـنن الترمذى-تفسـير سـورة هود.** فالعماءُ وهو الفراغُ الخالى من الخلقِ يُقال عنه (مكان) أيضـا، بدليل السؤال عنه بأين، ولم ينكر النبى **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ** على الســـائل ســؤاله عن الله بأين كان الله قبل أن يخلق خلقه، ولمْ ينفِ المكانَ عن اللهِ بل أثبتـه لـه بقولـه (فى عمـاءٍ)، (بينكم وبين رءوس رحـالكم)، (بين أيديكم فى الصــلاة)، (تجده أمامك)، فكل ذلك يثبت المكان لله. والمكان ليس قاصـرًا على السـماءِ والأرضِ، بل يُقال به فى الوجودِ والعدمِ لغةً وشـرعًا. ثمَّ إن اللهَ عزّ وجلّ سـيتجلَّى لأهلِ الجنَّةِ فى روضـاتِ الجنة ويُكلمهم ويُكلمونه، والجنةُ مخلوقَةٌ فى مكانٍ، فهل ســـيتحتم القول بالمشـــابهة بينه وبين خلقه هناك أو فى أرضِ المحشـــرِ ؟! أم

سـينكرون وجودَه فى (مكانِ أرضِ المحشـر) يحاسـبهم ويعقابهم على تكذيبهم له فى قوله بقربه ومعيته ؟!، وما منهم من أحدٍ إلا وسـيكلمه اللهُ ليس بينه وبينه حجابٌ ولا ترجمان، فمن الذى سـيتغير.. الخالق أم المخلوق ؟.. المخلوق بالتأكيد هو الذى سيتغير.

ماذا لو أيقن كلُّ إنسـانٍ أنه مجموعة خلايا من دم ولحم وعظم يخلقها الله ويصـورها ويهدم منها ويبنى ليلا ونهارا من قريب، ومعه أينما كان ؟ كيف ستكون مراقبته لربه ؟ وما حكمُ اللهِ فيمن يشككه فى ذلك ؟! ألا يرى الإنسانُ أعْرَاضَ التغيُّرِ فى نفسِه كلَّ يَوم ؟ من الذى يُغيِّرُه ويُسيرُه ويُصَورُه ويُرَكِّبُه ويُطعمُه ويسْقيه، وإذا مرض فهو يشفيه ؟ أم هل يعتبر الإنسـانُ نفسَـه إنسـانًا آليًّا صُـنِع فى اليابان لمرةٍ ثم قُذِفَ به بعيدا عن يد صـانعه ؟! أم يُخلقُ من غيرِ شـيءٍ أم هُمُ الخالقون ؟ ما الذى أكَّدَ عندَ الإنسـانِ أن الذى يفعلُ كلَّ ذلك لكلِّ الناسِ بل لكلِّ الخلقِ بعيدٌ غيرُ موجودٍ بنفسِـه فى السـماواتِ وفى الأرضِ ؟ ربما الجهلُ ؟.. الغرورُ ؟.. الشـيطانُ ؟.. النفسُ الأمارةُ بالسـوءِ ؟ إنه كل ذلك.

فإذا عرضـنا هذه العقيدةِ على أيِّ عاقلٍ فلن يسـتطيع رَدَّها ولو تلعثم فيها قليلاً !، لأن حُجَّتَها فيه هو، فى أفعالِ اللهِ الدائمةِ فيهِ.. فى تخليقه وإحيائه وحفظه ووفاته بالليل والنهار ثم بعثه من نومه، وربط ذلك بالله. ولن نسـتطيع أن ندعوَ الناس إلى الإسـلام إلا من باب عقيدة القرب والمعية لله نفسـه مع جميع الناس يخلقهم ويرزقهم ويحييهم ويتوفاهم ويبعثهم، أما عن فضـائل الشـريعة فرُبَّما يرون أنهم ليسـوا فى حاجةٍ إليها، أو عندهم الأفضل فى نظرهم !.

ودين الإسـلام لا يعرف (الربَّ الخُصُـوصِـى) أو (الآلهة العنصـرية) والدة الشـعبِ المختـارِ المدَلَّلِ !.. قـال الله عز وجل { يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَـائِلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات13

فالله هو الرب الواحد لكل العالمين :

يقول الإمام أبو حامد الغزالى :

للتوحيد أربع مراتب هى : **الرتبة الأولى** أن يقول الإنسـان بلسـانه لا إله إلا الله، وقلبه غافل أو منكر، كتوحيد المنافقين، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم. **الرتبة الثانية** أن يقول الإنسـان بلسـانه لا إله إلا الله وقلبه مصـدقٌ بها، كالعوام. **الرتبة الثالثة** أن يشـاهد ذلك بطريق الكشـف بواسـطة نور الله، وهو مقام المقربين، بأن يرى الإنسـان الأشـياءَ على كثرتها صـادرة عن الواحد القهار. **الرتبة الرابعة** ألا يرى الإنسـان فى الوجود إلا الله، وهى مشـاهدة الصـديقين، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشـفة اتضـح لك هذا اتضـاحا أتم من المشـاهدة بالبصر، وإنما يصدُّك الشيطان عن هذا التوحيد ابتغاء أن يتطرق الى قلبك الشرك بالله.أهـ[1]

ويعلق الأسـتاذ الدكتور نوح الغزالى أسـتاذ ورئيس قسـم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر – سابقا– على ما قاله الإمام الغزالى هذا فيقول : التوحيد فى **الرتبة الأولى** توحيد بمجرد اللسـان، **والثانية** توحيد باللسـان ولم يكذب القلب، **والثالثة** توحيد بمعنى أنه لا فاعل بالحقيقة إلا الله، وتلك رتبة العوام، **والرابعة** توحيد بمعنى أنه لم يحضر فى شهود الإنسان – أى فى قلبه – غير الله، وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد. أهـ[2]

وقضت الضرورة عند فريق إثبات المكان لله بقبول تسمية ما فوق العرش **(مكانا)**[3] إلى جانب الاتفاق على تسمية السماوات والأرض والكرسى والعرش **(مكانا)**، وهكذا أصبح المكان **(مطلقا)** لا حدود له ليتلاقى مع قول الأشاعرة بـــ**(الوجود المطلق)**. وهنا يجب على الجميع التســـليم بإثبات هذا المكان المطلق لوجود الله المطلق حيث ثبت بطلان الكلام باستحالة وجود الله داخل الأكوان.

---

1 كتاب إحياء علوم الدين ج4 ص 230
2 كتابه أصول العقائد - مطبعة مركز صالح كامل جامعة الأزهر1997
3 كتاب شرح العقيدة الواسطية ص80-81 طبعة خاصة لأنصار السنة.

الفصل الرابع
النتائج المترتبة على الطعن
فى وجود الله معنا

أولا: إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة !

فإذا كان مفهوم الإستواء على العرش لا يَعنى بُعد الله عز وجل عن أرضه أو سمائه وإلا لتعارض مع صريح القرآن والسنة، وإذا كانت الآيات القرآنية والسنة النبوية تؤكد على المعيّة الدائمة والقُرب الأقرب من حبل الوريد، فمن أين لنا أن نُصر على تفريغ القدر الأكبر من القرآن والسنة من معانيه ونصرفه عن ظاهره ؟ أليس ذلك عنت وعُسر يُعاكس يُسر القرآن والسُنة ؟ كما قال الله {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }**القمر**، ومن أين يأتى التشكك عند بعض الناس فى قُرب الله عز وجل وهم فى قبضته يتوفاهم بالليل والنهار؟ ألا يتعارض هذا مع صدق الإيمان فى (إن كان قال فقد صدق) ؟. هل هى رغبة دفينة فى النفس الأمارة بالسوء للتحرر والإنفلات ؟ أم تتخوف النفس أن يزاحمها الله فى مُلكه حيث تتصور أنه مُلكها ؟ أم لعدم قدرتها على إدراك حقيقة الله فهى تدافع عن عجزها برفض ما لا تدركه ؟ أم أنها ألفت ذواتا مجسمة محدودة كعجل بنى إسرائيل فلا تطمئن إلا إليها ؟! إننى أخشى أن يكون رفض بعض الناس لوجود الله معنا بنفسه هو المرادف لقول بنى إسرائيل لموسى **عليه السلام** " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة "!، وإن جاء هذه المرة ملتبسا ومتخفيا تحت ستار **التنزيه** المزعوم، لكنه قد تبين لنا أنهم يُعلقون الإيمان على الإدراك والتعقل، وليس عندهم (إن كان قال فقد صدق)، وإن لم يُدركوا الله أو يتعقلوه يُنكروا وجوده معهم ! متمسحين فيما يدّعون أنه تأويل برغم علمهم سلفًا بكل نصوص القرب والمعية وقطعية دلالتها !. إنّ كلامهم بهذا **التقويل** ليس من **التأويل** المباح، فالتأويل له ضوابطه، ولا اجتهاد مع النص ولا كلام فى الله بغير نص، بل إنه إلْحَاد فى أسماء الله وآياته وتقول على الله بغير دليل قطعى، فاحذروا قلوبا غفلت عن الله وهى بين أصابعه، واحذروا نفوسا عميت عن الله وهى فى قبضته. ويبدو أن مرور الدارسين بأقوال أهل الكلام والمنطق قد يعطلهم عن الأخذ بمبدأ التسليم المطلق لله ألا وهو (إن كان قال فقد صدق). وإلا فليقولوا لنا متى كان المكان حاكِمًا فى الغيبيات – ابتداءً من إثنين فى قبر واحد،

أحدهما ينعم فى الجنة والآخر يُعذب فى الســـعير، وانتهاءً بأعلى الغيب وأعزه وهو كيفية وجود الله عزّ وجلّ ؟!.

ثانيا: التقوّل فى الاستواء والتأويل والتنزيه أوجد شبهة بوجود تناقض فى القرآن!

انظر معى إلى ما دســه البعض على الإمام القرطبى فى تفســيره لســورة الحديد فى تفسير قوله عز وجل { هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش... وهو معكم أين ما كنتم } حيث يدّعون أنه قال : وقد جمع في هذه الآية بين " اســـتوى على العرش " وبين " وهو معكم " والأخذ بالظاهرين تناقض فدل على أنه لا بد من التأويل، والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض.اهـ كيف يقول هذا رحمه الله ولقد ســبق أن قال مع من قالوا بتنزيه الله عن أن يختص بجهة – راجع كلامه فى الاســـتواء – فلا يتبقى إلا وجود الله المطلق أو عدمه المطلق، ولما كان عدمه مستحيلا ووجوده حقا، فلا يكون إلا الوجود المطلق.. فأين التناقض بين وجوده معنا ووجوده فوق العرش؟ وهل مثل هذه المعلومة كانت لتغيب عن أئمة الدين وعلمائه؟ كلا ثم كلا، بل إنه الدّسّ والافتراء عليهم من أهل التقول. يقول ابن عثيمين فى إثبات القرب والعلو لله نفســه: فإن قال قائل كيف الجمع بين قربه جل وعلا وعلوه ؟ فالجواب: أن الله أثبت ذلك لنفســـه – أعني القرب والعلو؛ ولا يمكن أن يجمع الله لنفســه– فى ذلك– بين صــفتين متناقضــتين ؛ ولأن الله ليس كمثله شــيء في جميع صفاته؛ فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه.اهـ تفسيره لسورة البقرة آية 186 فوضوح وثبوت المعنى فى تمام الوجود والمعية فى الكتاب والســـنة أكبر وأقوى وأكثر من أن يهدمه فهم بشرى ضبابى غامض لآيات الاستواء على العرش!، وكان من الأولى – بكل المقاييس– مراجعة الفهم البشــرى لآيات الاســتواء على العرش، فهى وإن أثبتت وجود الله فوق العرش لم تمنعه من غيره، فإذا قلنا أن الماء يوجد فى الطابق العاشــر مثلا، فلا يعنى ذلك عدم وجوده بالطوابق الأدنى، بل ربما كان المقصـــود أن الماء (استوى) وجوده فى كل الأدوار، فلا بد من الدقة فى الاستدلال. وقد تأكد لنا التناقض عند من أثبت القرب ونفاه، وخاف من الاتحاد والحلول وآمن بالنزول، ونفى لفظ (الذات) وأثبته عند الصحابة والرسول !!

ثالثا : إلتباس العقيدة إلى حد الغموض التام والتناقض !

يؤكد مؤلفوا كتاب شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية فى طبعة خاصة لجماعة أنصار السنة فرع عابدين القاهرة، يؤكدون الاستقرار لله بذات فوق العرش بائن من وعن خلقه ص120، وفى تناقض عجيب فى ص55 قالوا (وهو سبحانه يجيء ويأتى وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه، فهذه أفعال له سبحانه على الحقيقة، والمجاز تعطيل !)، و كما جاء بكتاب قصة الخلق من العرش إلى الفرش (فخلق الله الإنسان على صورته، وعلى صورة الله خلقه ذكرا وأنثى) ص110 قد فهموا ذلك تشبيها ذاتيا جسديا محدودا منحصرا ثم قالوا: لكن بلا كيف !!!.

إن الكلام عن الله بذاتٍ مجسمة أو منحصرةٍ فى جهة بعيدة عن خلقه فى السماء أو فوق العرش، أو الذى خلق الخلق فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع !، هو كلام موروث عن محرفى الكتب السماوية السابقة، وحاولوا جاهدين توريثه لأمتنا كُلياً أو جُزئياً لإفساد عقيدتنا الثابتة بالقرآن والسنة حسدًا من عند أنفسهم. وفى ذلك الخطر الداهم فلنكن على حذر !، فما هى حجتنا عند ربنا حين يتجلى لنا وقد أبْعدْناه عن خلقه وهم فى أشد الحاجة إليه ؟! إن إبعاد الله عنا شيئا فشيئا لفساد مُدَمّر، ويتناقض مع صريح القرآن والسّنّة.. **فهل يتداركُ علماؤنا الأمرَ ويُبيّنوا ويُثبتوا حقَّ اللهِ له حتى ولو خالفوا فى ذلك بعضَ مشايخِهم ؟ أم أن الموضوع مازال فى نظرهم عديم الجدوى وقليل الأهمية ؟! اللهم افتح بينى وبين قومى بالحق وأنت خير الفاتحين، اللهم أسألك العون.**

بسبب الطعنات المستمرة منذ زمن بعيد وحتى اليوم، بات الكثيرون فى غموض حالك وعدم يقين من عقيدة الإسلام المحكمة الناصعة، فلا يكادون يعرفون أصل الأصول وفائدة الوصول للإيمان بوجود الله معنا !.. وإليك مثالا حيّا جاء منهم فى صورة سؤال :

س: وما فائدة أن يكونَ الله معنا بنفسه ؟.. أَلا يكفينا أن يكون معنا بعلمه ؟..

ولعل الرد على هذا السؤال جاء موفورا بفضل الله عزوجل فيما سبق، ولكنى أسأل: هل لنا فى وجود الله رأى أو اختيار؟! بل هل لنا فى وجودنا نحن رأى أو اختيار؟ وهل حاجتنا لله نفسه – الله نور لا تدركه الأبصار – لا تساوى حاجتنا لعلمه بنا أو لتعليمه لنا ؟! بل أيهما نحتاج أولا ليصورنا ويخلقنا فى الأرحام خلقا من بعد خلق وحتى بلوغنا ســن العلم والتعليم ؟! يد الله أم علم الله ؟! ومن أين لنا أن نفرق بينهما فى القرب والوجود معنا أو فى أى مكان ؟! وكيف يتكلم بذلك من يفهم معنى الواحد الواسع الأحد ؟ أو من يفهم فوائد اليقين فى قرب الله رب العالمين؟

لكنَّ أكثرَ الناسِ يُفضِّلون أن يعرفوا فلسفة العقيدة قبل الإيمان بها خصوصا إذا كانوا مولعين بالجدل والكلام، فلا بأس من تقديم هذه الجرعة، أقدمها لهم على مضــض عسى أن يكون فيها الشفاء والقناعة بما يساعدهم على تصديق الله ورسوله **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** !! :

فلسفة عقيدة القرب والمعية:

* تستمد فلسفة الإسلام وُجُودها وقوَّتها من حقيقة وُجُود الله وقوَّته، وإن كانت الفلسفة تبحث فى الحقيقة والجوهر والأصل والغاية والهدف، فلن تجد الفلسفة لها مجالا أوسع ولا أمتن من دين الإسلام بأصوله وفروعه. فإذا أخذنا أصلا واحدا من هذه الأصول ألا وهو (توحيد الله) عزّ وجلّ وحاولنا أن نطبق ذلك عليه لوجدنا أن اللهَ عز وجل هو الحق، وقرْبَه معنا واتســاعَه هو الحقيقة، ووحدانيته وتوحيده فى عُلوِّهِ وقربه هو جوهر الدين، أما أصل الدين فهو وحى الله إلى رسوله، وغايته أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا ولا أحدا، وهدفه إصلاح البلاد والعباد، ووسيلة الإسلام فى تحقيق الغاية والهدف كما هو مذكور آنفا هى بيان الحقائق الأساسية والضرورية الكافية للوصول بالإنسان إلى هذه الغاية وتحقيق هذا الهدف، ثم حفظ هذا البيان للناس طالما هناك بين الناس ولو إنسانا واحدا ينشد الحقيقة !

* ولأن الله هو الذى خلق الإنســان ويعلم مدى ضــعفه وقلة عزمه نحو بلوغ الغاية والهدف، ويعلم مدى جبروته وانفلاته نحو الاتجاه المُضَــاد !.. لأجل كل ذلك أكد الله عزّ وجلّ وبيَّن لنا فى أصــل الدين بكل ما فى اللغة العربية من أدوات التأكيد والتبيين

على أنه معنا وجها لوجه، معية حقيقية وليســـت مجازية تخيلية، يرانا ويســـمعنا من قريب، ويُعين من استعان به ويُعطى من سأله وينصر من ينصره، ويُيسر الخير لأهله ويُيسر الشر لأهله، كُلاً يُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطائه إنعامًا وإكراماً أو فتنة واستدراجًا. وقد جعل عزّ وجلّ هذا البيان بمثابة إعذار وإنذار، ولن يُترَك الإنسانُ سُدًى.

* وبالإيمان بالقرب والمعية تتم للإنســان الثقة الكاملة فى المراقبة والاســتجابة بحق، بل ويتم الذكر والنصر والحُب المتبادل بين العبد وربه بيقين كافٍ للوصول بالعبد إلى الغاية والهدف.. ولا يتفلت الإنسان أو يضل أو يشذ إلا بقدر تشككه فى قرب الله منه رغم أنه أقرب إليه من حبل الوريد، غرّه بربه أنه لا تدركه الأبصار!.. ولما كان للقرب والمعية كل هذه الأهمية للمسلم وتكوينه النفسى والعقائدى، لم تسلم عقيدة الإسلام من كيد الأعداء لها والمكر بها واستهدافها فى الصميم، فحاولوا دائما تأويلها والتقول فيها بالمجاز والخيال لإضعافها، وبالتالى إضعاف اليقين الذى يربط المسلم بالله من قريب. ومن ناحية أخرى حاولوا أن يتكلموا بتجسيم الله تعالى وتشبيهه بخلقه مغترين بالكلام عن يده ووجهه وعينه فيتقولون فيها قياسا على ذات الإنســان مخالفين فى ذلك أصــلا من أصــول العقيدة وهو أن الله عز وجل ليس كمثله شــيء. كما أن هناك من يدَّعون أن الله لو كان فى مكان لكان محتاجا إليه ولكان مشـــابها لخلقه وحالا فيهم ! وهناك من أوغل فى الغيِّ واستدل على عدم وجود الله معنا بملكية الله لأرضــه وســماواته !، ولو تعجبت من غرابة هذا الاستدلال فالأعجب والأغرب هو تفسيره لاستدلاله هذا بأن الله لو كان فيهما بنفســـه لكان مالكاً لنفســـه!!(أىّ كَلامْ فى الكَلامْ !!). فلو جاء هذا الكلام من بعض العوام، فكيف ينطلى على العلماء المؤمنين ورثة الأنبياء ؟!!

* إن عقيدة المســلمين فى الله ووجوده ليســت بالأمر الهين، إنها تســتحق من علماء الأمة الإسلامية فى أعلى مؤسساتها العلمية والرسمية أن يجتمعوا لوقف هذا التراجع، فالعقيدة هى أســاس الوحدة والتوحيد. وليس الأمر بعســير لو خلصــت النوايا وتوافرت الهمَّة العالية. وهذا فرض عين على كل منا أن يعرف ربه خالقه ورازقه ومحييه ومميته وباعثه للحســاب والجزاء. فهل لمن يقول أن " الله معنا بعلمه لا بذاته " أن يقول لنا ما

هى كيفية ذات الله وما هى كيفية علمه ؟ هل علم الله فى كيفيته هو من مثل هذه الكتابة والورق وأدوات الحفظ الذهنية أو الوسائطية عند الإنسان ؟ بالتأكيد لا.. لأن الله ليس كمثله شيء. وهل له أن يقول لنا شيئا ولو يسيرا عن كيفية الله وكيفية وُجُودِه هنا أو هناك أو أينما يحلو للمتقول أن يختار ؟!، هل لهذا المتقول أن يشـــرح لنا كيف يخلق اللهُ بيديه ؟ أو كيف يُحيي الله الموتى أو كيف يتوفى الأنفس حين نومها أو موتها ؟!، فإذا عجز عن الإجابة – وهذا أكيد – فعلى أى أســـاسٍ عِلمِيّ (كَوْنِيّ أو شــرعِيّ) قال مقولته ؟!، وهل يعلم أن مقولته هذه هى ذبح لحقيقة القرب والمراقبة فى صــــدور الناس ؟!، هل يعلم أنه بذلك قد كذب على الله وكذَب الناس وخدعهم؟! – **عذرا، فلقد تأكد عندى أن الله معنا بنفسه كما نرى فى هذا الكتاب** –. إن أمَّة تريد أن تنهض نهضة رسول الله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصَحْبِهِ لابد أن تؤمن بالوحى بما يؤكد القرب والمعية. إنّ كلام المتأول بهذا التقوّل (الله ليس معنا بذاته) ليس من التأويل المباح، فالتأويل له ضوابطه ولا اجتهاد مع النص، ولا كلام فى الله بغير نص، بل إن تقولهم هذا فيه تجاهل لأسماء الله الحسنى التى جاءت فى القرآن والسنة، وتقوّلهم هذا يجب ردُّه.

والآن وبعد أن تبين للجميع أن الكيفية لا طاقة لنا بها، ولم يُحَمِّلنا اللهُ واجبَ البحثِ فيها – ولو شـــاء لفعل ولما اســـتطعنا –، إذاً لَمْ يَعُدْ أمامنا غير الرجوع خاشـــعين منصتين إلى الحقائق التى جاءت فى كلام الله عزّ وجلّ وكلام رسوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ. رواه البخارى

والحديث يُظهر معية الله للمؤمنين حقا – اللهم اجعلنا منهم آمين – ويعطينا تفصيلا للخُلة والولاية، وهذا ثابت ومعلوم من الدين بالضرورة، يجعل اللهُ أنوارَه بين يدى أخلائه وأوليائه فيُصبحون ويُمسُون وقد أتم ربُّهم لهم نورَهم كما يذكر الحديث القدسى وكما جاء فى القرآن الكريم، ولا نزيد عليه ولا ننقص منه. وتمام هذا النور هو أهم ما يُميز عصر النبى **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه عن القرون اللاحقة. وإن حق للأنبياء الكلام عنه فى أنفسهم فالأولياء (كل مؤمن حقا ولِىّ) و(أولئك هم المؤمنون حقا) لا يتكلمون عنه فى أنفسهم بل يجتهدون فى ستره. فالخُلة فيض من نور الرحمن ذى الفيض العميم وتجلى به، والفرق بينها وبين الحلول والاتحاد أن الخُلة فيض من نور الرحمن ذى الفيض العميم وتجلى به على الإنسان وقدراته، كما أفاض وتجلى على نبيه محمد **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بنوره فما كان يظهر له ظل، وكان يخفيه عن أعين المشركين فلا يدركونه وهو أمام أعينهم، ويبطش بأعدائه ويرميهم بيده ورميته، كما أحيا الموتى وأبرأ الأبرص بيد عيسى عليه السلام، وكان ينير للصحابة فى الظلمات ولو مِن عَصاً بيد أحدهم كما جعل عصا موسى حية تسعى وثعبانا مبينا، وكما رأى به عمر بن الخطاب سارية والجبل، وكما سمع به سارية نداء عمر!. أما الحلول والاتحاد فلا يلزم بل ومستحيل فى حق الله لأن معناه أن المخلوق استغرق الإله بحيث يُقال أن هذا هو ذاك – سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا واتسع اتساعا عظيما واقترب اقترابا شديدا.

وفيما روى البخارى فى الذكر (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ قَالا حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). ويجب أن نتأكد أن معية الله للناس ليست مترتبة على الذكر، بل هو معهم كافة ودائما. إنما المترتب على ذكر العبد لربه هو ذكر ربه له وتجلياته الخاصة

وهدايته له، بمعنى أن تكون المعية لصالحه، ولكنه مع غيره يشهد عليه ويعرض عليه الفتن عودا عودا، كقوله { إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء}الأعراف155 وقد أفلح من زكّى نفسه وقد خاب من دساها، من هنا كان خوف أبى بكر من مكر الله.

رابعا : عقيدة الإبعاد لها أضرار على الناس وحياتهم :

كيف يأنس الناسُ – والأنس يكون بالنفس – كيف يأنسون بذاتٍ ليست إلا هناك بعيدا عنهم فى مكان لا يعلمون عنه أيَّ شيء، ولا سبيل لهم للوصول إليه ؟! وأُنسُ العبادِ بمعبودِهم ضرُورِى، وافتقادهم له قد يؤدى بهم إلى ما يلى :-

- **الشرك**، فلا مفر من البحث عن أنيسٍ قريبٍ عِوَضاً عمّن يفتقدونه.. هذا ما فعله عبَدَةُ الأصنام والأوثان، اتخذوها **لتقربهم** إلى الله. وعبدة الأنبياء، عبدوهم لمعجزاتهم، حيث اعتقد البعض أن الأنبياء هم **الفاعل** لها !. أو كما يعتقد البعض فى الأولياء إذ يَسنِدون إليهم أفعالَ اللهِ مثلَ تصريفِ شؤون الكونِ !
- **يصبح من السهل أن يدّعى أحد الناس الألوهية** حتى ولو كان طوله شبرًا وعرضه شبرًا !، وذلك لأننا فككنا لهم الربط بين مكان وجود الله عزّ وجلّ ومكان أفعاله، وتغافلنا عن إتساعه المطلق! – رغم حكم الله ورسوله **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على من قال مُطرنا بنوء كذا بالكفر، ولمن قال مُطرنا بفضل اللهِ ورحمته بالإيمان.
- **الأمراض** العضوية والنفسية – مثل الإكتئاب – يحار فيها الطبيب الحاذق، وربما يصل الأمر إلى الجنون أو الانتحار !.
- **انصراف الإنسان عن الدين** لأنه افتقد هذا الأنس، فيتحول إلى كائن لا دينى مُلحد تتخطفه شياطين الجن والإنس، لأنه لا يعرف أين ربه أو اعتقد خطأ أنه بعيد !.
- **تفشى الرذائل وسوء الأخلاق** بسبب الشك فى قرب الله ومراقبته لهم فى السر والعلانية.
- **إطلاقهم تفسيرات ظنية من عند الناس لآيات العقيدة أوْجَدَ شُبْهَةَ تضارُبٍ فى القرآنِ والسُّنةِ.** – سبق بيانها والرَّد عليها.

– **غياب المراقبة والتقوى** : إنَّ ما تطالعنا به الصحافة ووسائل الإعلام يوميا وعبر العالم من جرائم تُرتكب فى حق المال العام وتمس الشرف والأمانة وتزعزع الثقة والسلام والأمن الاجتماعى وغيره، كلها جرائم سلوكية وأخلاقية مرَدُّها إلى قناعات مرتكبيها وحُبِّهم للعاجلة الفانية ونسيانهم للآخرة الباقية. ويوم الحساب فى الآخرة لم يأت بعد، ولا نستطيع أن نقول للناس أنه معهم الآن فيخافوه، ولكن من الممكن أن نخوفهم بشيءٍ من عاجل العذاب المحتمل وقوعه للمسيء فى الدنيا، ولكن هذا لا يُجدِى إلا إذا آمنَ الناسُ بوجودِ اللهِ وقربه معهم حقيقةً وأنه لهم بالمرصاد كما قال عزّ وجلّ { إن ربك لبالمرصاد }الفجر، وتنمية هذه القناعة وهذا الإيمان لدى عتاة المجرمين فضلا عن عامَّة الناس أمْرٌ يسيرٌ ونتيجته فى الإصلاح مضمونة بنسبة تقترب من المائة فى المائة خاصّةً إذا تكاتف المجتمع بكافَّة مؤسساته فى العمل الجاد المخلص لتربية الناس على هذه القناعة وهذا اليقين. إنهم كانوا يخوفوننا فى الصِّغَرِ من وجود (الغُولةِ) فى المكان – وهى أكذوبة – وكُنَّا نخافُ ونرتدع.. ولما كَبُرنا وعرفنا أنها أكذُوبة لم يعد لها أثر على نفوسنا، كذلك الشك فى وجود الله معنا فى كل مكان يزيل الرهبة والخوف منه ؛ فلا مفرَّ من وقوع الجرائم إلا بإيمان كامل بوجودٍ كاملٍ قريبٍ لله عزّ وجلّ مع الإنسان لردعه عن غيه. وأدعو القارىء الكريم أيّا كان مجاله وتخصصه ليبحث بنفسه أثر غياب عقيدة القرب والمعية بحقيقتهما على الأنس بالله ومحبته، المراقبة والتقوى، الأخلاق والسلوك، الأسرة والمجتمع، حب الدنيا والحرص عليها بأى ثمن، تفشى الأمراض النفسية والعضوية، صد الناس عن ربهم، تأخر النصر والتمكين، وأخيرا خطر سوء الخاتمة والعياذ بالله. وكم يشعر المؤمن بالمرارة والأسى لعدم فطنة الكثيرين إلى ذلك الأثر !، ولتجلية هذا الأثر ينبغى توجيه البحوث العلمية الجادّة نحوه... **فكيف يُطلَبُ من الناسِ تحقيق نتائج لا تتأتى إلا من معيةٍ حقيقيةٍ، فى حين أن المناهج التعليمية الرسمية تعلمهم أن المعيَّةَ مجازيَّة تخيُّليَّة اعتباريَّة ؟!، رغم أنَّ النبىَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ الرؤيةَ مجازيَّةً ولم يَجْعَلْ القُربَ مجازيّاً.. نعم هذه فائدة دقيقة ورقيقة جدًّا نلحظها فى قوله صَلَّى الله**

عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ فى تعريف الإحســان بأنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراه.. ولم يَقُلْ : كأنَّهُ مَعَكَ.. إنَّمَا هذا لأنَّه مَعَنَا حَقًّا لا مَجَازًا.

ونســألُ – مرةً أخرى – الذين يُحصِــرون ذاتاً للهِ تعالى فوق العرش ويمنعونها من الأرض.. والسؤال مُوجّه للسَّلفِ منهم والخَلَفِ :

هل رأيتم ذاتاً للهِ ربنا ؟ هل رآه منكم أحد ؟!.. وهل لنا ولكم من ســبيل لمعرفته غير القرآن الكريم وسـنة النبى **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** ؟.. وهل لكم أن تتكلموا فى ذاتٍ لله وتخصصوا لها مكاناً خارج السماوات والأرض؟! ءآلله أمركم بهذا؟ أين ومتى ؟!..

إن الله عز وجل لم يقل أنه من عالم الملكوت، أو من الحآفين من حول العرش، وإنما قال عزّ وجلّ أنّ المُلك والملكوت لـه، وهو معهم جميعا، فملكيتـه للجميع، ومعيتـه للجميع، وقد عرفنا عزّ وجلّ على نفســه بقوله (وأنا الدهر)، فهل الدهر يبعد أو يغيب عن شيء أو يَحِلُّ فى شيء أو مثله شيء ؟ هل نعلم له ذاتا أو كيانا ؟ هل يغلبه أحد أو يفلت منه أحد ؟. ويبقى هو الســر الأعظم.. لا يعرف حقيقته إلا هو عزّ وجلّ تبارك فى علاه و قربه واتســاعه وأحديته وواحديته وعظمته. إن المخلوقات جميعا كلماته، صــورها بنفســه، خلقها بأياديه، قائمة وممســوكة به نفســه من وراء حجاب، أخبرنا بذلك صراحة، تسبح وتسبّح وتستجيب بحمده، فمن هذا الذى يجرؤ على نفى وجوده معها ؟.. إن النفوس المؤمنة المطمئنة تعرفه جيدا، بدليل أنها تتعرف عليه عزّ وجلّ فى الآخرة عندما ينادى المنادى : ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد كان يعبد من دون الله شــيئاً إلا مُثل له آلهته بين يديه، ثم قادتهم إلى النار حتى إذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون قال الله جل ثناؤه : أيها الناس ذهب الناس، الحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون : والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبد إلهاً غيره، وهو الله ثبتهم، ثم يقول لهم الثانية مثل ذلك : الحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون ؟ فيقولون مثل ذلك، فيقال: هل بينكم وبين ربكم من آية تعرفونها ؟ فيقولون نعم، **فيتجلى** لهم من عظمته ما يعرفونه أنه ربهم فيخرون له سجداً على وجوههم ويقع كل منافق على قفاه ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر–

أى المنافقين– لا يستطيعون السجود.[1] هنا لا ينفع إلا الإيمان الحق الذى أَمَرَ اللهُ به دون سواه.

نعم.. بين المؤمن وبين ربه آية يعرفه بها، فهل بحث كلٌّ منَّا عن هذه الآية ؟. وأنبه مرةِ أخرى هنا إلى وجود الله نفسه مع المؤمنين فى الآخرة يخاطبهم ولا يرونه، فلما **تجَلَّى** لهم رأوه دون سفر أو انتقال، كذلك هو معنا الآن أمامنا وخلفنا وحولنا وفوقنا، تَذكَّرُوا هذا عنِّى يوم القيامة.. **إِنَّنِى أُرِيدُ أن أُخَفِّفَ مِنْ هَوْلِ المفاجَأةِ آنَذَاكَ باسْتِعْدَادٍ جيِّدٍ لَهَا مِنَ الآن.** اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم مع نبينا محمد **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وآله وصحبه.. آمين.

يا عباد الله قوموا لله مثنى وفرادى وتفكروا قبل فواتِ الأوان، يجب أن لا نغرق فى الخلافات المذهبية حتى الموت، فقد يكون منهم من غم عليه، وقد يكون منهم من تعجل بالرأى الفطير، والكُل يُؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. هيّا نسموا فوق الخلافات ونأخذ عقيدتنا من النبع الصافى، نبعثها للعالمين من جديد ناصعة متفردة غضة رطبة كما أنزلت.

وكثير هو ما تكلم به الناس فى الغيب، وليس فرضا علينا أن نقرأه كله لنعلم أنه تخرصات، فيكفينا تناول قطرة واحدة من ماء البحر لنعلم أنه أجاج، وليس علينا أن نتجرَّعَه كله لنتأكد من ذلك. فيجب أن يتفق علماء الأمة على عقيدة الوجود الواسع المطلق لله عز وجل، لأنها عقيدة القرآن والسنة حسب ما جاء بهما من عِلمٍ يقينِيٍّ باللغة العربية دون غيرها من اصطلاحات تلفيقية، عقيدة الأنبياء والمرسلين. وعلينا تبليغها للناس كافَّةً ليلاً ونهارًا فى لينٍ وتودُّدٍ ورغبةٍ أكيدةٍ منا فى هِدايتهم كما فعل رسول الله **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى يكونوا على علم اليقين بأن الله معهم حَقًّا ومع جنوده الذين لا يعصون له أمرًا ويفعلون ما يُؤمرون. ساعتها سيعلمون أنهم ليس بينهم وبين الله إلا أن يكشف لهم عن وجههِ الكريم فيرونه عَياناً، ولكنه عزّ وجلّ أَجَّلَ ذلك ليوم الدِّينِ، يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سَليم. وساعتها أيضا

---

[1] تفسير ابن كثير لقول الله عز وجل (يوم يكشف عن ساق) سورة القلم.

سـيعلمون من هم الذين يجرونهم والعالم أجمع إلى الدمار والهلاك، سـاعتها سـنقول: جاء الحقُّ وزَهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهوقا. إن ما نراه من أعاصـير وزلازل وبراكين وحرائق وخسف ونسف ونسميه بغضب الطبيعة ما هو إلا من تجليات الله ومجيئه بما يشـــاء ومتى يشـــاء كما تجلى للجبل فاندك، هو مُنزَّهٌ عن الخطأ والظُّلم، وهى آياته ويأتى فيها:

قال عزّ وجلّ {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِـــيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ }**البقرة:210**، إن هذا الغمام لا يأتى وحده، بل يأتى به اللّهُ، فهو مع جنوده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، إنهم جميعا بيده وهو معهم ينصـــر من ينصـــره، إنهم ليســوا بديلا ولا بعيدا عنه، إنهم أفعاله – ولو عرفناهم كأســماء – يُفَعِّلُهُم ويُحَرِّكُهم اللّهُ كيف يشـاء وله فيهم المشـيئة الفعَّالة النافذة. ولولا أن الله قد وهب الناس حيوية وعقلا واختيارا ليُبدى لهم ما فى نفوسـهم لكانوا كالعرائس الخشـبية فى يده عزّ وجلّ كغيرهم من الأشــجار والأحجار، ولا أدرى بأى حق ينكرون وجود الله نفســه معهم !، إنـه الإيمـان كمـا أمر بـه الله، أمَّا الإيمـان كمـا يهواه أو يتوهمـه النـاس فليس بإيمان. إنه لا ينبغى لأهل القول بالمجاز أن يشــمروا هنا عن ســواعدهم لأنهم ليســوا على شــيء غير الظن، والظن غير مقبول فى العقيدة. ويجب ألا ننســى أن الصــحابة الأجلاء بلغوا الدرجات العُلى حتى البشــــارة بالجنة، دون أن يقولوا بهذه التفســــيرات المُخِلة والمُعَطِّلَة لحقيقة القرب والمعية، وهذا يؤكد لنا انتفاءَ أيَّةِ ضــرورةٍ للقولِ بها، بل ويؤكد لنا ضرورة أخذ حقيقة القرب والمعية مأخذ الجِدِّ.

والله إن الأمَّة الإســــلامية خُدِعَت طويلا، والله إذا آمنّا بأن الله معنا حقا معية تليق بجلاله وكماله، وأنه نور الســـماوات والأرض، ولا تدركه الأبصــــار، وأنه ليس كمثله شـــيء – وهذا حقه علينا، لحقق لنا وعده. وليس لأىِّ قوة فى الأرض ولا فى الســـماء مهما بلغت أن تعجز الله، ولكنها تعجز العاجزين عن نصرة الله فى كتابه وسنة رسوله **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ**. وإذا كنا نحن المسـلمون ننظر إلى الأمم الأخرى على أنهم قد خُدِعُوا فى عقائدهم، فإننى والله أخشـى أن نكون قد أصـابنا شـيءٌ من ذلك !! – لِمَ لا

والشيطان لا يهدأ له بالٌ حتى يُغْوِىَ الناسَ ؟! وها هو الخلاف بينهم واضحٌ لكل ذى عينين ! إننى لم أتناول المسألةَ إلا لمعالجةِ هذا الخلاف الواقع بين العلماء المتخصصين، وهو خلاف فيما لا يجوز فيه الخلاف. فهل راجَعَ كلٌّ منَّا عقيدتَه ؟.. إنَّ هذه المرَاجَعَةَ أصْبَحَتْ وَاجِبًا وفرضًا.. ومَاذَا عَلَيْنَا لَوْ فَعَلْنَا ؟.. فإمَّا العُدُولُ إلى الحَقِّ.. وإمَّا التَّيَقُّنُ مِنْهُ !!.

وهل يجوز للعلماء المتخصصين – مع اختلافهم هذا – أن يشهروا فى وجه كتابى هذا سيف التخصص ؟ ولو كانوا على الحق مع اختلافهم هذا، فأين هم من النصر والتمكين كما وعد الله المؤمنين فى قوله عزّ وجلّ { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } الآية 55 سورة النور.

لا والله.. إن امتناع البعض عن التسليم بحقيقة قرب الله نفسه مع خلقه، تسبب فى إصابة العقيدة عندهم بما يشبه إصابة الجهاز العصبى بالتهتك والشلل !!.. فلا تواصل بينهم بشكل نافع وفعال إلا إذا أبصروا بنور الله وسمعوا بنور الله، فكانوا كالجسد الواحد فى المودة والتراحم والتواصل.. لم ولن يكون ذلك متحققا فيهم إلا بالإيمان الجازم فى جهاز عصبى واحد يغمر جميع القلوب فتتوحد فيه، وترى وتسمع من خلاله.. فانظر إلى الناس اليوم وقد رفضوا الحياة بهذا الإيمان مخافة الحلول والاتحاد ؟!!.. يا قومنا أجيبوا داعى الله ولا تخافوا من حلول أو اتحاد، فالله مع الجميع فى كل مكان باستقلالية تامة، بكيفية لا يمكن للعقل البشرى تصورها، ولا يمكن للأبصار أن تدركه.

وبعد..

إن عقيدة قرب الله واتساعه المطلق هى عقيدة يتفرد بها المسلم ويتميز بها عن غيره، فهى تهم المسلمين فردًا فردًا، فلا ينبغى لمسلم أن يظن أن أمْرَها لا يعنيه. ويَسَعُنا

فيها ما وَسِـعَ النبىَّ **صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ** وأصـحابَه **رضـى الله عنهم** فى اللَّفظِ والمعنى، فلا نتكلم بلفظٍ لم يتكلموا بـه فى العقيدة ؛ لأن أى انحراف عنهم يؤدى بنا إلى التطرف الدينى والفكرى الذى يمزق الأمة.[1]

تعـالوا نتفق على ترك التطرف والانحراف، ونؤمن بقرب الله معنـا حقـا، ونجعلـه هو السبب الأسـاسِ لكُلِّ ما يُوَصِّـلُ المسلمَ للفَلاَحِ فى الدنيا والآخرة. فإذا اتفقنا على ذلك – وأرجو أن يكون عاجلاً – لم يَعُدْ أَمَامَنَا إلا العمل والعمل والعمل بكلِّ ما أمَرَ اللهُ به. والنتيجةُ لاّ شَـكَّ فيها إلا عند مَنْ يشـكُّ فى كلامِ الله ووعدِه. ولو تأخرت بعض الوقت، ولو بذلنا فى سـبيلها أنفُسَـنا وأموالَنا فلا بأس، لأنَّ الله اشـترَى مِن المؤمنين أنفسـهم وأموالهم بأنَّ لنا الجنَّة. والنتيجةُ هى إحْدَى الحُسْـنَيَيْن. وليس مِن أخلاقِ المؤمنين أن يختاروا إحداهُمَا على الأُخْرَى.. بلِ اللهُ هو الذى يختار لهم.

والله المستعان ونسأله السداد والتوفيق،

تم بحمد الله وتوفيقه،،،

محمد إسماعيل جبر

ت 0101949291

---

[1] يراجع فى ذلك مجلة الطب النفسى الإسلامى (النفس المطمئنة) ص10 العدد/40/أكتوبر1994حيث جاء فيها تعريف التطرف الفكرى (هو أن ينغلق الشخص على فكرة معينة ولا يقبل المناقشة أو إعادة النظر فيها ويعتبرها من الثوابت المطلقة، وهو فى هذه الحالة لا يلغى وظيفة عقله فقط، بل إنه يلغى أى رأى آخر مخالف، ولا يسمح له أن يدخل مجال وعيه فضلا عن أن يتقبله أو يناقشه). جاء ذلك تحت عنوان " شخصية المتطرف، وشخصية الداعية " كتبه أ. د / محمد المهدى

أَهَمُّ النتائجِ التِّى خَلُصَ إليها هذا الكتابُ

1. الله فى حقيقتِه نورٌ لَطيفٌ سُبُّوحٌ وَاسِعٌ واحِدٌ لا تُدركُه الأبصارُ وهو يُدركُها، ليس كمِثلهُ شيءٌ وهو السَّمِيعُ البَصيرُ، يسمعُ من قريبٍ، لا حَدَّ يَحُدُّه، وحِجَابُه نُورٌ نوعِيٌّ لا مَكَانِيٌّ ولا يُبعِدُه عن خَلقِه. وتنزيه الله موقوف لله وحده، وليس للعقل العاجز دور فيه.

2. {المكان} هو الموقع، منه المُطلَقُ ومنه النِسْبيّ، والأول يشمل الثانى، والثانى نِسْبيٌّ لنسبته إلى أحد المخلوقات إذْ يوجد فيه المخلوق ويشغله فيدل المكان النسبى على موقع وجود شاغله بالنسبة لباقى الموجودات، ويتشكَّلُ المكانُ (وهْمِيًّا) بشكل المخلوق الذى يشغله ويتحجم (وهميا) بحجمه. والمكان النسبى ليس من المخلوق الشاغل له فى شيء، بل إن المخلوق يستبدله باستمرار بسبب سباحته وسيره فى مداره كالكواكب والنجوم تترك موقعاً لتشغل غيره. وبمجرد فناء المخلوقات تنتهى هذه النسبية الوهمية الصورية للمكان النسبيِ ليبقى المكان مُطلَقًا وَاسِعًا لا حد له، لا يوجد فيه غيرُ اللهِ النور الواسع بلا حد. والمكان المطلق بهذا المفهوم هو مجرد صفة اتساع لنور الله عز وجل ؛ فقد جاء على الخلائق جميعا الفناء وبقى الله واسعا فى مكانه المطلق – {العماء} كما فى الحديث الشريف. ولم يثبت وصف المكان بأنه مخلوق.

3.{الزمان} هو مدة بقاء الشيء، مِنه المُطلَقُ ومنه النِسْبيّ، والأول يشمل الثانى، والثانى نسبى لنسبته إلى أحد الحوادث، إذ يوجد فيه المخلوق ويتحدد (وهميا) بدايةً ونهايةً بطولِ بقاءِ الحادث ليدل على مدة وجوده منسوبا لباقى الموجودات، وهو ليس من المخلوق المنسوب له فى شيء، بل إن المخلوق يفنى ولا يفنى زمنه. وبمجرد فناء المخلوقات تنتهى هذه النسبية الوهمية الصورية للزمن النسبى ليبقى الزمن مُطلقًا وَاسِعًا مُمتدًّا لا حَدَّ له من أولٍ أو من آخرٍ منسوبًا لله النور الواسع الباقى بلا حد، والزمن المطلق بهذا المفهوم هو مُجَرَّدُ صفة بقاءٍ لنورِ اللهِ عز وجل. ولم يثبت وصفه بأنه مخلوق. فقد جاء على الخلائق جميعًا الفناءُ وبقى اللهُ واسِعًا أوّلاً آخِرًا ظاهِرًا باطِنًا معًا، فهو {الأبدُ الدَّهرُ} فى اتساعٍ مكانيٍ وزمانيٍ لا ينقطع أبدًا. أما الليل والنهار فهما

ظاهرتان كونيتان جعلهما اللهُ المقيتُ آيتين لنعلم بهما عدد السنين والحسابَ، ولو شاءَ اللهُ لقبَضَهُمَا، وعلاقتهما بالدَّهر علاقة المخلوق بخالقه.

4. وجود نور الله الواسـع المطلق لا يتعارض مع وجود المخلوقات ولا يضـره شـيءٌ منها. بل إن من المخلوقات المختلفة ما لا يتعارض وجودها ولا يتزاحم ولا يضـرُّ بعضُـه بعضًـا عند الوجود فى مكان واحد، مثل الملائكة يمرُّون من البروج المشـيدةِ. وبذلك يبطُل الكلام بالحلول والاتحاد لأنه ظنٌّ وتخمينٌ ولا يسـتند إلى تجارب معملية كونية ولا إلى عِلمٍ قطعِيٍ شرعيّ لدى أصحابه بحقيقة الله نور السماوات والأرض الذى لا يعرف نفسه إلا هو.

5. قضـت الضـرورة عند فريق إثبات المكان لله بقبول تسـمية ما فوق العرش **(مكانا)**، إلى جانب الاتفاق على تسـمية السـماوات والأرض والكرسـى والعرش **(مكانا)**، وهكذا أصبح المكان **(مطلقا)** لا حدود له ليتلاقى مع قول الأشاعرة بـ**(الوجود المطلق)**. وهنا يجب على الجميع التسـليم بإثبات هذا المكان المطلق لوجود الله المطلق حيث ثبت بطلان الكلام باسـتحالة وجود الله داخل الأكوان. وهذا التوفيق بين المذاهب مهمة علمية مقدسة يجب على العلماء إنجازها.

6. الأسباب والنواميس الثابتة فى الكون ما هى إلا {أفعالٌ}حقيقية لله عزّ وجلّ وليست فاعلاً، قضى اللهُ أن تكونَ ثابتةً لا تتخلف غالباً حتى يُمكِنَ للناسِ ترتيب حياتِهم على أسـاسِـها، ولو غيَّرَها الله باسـتمرار – وهو قادِرٌ – لاسـتحال انتظامُ الحياةِ في هذا الكون، فهذه حكمته سـبقت قدرته. ومع ذلك يأتى الله بما نعرفه بالمعجزات والكرامات يفعلها الله بنفسـه إثباتًا لحقيقة وجوده الواسـع وفى مكانٍ وموقعِ حدوثها، وإثباتًا لطلاقةِ قدرتِه، وإكرامًا لمن يُجريها اللهُ على يديه.

7. أدلَّةُ العلوِّ والفوقيَّةِ والاسـتواءِ مع أدلَّة القربِ والمعيةِ هى جميعُها أدلَّةُ اتسـاعٍ فى استواءٍ واستواءٍ فى اتساعٍ لله نفسه (نور الله) عزّ وجلّ. ومعيةُ اللهِ وقربُهُ حقٌّ ثابتٌ مع الجميع، ولكن تختلفُ أفعالُه للمؤمنين عنها للكافرين. ولن يُفِيدَ المسـلمينَ بشـريعته ما

لَمْ يُؤمِنُوا به كما أمَرَ هُوَ وأخْبَرَ، فالتوفيق للعملِ بالشريعة جائزةٌ كُبرَى يُسَلِّمُها اللهُ لمن آمَنَ وأحسن الظنَّ بالله وصَدَّقَهُ.

8. {سُبْحَانَ اللهِ} دليلُ اتساعٍ مُطلقٍ لنورِ اللهِ – حقيقة نفسه –، كذلك {لا حول ولا قوّة إلا بالله}.

9. لنْ نَستطِيعَ أن ندعُوَ النَّاسَ إلى الإسلام فيدخلون فى دين الله أفواجًا عن فَهْمٍ واقتناعٍ كامِليْن إلا من خلال عقيدة القرب والمعية والاتساع المطلق، لأن غيرها تغييب وتحييز وتشبيه وتعطيل. وإثبات الأين لله لا يتوقف على معرفة الكيف فى شيء، وليس فيه قياسٌ أو تشبيهٌ للهِ بشيءٍ.

10. أفعالُ اللهِ القريبة معنا وفى أنفسنا دليلٌ أكيدٌ وجازمٌ على حقيقة المعية، {الفاعل عند فعله} هذا هو الأصل، ومن يفترض غيرَ ذلك واهمٌ ولا دليلَ قطعيَّ لديه على وَهْمه، والوَهْمُ هنا ضعفٌ فى العقيدةِ والإيمانِ يستوجبُ التوبةَ الفوريةَ العاجلةَ والاستغفار وإصلاحَ القلبِ ليَسْلمَ.

11. وَجْهُ الله ويدُ اللهِ وعينُ اللهِ وقبضتهُ وأصابعه يذكُرُها اللهُ كنايَةً حقيقيةً عن وجودِه الكاملِ معنا بلا غيابٍ أو استثناءٍ. وذِكرُها ورؤيةُ الإنسانِ للهِ فى المنامِ لا للتشبيه ولا للمثلية، لأنَّ رموزَ الرُّؤيا ليست لرَسْمِ هيئَةٍ أو صورةٍ حقيقية، ألا ترَى السَّبعَ بقراتٍ وقد جاءتْ فى الرؤيا رمزًا للسَّبْعِ سنواتٍ؟ لأن السنواتِ لا هيئةَ لهَا، واللهُ يرمُزُ لنفسه بأكرَمِ مخلوقٍ يعرفه الإنسانُ أىْ بصورةِ الإنسانِ نفسِه. وما قال ب{الذَّاتِ} وبالإستقرارِ فى حقِّ اللهِ تعالى إلا من نظر إلى جسده وهو يسمع أو يقرأ عن اللهِ الوجه واليد والكرسى والعرش فشَبَّهَ اللهَ بخلقه وهو لا يدرى!. ومذهبُ الصَّحابَةِ هو عدمُ التفكيرِ فى {الكَيْفِ}، وإثباتُ {الأيْنِ} مُطلقًا للهِ.

12. مُصطلح {الذّاتِ العليَّةِ} للهِ تعالى خطأٌ لُغَةً وشرعًا كما قال المُحَقِّقُون عند ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى ج13ص381 لأنه يُشبِّهُ ويحَيِّزُ ويُغَيِّبُ، ويجب علينا أن ندعوَ الله ونسميه بأسمائه الحسنى ولا نُلْحِدُ ولا نلحَنُ فيها.

13. ظهورُ الشِّــــرْكِ وادَّعَاءِ الألوهيَّة، وكثرةُ ظهورِ الأمراضِ النفســـيةِ والعصـــبيةِ والانحرافاتِ الســـلوكيةِ الأخلاقيةِ الســـلبيةِ كُلُّها نتائجُ مُتوقعةٌ لعقيدةِ الإبعادِ والتغييبِ والقول بالمعيةِ المَجَازيَّةِ ؛ كيف نطلب من الناسِ نتائجَ لا تتأتَّى إلا من معيةٍ حقيقيةٍ فى الوقتِ الذى نُعَلِّمُهُم أنَّها خَيَال ؟!

14. لا تعارض بين عقيدة القرب والمعية حقيقةً وبين تكليف الله للناس بالعمل ووجوبه عليهم.

15. الإنسان ليس خليفةً للهِ فى أرضه، فالله لا يَخْلُفُه أحدٌ، وإنما الإنسانُ خليفةٌ لآبائه وأجداده ومن سبقوه.

16. عبارةُ { إنَّ اللهَ معنا بعلمه} عبارة صـــحيحة تثبت المعية وتفوض الكيفية لله، ولا تقضـى بغيابِ الله نفسه أو بُعْدِه بذاتٍ عنَّا لغةً أو شرعًا، وهى تفضحُ كَلامَ من أَرادُوا بها معيَّةً مَجَازيةً.

17. الكلامُ بالبينونة لله من وعن خلقه، وعدم احتواء السماوات والأرض لله عزّ وجلّ، يُمكِن تفهُّمُهُ دون تصادمٍ مع عقيدةِ المعيةِ الحقيقيةِ. أمَّا البَيْنُونة – وتعنى الاستقلال– فهى نوْعِيّةٌ وليست مكانية ولا تقضـــى بالابتعاد، وأمَّا عدم الاحتواء فهو صـــحيحٌ لأنَّ اللهَ أكبرُ وأوســـعُ، وهذا نفىٌ للاحتواءِ والتحديد وليس نفيًا للوجودِ الحقيقى مع الكون وخارجه، والبَتُّ فى هذه المســـألةِ بالقول بضـــرورةِ الابتعاد يتطلب المعاينة ومعرفة الكيفية ولا سبيل لمخلوقٍ إلى ذلك. ومع ذلك فكلامُ البشر يُضـرَبُ به عرضُ الحائطِ لو تعارضَ مع الأدلَّةِ القطعيةِ للمعيةِ الحقيقيةِ فى الكتابِ والسنّةِ.

18. عِلَّةُ تحريم الرِّبَا لها عَلاقة وثيقة بعقيدة المعية الحقيقية، فهى تُوَضِّـحُها وتتضِـحُ بها.

19. على مُنكِرِى البعثِ رؤيَـةُ البعثِ الآنَ بأَعْيُنِهم عند دودة القزِّ إذ تُقْبِرُ نفسَـــها بنفسِها فى قبرها – الشرنقة – لتموتَ ثمَّ تُبْعَثُ خَلْقًا آخَرَ طائِرًا يطيرُ بجناحيه.

20. يجبُ على كلِّ مُسْلِمٍ بل كُلِّ إنسانٍ الآن وفورًا مراجعةُ عقيدتَه فى اللهِ للتَّيَقُّنِ من قربه ومعيته واتســاعِهِ حقيقةً. والأصـــل فى العقيدة ليس { إنَّا وجدنا آباءَنا..} ولكن أصل العقيدة هو { قولُ اللهِ **عزَّ وجلَّ** وقولُ رسولِهِ **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** }.

مناقشات علمية حول ما جاء فى هذا الكتاب

وإنه لمن المفيد أن نأتى هنا بما تيســـر من مناقشـــات علمية حول ما جاء فى هذا الكتاب. فإلى بعض المقالات التى كتبها الناقدون له، وكيف تم الرد عليها، لعلها تؤكد لنا حاجتنا الماسة له :

أولا : فى مقابلة شـــخصـــية مع فضـــيلة أ.د/ محمد المختار المهدى الرئيس العام للجمعيات الشرعية وأستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر، وفضيلة أ.د/ رضا الطيب – الأمين العام للجمعيات الشـرعية / بمقر الجمعية الشـرعية بشـارع صـلاح سـالم بالقاهرة :

وبعد اسـتعراض سـريع لما جاء بالكتاب، وفتاوى المسـئولين فى الجمعية الشـرعية فى هذا الموضـوع، تمنَّى ا.د/ محمد المختار المهدى الرئيس العام لو لم يسـأل أحدٌ عن الله بأين أو بكيف.. لأنه يعتقد أن الســؤال بأين يجرنا إلى الكلام فى الكيفية. وبعد التأكد من جواز الســؤال عن الله بأين كما جاء فى القرآن والســنة، بعكس الحال فى السؤال بكيف فهو منهيٌّ عنه، أشار الأمين العام أ.د/ رضا الطيب على الرئيس العام بضـرورة أن يجيب العلماء على السـائلين عن الله بما أجاب به الله ورسـوله فى القرآن والسنة مجرَّدًا، مثل قوله عزّ وجلّ { فإنى قريب }، { استوى على العرش... وهو معكم أين ما كنتم }، وقول النبى صـــلى الله عليه وســـلم (إن الذى تدعون ليس بأصـــم ولا غائب، هو بينكم وبين رؤس رحالكم) و (هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)،... دون الخوض فى تفســـير ذلك أو الكلام فى الكيفية. وارتضـــيت بهذه النتيجة وهذه المقابلة المباركة.

ثـانيـا : لكن فى مقـال للرئيس العـام للجمعيـات الشـــرعيـة بمجلـة التبيـان عـدد أكتوبر 2006م جدد فضـــيلته فيه كلامه الأول بالربط بين الأين والكيف، ونهى عن الســـؤال بأيٍّ منهما متعللا بأن فى ذلك إهدار لطاقة العقل وبحث فيما لا يفيد وكلام في ما وراء المادة !!

فأرسلت كتابى إلى فضيلته لعله يتذكر لقاءنا السابق وما تم التوصل إليه من نتيجة ترضى الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفوضته بطبعه ونشره وتوزيعه.

وفى مجلة التبيان عدد ديسمبر 2006م كتب أ.د/ ابراهيم عبد الشافى– وكيل كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر– مقالا تحت عنوان (معية الله) يتمسك فيه بتأويل المعية بالعلم، ويتأول قرب الله بقرب ملائكته وجنوده، دون أن يجيب على من يسأل عن الله بأين – أين الله نفسه – ودون أن يفيدنا عن حكم الشرع فى هذا السؤال وفى الإجابة عليه. ومن العجيب أنه بعد كل تأويلاته التى يؤكد فيها على عدم وجود الله معنا بنفسه أشار إلى ضرورة إمرار الآيات كما جاءت !!.. إلا أن فضيلته لمَّحَ بأسلوب غير مباشر إلى كتابى "إن الله معنا حقا" – دون أن يذكره – بأن بعض الأقلام غير المتخصصة تناولت موضوع المعية ووقعت فى مستنقع التشبيه وشبهت الله بالنور وبالملائكة !

فكان ردى على فضيلته كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور / **محمد المختار المهدى**

الرئيس العام للجمعيات الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

بالإشارة إلى ما كتبه ا. د / **إبراهيم عبد الشافى** فى مجلتكم التبيان العدد 28 عدد ديسمبر 2006 صفحة 12 تحت عنوان " **معية الله** ".. أرجو التكرم بنشر ردى هذا على ما كتب سيادته . وذلك عملاً بحق الرد شرعاً وقانوناً :

أولاً : كنت أرجو مناقشة المسألة مع السادة " المتخصصين" فيها، وحفيت أقدامى من السير إليهم، ولم أنشر كتابى "إن الله معنا حقاً" إلاَّ بعد توزيعه عليهم بأكثر من سنة، وبعد أن سكت أغلبهم عن الرد، وبعد أن جاءتنى ردود غير شافية من البعض، وأيَّدنى البعض الآخر شفاهة أو كتابة تصريحاً أو تلميحاً، مثل ما كتبه فضيلة مفتى الجمهورية فى كتابه "التبيان لما يشغل الأذهان" ص22 حيث قال (ويؤمن المسلم

بالمطلق لأنه آمن بأن الله لا نهائى ولا محدود، والإيمان باللانهائى واللامحدود أتى من إيمانه بأسمائه وصفاته، فأسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن والسّنّة تمثل الهيكل التربوى للمسلم، قال سبحانه وتعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" الأعراف:180)إنتهى وأثنى ا.د/ محمد نبيل غنايم – كلية دار العلوم– وآخرون على الكتاب ثناءً حسنا.

ثانياً : لست أدرى من أين عرف الدكتور / إبراهيم عبد الشافى أننى غير متخصص وهو لم يجلس إلىّ ولم أجلس إليه، ولم نتكلم معاً ولم نتقابل أبداً حتى كتابة هذه السطور!.. لكن سيادته أبى أن يناقش كتابى إلاّ على صفحات مجلتكم " التبيان ". ولكنى على يقين من أن كتابى لا ينقصه "التخصص"، ولم أخرج فيه عن قواعد البحث العلمى المتعارف عليها. غاية ما فى الأمر أننى جئت فى كتابى بحقائق علمية – كونية ولغوية – غير مألوفة لسيادته، وتؤثر فى المعانى الشرعية، ومن شأنها – لو فهمناها– الخروج بالأمة من الخلافات حول مسألة إثبات وجود الله الواسع مطلقا، لكنه لم يذكر شيئاً عنها فى مقاله، وأذكر عناوين بعضٍ منها هنا :

1ـــ تعريف " المكان" فى اللغة والشرع، والفرق بين المطلق منه والنسبى وعلاقة ذلك بمسألة وجود الله نفسه عز وجل، ووجود مخلوقاته.

2. لفظة "الذات" وتحذير علماء الشرع واللغة من إطلاقها فى حق الله سبحانه وتعالى.

3ـ تحقيق عبارة " إن الله معنا بعلمه " لغة وشرعاً، يقطع بأنها لا تفيدنا بعدم وجود الله معنا بنفسه، وأيدنى فى ذلك علماءٌ "متخصصون".

4. إبطال الكلام بالحلول والإتحاد نفياً وإثباتاًً فى حق الله تعالى، لأنه كلام فى الكيفية بغير علم قطعى، والقول على الله بغير علم قطعى حرام شرعا.

5ـــ وجود الملائكة ومباشرتهم لأعمالهم لا يقطع لنا بعدم وجود الله نفسه معنا ومعهم أين ما كنا وكانوا، خصوصاً بعد ما ذكر الله ذلك صراحة فى كتابه العزيز، وذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الصحيحة. وكما قال المقال بمجلتكم، وقال الجميع أن أحداً لا يعلم عن نفس الله شيئاً، فإن افتقاد الجميع لمعرفة الكيفية يمنع على

الجميع نفى وجود الله نفســـه معنا أو فى أى زمان أو فى أى مكان، وإلا فهو يحدد اللامحدود ويقيد المطلق!. أما عن تنزيه الله، فهو من حق الله وحده، فلا يجوز أن يتقول أحد الناس بتنزيهٍ لم يقل به الله ورسـوله، ويفضـى فى النهاية إلى نفى ما أثبته الله لنفســه من الوجود الواســع المطلق اللامحدود اللانهائى، ثم العدول فى ذلك إلى المجاز الباطل بطلانا مبينا – لغة وشرعا.

6. " التجلى" فى حق الله عزّ وجلّ ثابت فى القرآن والسنة، والقول به واجب.

7ــ " التعالى " فى حق الله عزّ وجلّ جاء للتنزيه عن الشريك والشبيه والزوجة والولد، ولم يأت – ولو مرة واحدة – بمعنى التباعد عنا بنفسه.

8ــ جهة " الفوقية " و " العلو"، ثبت أنهما " الإتسـاع " المطلق فى جميع الجهات، وليس معناهما الخروج عن هذه الجهات أو الغياب منها، ثبت ذلك بعد اكتشاف كروية الأرض ودورانها المستمر.

9ــ ليس من المنهج العلمى فى شىء أن نقفز إلى " نتيجة " قبل عرض مقدماتها، أو التمسك بكلام ثبت بطلانه لمجرد إحترام من قال به قديما.

10. تعريف " السلف الصالح " و" الإجماع " و" الفطرة السليمة".

11. تعريف اسم الله " المقيت "، ومعنى قوله عزّ وجلّ (وأنا الدهر) وتعريف " الزمان ".

12 . معنى " سبحان الله " لغةً، وعلاقتها بوجود الله الواسع المطلق.

13 ــ لا تعارض بين ثبوت علم الله الواسع المطلق وبين وجود الله الواسع المطلق، فالعلم ليس بديلاً عن الوجود، والوجود ليس بديلا عن العلم، ولا نتأول أحدهما محل الآخر بعد أن ثبتا لله. والقول بأن الاتسـاع ينصرف إلى الصفات دون النفس هو قول مخالف للقرآن، فكما قال عزّ وجلّ {إن ربك واســع المغفرة}قال{إن الله واســع عليم}. ووجود الله معنا بنفســه لا يتحتم معه مشــابهته لخلقه، والقول بحتمية المشــابهة يعنى معرفة الكيفية، وإلا فهو القول على الله بغير علم.

14 ــ القول بوجود الله معنا بنفسـه لا يخالف القرآن والسـنة فى شـىء، بل هذا هو الأصل والظاهر والمعنى القريب لنصوص المعية والإتسـاع، وليس فى ذلك تشبيه ولا

تعطيل ولا إبتداع، وذكرت فوائد هذا الفهم وأضـــرار القول بغيره، وبينت أن المعطلين لحقيقة المعية عبءٌ ثقيلٌ على الدّين والناس.

15 . ذكرت شبهات الطاعنين فى الوجود المطلق لله عز وجل فى المكان المطلق، والرد عليها.

إلى غير ذلك من الموضوعات الأخرى الهامة ذات العلاقة.

وبعد.. أليس كل ذلك له علاقة بتخصص الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الشافى وإخوانه العلماء ؟! أم أنه خارج عن الموضوع ؟!

إن من عيوب "التخصـص" القاتلة، أنه قد يُحدد صَـاحبه ويُحجِّمه فى ركن من العلم، بما يجعل " المتخصـص" لا يتوسع فى طلب العلوم الأخرى أو طلب المزيد فى ركنه الذى تخصـــص فيه، ويرى كل من عداه "متعالماً" وغير "متخصـــص". والصـــحابة الأجلاء عملوا فى مجالات شـــتى، ولم يمنعهم ذلك من تعلم العلوم وتعليمها، فلا احتكار فى العلم بدعوى التخصص.

وأخيراً.. أنا لم أكن ضـــد التأويل حين يجب التأويل، مثل الحديث الشـــريف (الحجر الأسـود يمين الله)، ولكنى ضـد تأويل المعية وإخراجها عن حقيقتها لمجرد عدم رؤيتنا لله بالعين. وما جاء فى كتابى " إن الله معنا حقا " لا يفتقر إلى دليل، ولكن طعنكم فى وجود الله معنا بنفســه هو الذى لا يســتند إلى دليل قطعى الثبوت والدلالة، ويخالف ظاهر القرآن والســنة الذى يلزم معه إثبات الأينية المطلقة لله، وذلك لا يتوقف على معرفتنا للكيفية فى شـــيء. كما أن كلامى ليس فى الكيفية ولكنه فى الأينية، لكن رفضكم التسليم بوجود الله معنا بنفسه هو الكلام فى الكيفية بغير دليل. ومع رفضكم هذا لم تجيبوا على السؤال المشروع الذى أجاب عنه الله ورسوله ويلح على كل إنسان وهو : أين الله نفســه ؟ فإن قلتم لا نعلم، فهى مصـــيبة، كيف لا تعلمون وأنتم متخصـــصـــون ؟ وإن قلتم فى مكان دون آخر، أو فوق المكان والزمان منزها عنهما، وجب عليكم التواضع وقراءة كتابى على مهل. وهنا أنصح بعمل اختبار بسيط ليقينكم فيما تقولون على الله، أرجو أن تحاول أن تقسم بالله العظيم أن الله ليس معك بنفسه.. ولن تستطيع. والسلام

2006/12/1 محمد إسماعيل جبر ت/0101949291

ولأن جماعة أنصار السنة المحمدية لها وزنها فى مجال الدعوة ويرون ضرورة الإجابة على السؤال عن الله بأين، أرسلت لهم كتابى مع صورة من ردى السابق على د/ إبراهيم عبد الشافى، مضيفا إليه ما يلى : بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور / جمال المراكبى

الرئيس العام – جماعة أنصار السنة المحمدية / القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد :

نبارك ونحيي هذه الخطوة الهامة فى تقاربكم مع الجمعية الشرعية، ولعلها تكون فاتحة خير نحو وحدة الأمة الإسلامية دعاةً وشعوبًا. ولو تعذر الاتفاق الآن فى بعض المسائل، فلعل صدق التوجه نحو تحقيق الأهداف العليا لأمة الإسلام تكون مكافأته من الله عزّ وجلّ لنا أن يزيل عنا اللبس والغموض، ويكشف لنا عن وجه الحق فى تلك المسائل الخلافية. أقول ذلك لأننى تسلمت فعلا مثل هذه المكافأة فى كتابى بعنوان " **إن الله معنا حقا** " والذى سبق أن وافيت فضيلتكم به وطلبت مشاركتكم – كما فعلت مع غيركم من أهل العلم. وإذا كنت افتقدت مساهمتكم ونصيحتكم حتى الآن، أرجو أن ينتهى من جانبكم هذا التجاهل لجميع مكاتباتى السابقة لكم مهما كانت الاعتبارات عندكم.. لأن ذلك ليس من أخلاق النبى محمد صلى الله عليه وسلم. وهذه هى الجمعية الشرعية قد تفاعلت مع ما جاء فى كتابى بما كتبه أ. د/ إبراهيم عبد الشافى بمجلتهم " التبيان " عدد ديسمبر 2006 ص12 تحت عنوان " معية الله "، ومن قبله فى عدد أكتوبر حيث يرى فضيلة ا.د / محمد المختار المهدى عدم جواز السؤال عن الله بأين ولا بكيف ولا لماذا.

وإن كنت أسمح لنفسى أن أتكلم فى حضور رجالات العلم أمثالكم وأمثالهم، فإننى لا أفعل إلا للضرورة القصوى التى تجعل التلميذ يفعل ذلك فى حضرة أستاذه. ومن هذا المنطلق أهمس على استحياء فأقول : إن ما كتبته في كتابى مازال محل خلاف بينى وبينهم، ولم أسمع منكم بعد.

لذلك.. وكما ذهبت إلى أساتذة كثيرين.. أكتب إليكم مرة أخرى خطابى هذا حيث أننى على يقين مما توصلت إليه من الحق، كما أننى على يقين من أن التقارب والوحدة والاتحاد لا يعطله البحث العلمى الجاد الذى يهدف إلى اجتثاث الخلاف.

ولأن عقيدتنا فى الله عزّ وجلّ لا يجوز غض الطرف عنها، فأنا لا أوافق ا. د / محمد المختار المهدى في قوله بعدم السؤال عن الله بأين، هذا السؤال سأله الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم، وأجابهم عنه الله ورسوله، فكيف نحرِّم هذا السؤال اليوم ؟! وهل يعرف سيادته كم أن هذا السؤال مُلِحٌّ جدّا على كل نفس بشرية ؟ وهل يعرف كم أن الإجابة عليه مهمة جدّا لكل نفس بشرية ؟ لا يصح لسيادته أن يقيس كل الأنفس البشرية على نفسه هو !، فهو قضى عمره كله فى الكلام عن الله والسماع عنه عزّ وجلّ بما يكفى لاطمئنان نفسه لوجود الله.. لكن كيف نقول للصبيان والشباب فى مقتبل أعمارهم لا تسألوا أين الله؟! وكيف نقول ذلك لأجنبى جاء يبحث عن الله فى الإسلام؟ وكيف ينبغى لعلماء الإسلام ألا يعرفوا سؤالا أجابهم عنه الله ورسوله ؟!! وهل محاولتى للإجابة عليه لابد أنها ستقطع الأوصال وتفرق الأمة ؟! أليس للبحث العلمى أصولا ومعالم ننتهى إليها ؟

ثم إن وجود الله معنا وقربه الحقيقى منا لا يقدره حق قدره إلا العارفون بالنفس البشرية ومتطلباتها، لذا أرجو أن يشاركنا فى بحثنا هذا كبار علماء النفس. يراجع فى ذلك مجلة الطب النفسى الإسلامى (النفس المطمئنة) ص5 العدد/30/أبريل 1992 تصدرها الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، جاء فيها (يقولون فى المدرسة الوجودية للطب النفسى: أنا وأنت هنا الآن. وتقول المدرسة الإسلامية: **أنا وأنت مع الله هنا الآن)**أهـ وفيه إثبات المكان والقرب لله عزّ وجلّ كضرورة علمية أكاديمية متخصصة حتى ولو تاه عنهم تعريف (المكان المطلق) !.

وأتشرف بأن أرفق لسيادتكم مع خطابى هذا عدد 25 نسخة من كتابى المذكور وصورة من مقال أ. د/ إبراهيم عبد الشافى وصورة من ردى عليه. وأضيف عليه هنا فأركز على نقاط هامة:

أولا: إن ما ذكرته فى كتابى عن الوجود اللطيف للملائكة معنا واختراقها للحجب الكثيفة، جاء فى معرض كلامى لإبطال الكلام القائل بوجوب الحلول والاتحاد لو كان الله معنا بنفسه. فإذا سلمنا ببطلان القول بالحلول والاتحاد فى حق مخلوق، فكيف نوجب القول به فى حق الله سبحانه ؟ بل يكون بطلانه فى معية الله أوجب. ولم أشبه وجود الله معنا بوجود الملائكة. كذلك، ضرب الله مثلا لنوره بالمشكاة والمصباح والزجاجة، كما جاء فى سورة النور، جاء هذا من الله نفسه إبطالا أيضا للقول بالحلول والاتحاد، فلست أنا الذى ضربت هذا المثل لوجود الله ! بل إن الله بنفسه هو الذى قاله فى كتابه العزيز، فالله عزّ وجلّ نور على نور، ليس كهذا النور بالمصابيح أو الشمس أو القمر. فلماذا الإصرار على رفض وجود الله معنا خوفا مما أسماه فضيلته (مستنقع التشبيه)؟ أين التشبيه هنا ؟ هل يريد فضيلته أن يكون ملكيا أكثر من الملك ؟

ثانيا : يقول فضيلته (فالله تعالى إذا وصف نفسه بوصف "واسع" أو أخبر أنه "وسع" **حدد** معنى الوسع المقصود بأنه اتساع صفته)، ثم استدل بآيات اتساع الصفات وقال أنها دليل **قاطع** على عدم وجود الله نفسه معنا !، حيث أنه – سبحانه وتعالى– فى رأى الأستاذ "غير واسع" !، فقول الله (إن الله واسع عليم) **حدّد** فضيلته معناها من قول الله سبحانه (إن ربك واسع المغفرة)، و**قطع** فضيلته بأن الله هو الذى **حدد** ذلك !!، وكأن (إن الله واسع عليم) لا تستطيع أن تقوم بمفردها !! وكأنه متأكد من أن الله (لايجوز) أو (حرام) أن يصف نفسه بالاتساع المطلق !!. ولكن السؤال هنا: هل تحتمل اللغة العربية فى هذه الآية انصراف الاتساع لله نفسه أم لا ؟ وهل هناك مانع من انصراف الاتساع لله نفسه ؟ لا مانع إلا الوهم الذى يجب التخلى عنه.

ثالثا : ويقول فضيلته (وعندما تتحدث الآيات عن قرب الله تعالى فإنها وهى تذكر قرب الله تعالى تذكر ما يحقق هذا القرب وهو قيام جنوده من الملائكة بتدبير أمر

خلقه بأمره تعالى) اهـ. وأقول: هذا تخصيص بلا مخصص، وأنا أعرف أن أناسا قالوا ذلك من قبل، وأعلم أن فضـــيلته تعلم هذا الكلام عنهم، لكنه وهو يردده الآن يصـــبح مسئولا عنه مسئولية كاملة، ومن حق أى إنسان أن يسأله هذه الأسئلة :

- هل يجوز أن يتكلم الله عن وصـف نفسـه بالقرب وهو يقصـد بذلك غير نفسـه – كـالملائكـة أو غيرهم؟، ومـا هو الـذى يـدعونـا لاعتقـاد ذلـك والعـدول عن صريح المعنى؟!
- هل كل ما فى الكون من أفعال يقوم به غير الله – من حيث المباشـرة الفعلية القريبة ؟ ومن أين لك أن تتأكد ؟
- هل أنت متأكد أن الله ليس معنا بنفســـه ومع ملائكته أينما كنا وكانوا ؟ ومن أين لك هذا التأكد والله لم يقل به ولا أحدٌ من رسـله ؟ وهل أنت ومن قالوا لك ذلك عاينتم الله وملائكته وجنوده ؟ – وما قولكم فى قوله عزّ وجلّ فى ســـورة الأنفال:

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ الأنفال

وفى سورة المجادلة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ المجادلة

هل هذا القرآن أطلق وجود الله نفسه مع جميع خلقه أم لا ؟ ومن أين لك التقييد ؟ وهل ثبوت العلم لله يتنافى مع ثبوت قربه؟!.. ولماذا تجعل هذا على حساب ذاك ؟ ألا يمكن أن يكون عليما وقريبا ؟

رابعا : ثم يقول فضيلته (فإن مسألة المعية،..، فيجب الإيمان بالنصوص الواردة وتفويض معناها إلى الله تعالى وإمرارها كما جاءت)انتهى. ولو أمعن فضيلته النظر قليلا لوجد أن تأويل معية الله لنا بعلمه من بعيد، وتأويل قرب الله بقرب الملائكة، هو الخروج الصارخ والفاضح على مبدأ إمرار الآيات كما جاءت!. فأنا الذى أطالب بإمرارها كما جاءت!.. ثم هو يتكلم عن (السلف) وأنا أكلمه عن (سلف السلف) أكلمه عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم، فمن هم الأولى بالاتباع ؟!
وكم كنت أرجو أن يقف سيادته والأخوة الدعاة إلى الله فى كل مكان على الأبعاد الحقيقية والأهداف المرجوة من وراء كتابى المذكور، حيث يجعل الإنسان فى رقابة حقيقية وقوية لله عزوجل، كذلك الأنس به والاستقواء به والثقة فيه وفى نصره – من حيث أنه قريب حقا – فى مواجهة مكائد الأعداء، ولعل ذلك يقوى أواصر الأخوة والمحبة بين الجميع. وأرجو أن ينال هذا الموضوع عظيم اهتمامكم وعنايتكم الخاصة لعل الله يظهر الحق على أيديكم. ويا حبذا لو تكونت لجنة علمية من كبار العلماء العاملين المخلصين لمراجعة كل التأويلات والتفسيرات، وتنحية ما يثبت بطلانه أو يشوبه شائبة التعطيل.

والله معنا ومعكم (حقا) وهو منه السداد والتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
محمد إسماعيل جبر 15-12-2006

= وفى مجلة التوحيد لجماعة أنصار السنة المحمدية عدد ذى الحجة1427هـ جاء مقال للشيخ / حسن عبد الوهاب البنا تحت عنوان : أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، ومقال آخر للدكتور/ محمد عبد العليم الدسوقى تحت عنوان : منهج السلف فى تفويض الصفات، حيث يجعلون الوجه، واليد، والعين، والأصابع،... فى حق الله صفات!، فيقولون لله صفة تسمى الوجه وصفة تسمى اليد،.. وهكذا، وبذلك تكون الرحمة والمغفرة،... هى صفات الصفات !!، ومع أنهم لا يرتضون تأويل اليد بالقدرة

كأصـــحاب التأويل الآخرين، ويقولون إنها يد حقيقية لا نعرف كيفيتها، إلا أنهم يجعلونها صفة لـــ(ذات) الله المكونة فى رأيهم من الوجه والعين والأعين واليد واليدين والأيادى والأصابع والساق الواحدة والقدم الواحدة والجنب الواحد!، والتى تستقر فوق العرش بائنة من الخلق بعيدة عن الأرض والسماوات السبع، تنزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حقيقة وهى فوق العرش لكن لا يعرفون كيف !

ولأنهم أيضـــا يتأولون المعية بالعلم، وقرب الله بقرب الملائكة والجنود، ولأن هذا العدد من المجلة صدر بعد استلامهم كتابى الذى يتكلم فى نفس الموضوع، ولم يردوا على كتابى بوسيلة أخرى، اعتبرت أن هذا هو ردهم علىّ، فكتبت لهم تعقيبى التالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور / جمال المراكبى

الرئيس العام – جماعة أنصار السنة المحمدية / القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد :

قرأت بمجلتكم الموقرة (التوحيد) العدد420 ذوالحجة1427هـ ما كتبه الشيخ حسن عبد الوهاب البنا ص65-66 وما كتبه د/ محمد عبد العليم الدســـوقى ص67-68 عن عقيدة السلف فى الاستواء، والمعية، واليدين والعين والساق فى حق الله جل جلاله. وأذكركم بكتابى بعنوان " **إن الله معنا حقـــا** " والذى سبق أن وافيتكم به وطلبت رأيكم فيه كما فعلت مع كثير من أهل العلم، كما أذكركم بما كتبته تعقيبا على أ.د/ إبراهيم عبد الشافى بمجلة " التبيان " عدد ديسمبر 2006 ص12 تحت عنوان " معية الله "، ومن قبله فى عدد أكتوبر حيث يرى فضيلة ا. د / محمد المختار المهدى عدم جواز السؤال عن الله بأين ولا بكيف ولا لماذا.

وكما كتبت إلى أســـاتذة كثيرين.. أكتب إليكم مرة أخرى خطابى هذا حيث أننى على يقين مما توصلت إليه من الحق، كما أننى على يقين من أن التقارب والوحدة والاتحاد لا يعطله البحث العلمى الجاد الذى يهدف إلى اجتثاث الخلاف.

والسؤال عن الله بأين، سأله الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم، وأجابهم عنه الله ورســوله، ففهموا الإجابة بالقرب والاتســـاع على الإطلاق وعلى الحقيقة فى كل زمان

ومكان، كما فهموا الوجه واليد والأصـــابع والعين والقدم والســـاق فى حق الله عزّ وجلّ بدلالتها على إثبات الوجود الحقيقى لله متى وأين ما ذكرت، كما جاء على لســـان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وعلى لسان حبيب الله وحبيب رسوله – عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه – وغيرهما كما جاء فى جميع التفاسير عنهما بأن معنى وجه الله يعنى الله نفســه. وكما ورد فى مقال الشـيخ حســن عبد الوهاب البنا بمجلتكم فيما رواه البخارى ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يأخذ الصدقة من أحدكم بيمينه...)الحديث، فهذه يمين الله مع كلٍّ منا يأخذ بها الصــدقة – أم هل نكون نحن مع الله فوق العرش دون أن ندرى؟!!، فاليد دليل إثبات للقرب الحقيقى لنور الله عز وجل معنا ومع كل خلقه، وأوردت فى كتابى (إن الله معنا حقا) الكثير من الأدلة على ذلك. هذا ولم يثبت عن النبى صــلى الله عليه وسـلم أو عن أحد من الصــحابة رضى الله عنهم – وهم سلفنا الصالح لكل سلف وخلف يرجو الاتباع – لم يثبت عنهم أنهم تكلموا فى ذلك أبعد من هذا. ولكن خلف من بعدهم خلفٌ ســـمحوا لأنفســـهم أن يتكلموا فى الله ووجهه ويديه وعينه وساقه بدلالاتها عندهم على الهيئة والصورة البشرية – الذات المركبة من الأعضـــــاء – ثم يقولون : بلا كيف!!، ثم يلعنون من قال بغير كلامهم !!.. كهذا الذى ذكره د / محمد عبد العليم الدسوقى فى مقاله بمجلتكم ص67 حيث قال (عن أبى زرعة الرازى وقد ســـئل عن تفســـير قوله تعالى [الرحمن على العرش اســتوى]**طه5** فغضــب وقال تفسـيره كما تقرأ: هو على عرشــه وعلمه فى كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله) اهـ. ومن المؤسف حقا أن ترتضوا بمثل هذا اللّعَّان سلفا صالحا لكم أو صالحا فى نفسه ؟! لأن اللعنة لا تجوز إلا على الكافرين، وهذا الذى هو سـلفكم يلعن ويُكفر كلَّ من لم يقل بقوله، رغم أن الذى لم يقل بقوله هو الله ورسـوله والمؤمنون وكل من يقرأ القرآن والسـنة !!، لأن القرآن والسّـنة لم يفرقا بين وجود الله فوق العرش وبين وجوده فى أرضـــه وســـماواته. وحجتكم فى تفســـير المعية والقرب بالعلم من مكان بعيد حجة واهية ؛ فالله الذى قال { وهو الله فى السماوات وفى الأرض **يعلم**...} **الأنعام: 3** هو الذى قال {... ثم اســـتوى على العرش **يعلم**..} **الحديد:4**، فحجتكم فى قولكم أن الله معنا بعلمه يمكن أن نقولها لكم فى وجوده فوق

عرشه بعلمه، بل الحجة فى أن الله معنا بنفسه كما هو فوق العرش بنفسه هى الحجة البالغة، ولم يثبت دليل واحد يفيد بُعد الله نفسه، إنما كل الأدلة تثبت قربه واتساعه معنا وفوق العرش، والنبى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذى قال (ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء)، هو الذى قال (إن **الذى** تدعون ليس بأصمَّ ولا غائب، **هو** بينكم وبين رؤوس رحالكم)، أى أن الله نفسه الذى معنا هو الذى فى السماء هو الذى فوق العرش، ولا يعلم كيفية وجوده هنا وهناك إلا الله عز وجل وحده. وإشارة الجارية إلى السماء عند سؤالها عن الله لا يُستفادُ منها تحديدًا لله فى ذاتٍ توجد فى مكانٍ دون آخر أو جهةٍ دون أخرى !، لماذا ؟، لأن جهة فوق هى جميع الجهات مطلقا نظرا لكروية الأرض، فالله الذى أشارت إليه الجارية هو الله الواسعُ العلىُّ المتعال القريبُ الظاهر الباطن الذى لا شيء دونه ولا شيء فوقه. وكما نسى الشيخ حسن أن يمين الله معنا يأخذ بها الصدقات منا، وهو يؤمن بأنها يد حقيقية، جاء مقال د/ محمد عبد العليم يضرب بعضه بعضا حيث يرفض التفسير مرة ويتمسك به مرة أخرى!، ويفرق بين **الكيفية** وبين **تفسير المعانى**، فيتمسك بتفسير الوجه واليد والقدم والساق بدلالتها على الأعضاء عند البشر متناسيا حظر القياس والتشبيه، ثم بعد ذلك يفوض فى الكيفية!. ورغم أن كلام الإمام أحمد بن حنبل مؤداه التوقف عن التفسير وتفويض علم معناها لله وحده إلا أن كاتب المقال يستشهد به على مذهبه فى التجسيم !، كل ذلك ليثبت لنا أن الله بعيدٌ عنا فوق العرش وفقط !. وأؤكد أن هذا الكلام الذى جاء فى المقال يضرب بعضه بعضا، ويعكس عدم تحريكم الدقة العلمية فى الاستنباط. ربما يتصور الكاتب أنه غير مسئول عن كلام سلفه الصالح وهو يتبناه الآن ويردده !، ولكن مجلتكم وجماعتكم تتحمل كل المسئولية عما تنشرونه، لأن سلفكم الصالح ليسوا أمامنا الآن لنناقشهم !.

والحق أن هؤلاء السلف ومن خلفوهم من خلف – بلعنهم وتكفيرهم لغيرهم – هم بؤرة الخطر على الدين والناس. أما خطرهم على الدين فلأنهم عطلوا حقيقة القرب والمعية رغم أهميتها وفوائدها لكل الناس، ويصرون على تجسيم الله وتركيبه من أعضاء ثم يقولون بلا كيف !. وأما خطرهم على الناس جميعا– ولا أقول على أمة الإسلام وحدها

– فلأنهم لا يؤمنون بالرأى والرأى الآخر بل يُكفّرون كلَّ من عداهم – حتى الأنبياء – وهم لا يشـعرون ! واختلقوا مسـافاتٍ مكانيةً شـاهقة تبعد الناس عن ربهم على ما فى ذلك من ضرر متحقق فى غفلتهم عنه. يُراجع كتابى (إن الله معنا حقا).

ويشـــترك فضـــيلته مع المعطلين لحقيقة القرب والمعية فى قولهم (وعندما تتحدث الآيات عن قرب الله تعالى فإنها وهى تذكر قرب الله تعالى تذكر ما يحقق هذا القرب وهو قيام جنوده من الملائكة بتدبير أمر خلقه بأمره تعالى)اهـــــ. وهذا تخصـيص بلا مخصـص، ولا دليل عليه غير ظنهم الناشـئ من تجاور الآيات وعطف بعضـها على بعض !، لكن هذا يفيد القرب والمعية أيضا، قال عزّ وجلّ :

إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ الأنفال فمن الذى مع الملائكة ؟ ومن الذى سيلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ؟ .. إنه الله . وفى سورة المجادلة يقول { أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ }المجادلة

فهل هذا القرآن أطلق وجود الله بنفســـه وبعلمه مع جميع خلقه أم لا ؟ ومن أين لهم التقييد ؟. ثم يقولون (فإن مســألة المعية والاســتواء، يجب الإيمان بالنصــوص الواردة وتفويض معناها إلى الله تعالى وإمرارها كما جاءت) اهـ. ولو أمعنوا النظر قليلا لوجدوا أن تأويل معية الله لنا بعلمه بنا من بعيد، وتأويل قرب الله بقرب الملائكة، هو خروج

صــارخ وفاضــح على مبدأ إمرار الآيات كما جاءت !.. فأنا الذى أطالب بإمرارها كما جاءت بوجوب الإيمان بالقرب والمعية على ظاهرهما- أى على الحقيقة.

ثم هم يتكلمون عن (السلف) وأنا أكلمهم عن (سلف السلف)، أكلمهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم، فمَن هم السلف الأولى بالاتباع ؟!. ولأن الناس يذعنون إلى ما يتردد على مســـامعهم ويُلَحُّ به عليهم، أحذرهم مما ارتكنوا إليه من طول تكرار واستماع، وأنصحهم بالاستماع لصوت الحكمة أيًّا كان قائلها، فماذا ينتظر المُبعِدون لله إلا إبعادهم من الأرض واســتخلافهم بغيرهم جَزاءً وفاقًا. وكم كنت أرجو أن يقفوا هم والأخوة الدعاة إلى الله فى كل مكان وزمان على الأبعاد الحقيقية والأهداف المرجوة من وراء إحقاق الحق فى حقيقة القرب والمعية، حيث أن ذلك يجعل الإنسان فى رقابة حقيقية وقوية لله عزوجل، كذلك الأنس به والثقة فيه وفى نصره، من حيث أنه قريب حقا، لعل ذلك يقوى أواصــر الأخوة والمحبة بين الجميع ويُدخِل الناسَ فى دين الله أفواجا. ويا حبذا لو تكونت لجنة علمية من كبار العلماء العالمين العاملين المخلصين لمراجعة كل التأويلات والتفسيرات، وتنحية ما يثبت بطلانه أو يشوبه شائبة التعطيل بدعوى العقلانية أو التنزيه. والله معنا ومعكم (حقا) ومنه الســـداد والتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

2006-12-23 محمد إسماعيل جبر

ولم يتجاوب الدكتور جمال المراكبى مع رســـائلى المتكررة له، ولم يرد عليها كتابة أو شـــفاهة، ولم يتصـــل بى ولو لهدايتى مما قد يرانى أعانى منه !، حتى صـــدر عدد مجلتهم التوحيد لشهر المحرم 1428هـــ الموافق يناير 2007م وفيه الاستمرار على رؤيتهم نفسها كما جاءت فى الأعداد السابقة.. ولم أتردد فى الرد:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور / جمال المراكبى

الرئيس العام – جماعة أنصار السنة المحمدية / القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد :

جاء فيما كتبه د/ محمد عبد العليم الدسـوقى فى العدد 421 لشـهر المحرم 1428هـ ص64-66 عن عقيدة السـلف فى الاسـتواء والمعية، و(الوجه واليد والقبضـة والقدم والعين.... إلخ)، فيما قال عنها "صـفات" فى حق الله جل شـأنه، فبعد أن يُسـمِّيها "صـفات" يقــول فضـيلته (يثبت أهل العلم ويقررون فى كثير من الأحيان أن آيات الصـفات أبين وأوضـح وأجلى من آيات الأحكام ولم يتنازعوا فى آيات الصـفات.....، بل اتفق الصـحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها..) أ هـ وأقول : إنه لإثبات فهم لهم فى معانيها وفى حقائقها، يلزم إفصاحهم عن ذلك والنطق به والإخبار عنه، وهذا ما لم يرد عنهم كما أقررتم أنتم فى مقالكم. ولو أنهم عرفوا لها معنى أو شـكلا أو حقيقة ما كان لمبدأ "**إمرار الآيات كما جاءت**" أىُّ معنى. بل إن الصحابة الكرام لم يتكلموا فيها إلاَّ بأنها نور الله ووجوده الحقيقى، لذا يكون لزاما على من أراد اتباعهم أن يتوقف على حدّ قولهم وفهمهم هذا، ولا يزيد ولا ينقص. لكن كاتب المقال يريدها أعضــاءً محدودة بعيدة فوق العرش فقط ثم يقول ولا تشـــبيه ! والعجيب فى الأمر أن الكاتب يريد أن يقحم فهمه هذا على قلوب الصـحابة السـاكتين عنه غير القائلين به !! بل ويريدنا أن نسلم معه بذلك، فقط لأنه يريد ذلك !!

وكما سـبق فى جميع حلقاته وخاصـة حلقته العاشـرة عدد414، جاء الكاتب فى مقاله هنا بأدلة قوية تثبت القرب الحقيقى والإتسـاع المطلق لوجود الله نفسـه عزّ وجلّ معنا وفوق العرش وفى كل مكان وفى كل زمان، ولكنه لم يشأ أن يفطن لمدلولها، ولم ينتبه إلى كونها ضد مراده !!، ومن هذه الأدلة ما يلى :

1- ما ذكره الكاتب من أدلة العلو والفوقية. فهى جميعها تثبت العلو والفوقية والإتساع، ولا تنفى القرب والمعية، بل إن أدلة القرب والمعية لا تقل عنها ثبوتا أو دلالة فى إثبات المكان والزمان لله نفسـه بأسـمائه وصـفاته (أىْ الرحمة والعلم والجلال والإكرام و...) على الإطلاق، كما جاء فى قوله عزّ وجلّ { وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب } البقرة 186 وقوله عزّ وجلّ { إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } الأعراف56

2- وقال الكاتب نقلاً عن ابن عبد البر فى كتابه " جامع بيان العلم وفضـله " (نهى السلف رحمهم الله عن الجدال فى الله جل ثناؤه فى صفاته وأسمائه لأن الله عز وجل لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت الأمة عليه...). أهـــ وأقول : يجب التأكيد هنا على حقيقة أنه لا يعلم حقيقة الله إلا الله، وليس للأمّة أفرادا أو جماعات أىّ حقّ فى الخوض فيه، فلا إجماع إلا على ما قال الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم لاغير، وعلى مراد الله ورسوله لاغير.

3- ويقول الكاتب نقلاً عن المقريزى (إن القرآن الكريم قد تضمن أوصافاً لله تعالى، فلم تثر التساؤل عند واحد من العرب عامة قرويهم وبدويهم ولم يستفسروا عن شىء بصددها،....، ولم يرد فى دواوين الحديث وآثار السلف من طريق صحيح ولا سقيم أن أحداً من الصحابة على إختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن <u>معنى</u> شىء مما وصف الله به نفسه فى القرآن وعلى لسان نبيه، ولا فرَّق أحدٌ منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل)اهـــ ونسأل الكاتب هنا : إذن من أين عرفت معنى هذه (الصفات) فى قلوبهم ؟! وكيف تتقول عليهم برأيك أنت فيها مع أنهم قد سكتوا عنها تماما ؟!! والسؤال هذا للكاتب ولغيره طبعا، لأننا نناقش رأيه، ولا علاقة لذلك بشخصه الكريم.

4- ثم يقول الكاتب نقلاً عن الإمام الذهبى عن منصور بن عمار إذ سأله بشر المريسى عن قول الله عزّ وجلّ { الرحمن على العرش استوى } كيف استوى ؟ فكتب اليه منصور (استواؤه **غير محدود** والجواب فيه <u>تكلف</u> ومسألتك عن ذلك <u>بدعة</u> والإيمان <u>بجملة</u> ذلك واجب) اهـــ ونسأل الكاتب هنا : كيف تفهم الإستواء <u>غير المحدود</u> ؟! وكيف تجعل لغير المحدود حدوداً ؟!! وكيف تريد منا أن نذهب فى ذلك إلى ما ذهبت إليه ؟

إن ما جعل مذهب الكاتب يبزغ إلى الوجود، هو الاستفزاز الحاصل من وجود أناس لا يثبتون لله مكانا على الإطلاق!، إلى حد قولهم أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه!،

فأراد غيرهم أن يثبتوا لله مكانا حتى لا يتساوى وجود الله مع العدم، فقال هؤلاء بالعلو المطلق، وهذا حق، لكنهم فهموه بالبعد المطلق !!، فجاء إثباتهم ناقصا يحتاج بدوره إلى الكمال. فالكاتب لايزال يريد أن يثبت المعنى الذى استقر فى قلبه . دون أن يفصح لنا عنه ــ وهو العلو البعيد !!، فيقول عن الوجه واليد والعين فى حق الله سبحانه " ونفى علم تأويلها ليس نفياً لعلم معناها، إنما هو نفى علم حقيقتها "... رغم أنه جعل إثبات حقيقتها مع معانيها واجباً إذ قال " بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، بل وجعل ذلك من تمام تحقيق الشهادتين وإثباتها من لوازم التوحيد، وقال أن الله سبحانه وتعالى بينها بياناً شافياً لا يقع فيه لبس !. أيُّ معنى هذا الذى يقصده الكاتب ؟ وأيَّةُ حقيقة يريدها الكاتب وقد علم أن أحدًا من الصحابة لم يسأل عن شيءٍ من ذلك ؟، ولماذا لم يفصح صراحة عن المعنى الذى يعتقده ؟! هل يريدها أعضاءً تتشابه مع أعضاء الإنسان فى الشكل وتختلف عنها فى الحجم والحقيقة والمضمون كما ضرب هو لذلك مثلا بثمار الجنة ؟! إذن فليفصح لنا عن فهمه الخاص أيّاً كان هذا الفهم، لكن لا يحق له أن يفرضه على غيره، ولا يحق له أن يجعل فهمه هذا أصل أصول الإيمان فى حين أنه رأىٌ شخصىٌّ – حتى ولو سبقه إليه بعض الناس. وساعتها يكون لنا كل الحق فى رفضه واعتباره تشبيهاً للخالق بالمخلوق، لأن الله سبحانه ليس كمثله شىء فى شكل أو فى حجم أو فى مضمون، بل جاء ذكر الوجه واليد والعين لإثبات الوظائف المقابلة لكل منها، ولإثبات الحضور والوجود الحقيقى لله عز وجل فى اتساع غير محدود.

ونتفهم إصرار العلماء على الإثبات، ذلك لمخافتهم من تعطيل أو تكذيب أو رد النصوص الواردة. لكن هذا الإثبات يتحقق بإثبات الوجود الحق الواسع الفعَّال، ويتحقق بإثبات الوظائف المقابلة لكل ما جاء ذكره عن الله عزّ وجلّ، فالوجه يثبت الوجود والمواجهة والمقابلة وجميع الأفعال الواردة فيه، واليد واليدين والأيادى تثبت الوجود والأخذ والعطاء والقبض والبسط والإمساك والجذب وجميع الأفعال الواردة فيها، والعين والأعين تثبت الوجود والبصر والرؤية والنظر وجميع الأفعال الواردة فيها، وهكذا. أمَّا

القول بأنه لا إثبات إلاّ بالمشابهة، ثم المشابهة ليست مشابهة! فهذا باطلٌ وليس علمًا، ولا إجماع إلا على رفضه كما رفضته أدلتكم.

وقول الكاتب: أن ادعاء التشــابه ودعوى أنها لا يعلمها إلاّ الله يســتلزم الإعراض عن ذكرها وعدم الإشــتغال بها، فهذا أيضــاً باطل، لأن ذكرنا لله ســبحانه لا يتوقف على معرفتنا لشـكلٍ أو لأعضــاءٍ يتكون منها، بل يتحقق بالإقرار بوجوده الواســع، والإقرار بلازم ذلك من أفعال أخبرنا أنه يفعلها.. فما هى الفائده المحققة من إثبات يد لله كالأيدى التى نعرفها شـــكلا وصـــورة ؟ بل يكفى قراءة الآيات الواردة فى ذلك دون الخوض فيها، فكل تفسير لها يقوم على القياس والظن باطل وله ما يناقضه. والتفسير يتناقض مع الإمرار.. فإما التفســير وإما الإمرار. وأصـــحُّ وأقربُ مفهوم للإمرار هو التفويض وليس التفسير. فإذا قال الكاتب أنه لم يقصد المشابهة لا فى الشكل ولا فى المضمون، وأنه لا يُجسم ولا يُحيز، قلنا له إذن ما هذه المعركة التى يصر على دوران رحاها ؟ وما هى المفارقة التى فارق الناس عليها ؟ وما الفرق بينه وبين من يفوض أمرها إلى الله ويقرأها ويؤمن بها قائلا آمنا به كلٌّ من عند ربنا ؟ أرجو الله أن يعين فضــيلة الدكتور محمد عبد العليم الدســوقى وغيره على الخروج من هذه الدوامة، ولن يُعيب المؤمن أبدا أن يترك رأيا يرى أنه صوابا ليأخذ برأى ثبت قطعيا أنه أصوب منه، بل إن هذا هو أساس العلم النافع، وهو الشرط الأساسى الذى يجب توافره فيمن يحمل لواء العلم والعلماء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

2007-1-25　　　　محمد إسماعيل جبر

ولكنهم لم يردوا علىَّ إلا بصدور العدد التالى لمجلتهم وفيه المحاولة تلو الأخرى ليكون الرأى رأيهم، وقمت بالرد :

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور / جمال المراكبى

الرئيس العام – جماعة أنصار السنة المحمدية / القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد :

جاء ما كتبه د/ محمد عبد العليم الدسوقى في العدد 422 لشهر صفر 1428هـ ص66-68 عن عقيدة السلف فى الاستواء على العرش، وفى (الوجه واليد والقبضة والقدم والعين.... إلخ) فيما قال عنها "صفات" فى حق الله جل شأنه، جاء استمرارا فى توجهه نحو توصيف هيئة وصورة لله سبحانه وتعالى، وذلك خلط منه بين وجوب إثبات اللفظ وبين إثبات تفسير اللفظ، ظنا منه بأن هذه الألفاظ لا معنى لها إلا أن تؤدى بنا إلى صورتها التى نراها فى أجسامنا!. هذا ما جاء فى ما كتبه ص68 حيث قال (فلو كان مراد هؤلاء جميعا – يقصد السلف – تفويض المعنى فى الصفات لما قالوا " أمروها كما جاءت بلا كيف"، إذ قولهم هذا يقتضى إبقاء دلالتها على ما هى عليه فإنها إنما جاءت ألفاظا دالة على معان، وكذلك فى الاستواء).اهـ

ومن قبل ذلك كتب فضيلته أنه لا بد من تفسيرها، وإذا كان تفسيرها ما منه بد فلابد من تفسيرها على الشكل والهيئة والذات ! فلا تفسير لها عنده إلا هذا !. ولأنه يكرر.. فلا بد لى من التكرار.. فأقول – كما سبق لى أن قلت له – إن الثابت فى القرآن والسنة الصحيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الألفاظ، فهى الثابتة كتابة وشفاهة ولا ينكرها إلا كافر. ولكن ليس من الثابت هذا التفسير الذى اختاره سيادته وأراد له أن يكون هو المعنى القطعى والأوحد ولا معنى غيره. وبالتالى فإن من ينكر هذا التفسير لأسباب لغوية وشرعية معتبرة لا يعتبر كافرا ولا مذنبا، بل قد يكون صائبا ناجيا من الوقوع فى المحظور.... وإلى شيء من التفصيل :

فكما أنه ليس من الثابت تفسير يؤدى بنا إلى تصوير الله ورسم صورة له فى خيالنا تتشابه أو لا تتشابه مع شيء من خلقه، فكذلك ليس من الثابت تصنيف هذه الألفاظ تحت عنوان " الصفات الذاتية "، لكن الثابت أنها تشير إلى نفس الموصوف الذى ليس كمثله شيء. وهذا ما نفهمه من نفى المثلية عن الله نفسه فى قوله عزّ وجلّ { ليس كمثله شيء } ثم إثبات الصفات لله فى قوله عز وجل {وهو السميع البصير}،

فالسـمع والبصـر من صـفات الله، لكن لا يلزم لهما أُذُنٌ ولا عين، بدليل ثبوت العين دون ثبوت الأُذن، كما أن العين جاءت مفردة وبالجمع، واليد جاءت مفردة ومثناة وبالجمع، والقدم جاءت مفردة، وجاء الوجه دون الفم واللسان، وجاءت اليد دون الذراع، وجاءت القدم دون الفخذ، وهكذا..، بما لا يتم ولا يكتمل معه توصـيف " ذاتٍ " لله بالهيئة والصورة المعروفة لنا !.. فلا يبقى للقائلين بـ (الذات) إلا أن يتطوعوا ويخترعوا بقية (الذات) التى قالوا بها من عند أنفسهم بعيدا عن اللغة والشرع !. ولأن الكلام فى الله وعن الله توقيفى، ولأنه لا يجوز لأحد من الخلق التطوع والاختراع فى ذلك، يكون إثبات اللفظ مع التفويض فى المعنى هو الأصـح والأولى. وإن كان المتكلمون بـ(الذات) لا يرون تفسيرا لهذه الألفاظ إلا ما قالوا به، فإن الصحابة الأجلاء قالوا بغير كلامهم، فهذا هو ترجمان القرآن العالم بالتأويل حبر الأمة عبد الله بن عباس رضـى الله عنهما يفسـر وجه الله بالله نفسـه نور السـماوات والأرض، والإمام على بن أبى طالب رضـى الله عنه يفسـر " السـاق " بنور الله عز وجل. لأنها لو اختلفت فى مدلولاتها وكان مدلول الوجه غير مدلول اليد غير مدلول السـاق غير مدلول القدم لاسـتثناها الله جميعها مع الوجه فى قوله عزّ وجلّ { كل شـيء هالك إلا وجهه}، ولجمعها مع الوجه فى قوله {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} لأنه لا يجوز أن يبقى منه عضو وتهلك أعضاء!. واحتراما منا للصحابة واتباعا لهم يتحتم علينا أن نقول بقولهم وأن نعتقد معتقدهم، بأن نفسر هذه الألفاظ بالكناية الحقيقية عن الله نفسه ولا نقول بأنها صفة من صفاته أو عضو من أعضائه. لأنه مع تفسيركم التصـويرى لله ثم قولكم باسـتقراره فوق العرش تتعطل حقيقة القرب والمعية والاتسـاع رغم ثبوتها لله فى أسـمائه الحسـنى فى القرآن والسـنة. و(الذات) ولوازمها كلام أتى على لسان أهل الكلام الذين ذمهم الإمام الشافعى وغيره من أئمة الهدى كما ذكرتم فى الافتتاحية تحت عنوان " عقيدة الشـافعى " ص2-5 فى مجلتكم نفس العدد 422 صفر 1428هـ، ولا يمكن اعتبار سكوت من سكت عن تفسيرها دليلا على ما تقولون به، فإنه لا يسمع من ساكت إلا الله، وإصراركم على القول بذلك فيه استخفاف بعقول الناس عامة وعقول قرائكم خاصـة. أما الحكم الشـرعى فى قولكم، فإن مخالفتكم فيه

للصـــحابة لا تخفى، ولعلها الفتنة فنســأل الله النجاة منها. وأذكركم بكتابى بعنوان " **إن الله معنا حقـــــا** " والذى ســبق أن وافيتكم به ففيه المزيد، فقد أبطلت فيه التفســيرات الباطلة وأثبت فيه كلام الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم. والسلام
2-3-2007 م   محمد إسماعيل جبر ت / 0101949291

—

السيد / جمال سعد حاتم   رئيس تحرير مجلة التوحيد

السلام عليكم ورحمة الله.. وبعد :

لقد اتصــلت تليفونيا بالأخ الدكتور جمال المراكبى بخصــوص ما يكتبه د. محمد عبد العليم الدســـوقى فأفاد د. جمال الرئيس العام بأنه لا علاقة له بما يُكتب فى المجلة ! فهل تأذن لى أن أكتب إليك ؟ فقد كتب د. محمد عبد العليم الدســـوقى فى مجلة التوحيد – عدد424 ربيع آخر 1428هـــــ – حلقته الخامســة عشـر تحت عنوان " ما يستلزمه القول بالتفويض فى معانى الصفات " وجاء فيه ما يلى :

أولا : اســتدل على (وجوب التدبر فى الله وفى صــفاته الذاتية) بالآيات القرآنية التى توجب التدبر فى القرآن، وبأنه نزل باللغة العربية. وقال أن الله لم يســـتثن من ذلك شيئا. وأقول له قولك مردود بقول النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره). قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية، و رواه الأصبهاني في الترغيب و الترهيب، و رواه أبو الشيخ، وهو صحيح المعنى. وعموم اللفظ فى موضـع لا يمنع من الاسـتثناء الذى قد يأتى عليه فى موضـع آخر، كما قال الله عز وجل عن الإنسان { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً } الأحزاب:72 وقال { قُتِلَ الإِنسَـــانُ مَا أَكْفَرَهُ }عبس:17، فهذا التعميم فى وصـــف الإنســـان بالظلم والجهل والكفر، يستثنى منه بالتأكيد الأنبياءُ والصحابة والصالحون كما ورد فى مواضعه.

ثانيا : وقال (كما يستوجب القول بالتفويض أن يكون الله تعالى قد أنزل نحو مائة آية عبثا لا تفيد العباد عقيدة ولا دينا.. إلى أن قال بوجوب إلزام الناس أن يعتقدوا بـ

(معانيها اللغوية) وأن لا يبحثوا عن كيفيات صـــفات الله التى دلت عليها الآيات، وأن (الكيفيات) هى وحدها الممنوع تتبعها، فهى من المتشـــابه دون أصـــل معناها. وعاب على الأشاعرة تأويلهم لها بالقدرة والعناية. ومع أننا نشاركه القول بوجوب عدم تأويلها، لأنها جاءت لإثبات وجود الله نفســه وحتى لا يتسـاوى الله نفســه مع العدم.. إلا أننا لا نرى إثباتها فى القول بتصـويرها أو تركيبها أو محدوديتها لتوجد فى مكان دون مكان، لأن هذا القول يأتى فى صـميم الكيفية وليس فى معنىً لغوى لدينا به علم من رؤية أو إدراك. وهذا هو بيت القصـــيد : هل مفهومه لأوصـــاف الله الذاتية يأتى تحت معنىً لغوى جاءه من رؤيته وإدراكه لله نفســه ؟ أم أنه يأتى تحت الكيفية التى يتفق هو معنا على حظر التفكر فيها ؟. والإجابة تأتى فيما يلى: إن المعنى اللغوى لأىِّ يدٍ معروفة لنا يكون باليد العضـــو المصـــورة المركبة المتحيزة، وجاء هذا المعنى اللغوى لليد من المعاينة والإدراك والرؤية لهذه اليد ولصـــاحب هذه اليد، ومن هذه المعاينة وهذه الرؤية وهـذا الإدراك يتكَوَّن عنـدنـا العلم بـالمعنى اللغوى بعلم يقينى مُلزم يلزم على الجميع إعتقاده. ولكن الأمر يختلف تمام الاختلاف عند الكلام عن وصـف الله سـبحانه، فهو لا تدركه الأبصـار رغم أنه يدركها، ولا تحيط به العقول والأفكار مع أنه يحيط بها، بل إن باب التفكر فيه محظور شــرعا، فكيف فى وقت واحد يَجبُ ويَحرُمُ علينا التفكر فى الله أو قياسه علينا ؟!! لقد ثبت لنا ولكم حظر التفكر فى الله نفسه وحظر القياس، فمن أين لكم القول بوجوب اعتقاد (شـــكلٍ ما) قلتم بحدودٍ له واســـتقرارٍ بعيدٍ عنا ! ورُبَّما اعتقدتم فى تركيبه !، كل ذلك جاء قياسـا منكم على المعنى اللغوى المسـتمد من شـكل المخلوقات وهيئتها ؟! أم من أين تستمدون معنىً (بشكل ما) ليد الله ؟!

من هنا اختلف الأمر والتبس عليكم بين المعنى اللغوى المتاح المباح – حســب ظنكم – وبين الكيفية الغيبية غير المتاحة وغير المباحة. ولأن الله نفســه ليس كمثله شـــيء فلا يجوز القياس، بل يجب أن يقف المعنى اللغوى فى هذه الحالة عند وجوب الإيمان بوجود الله نفســه ومباشــرته لأفعاله بنفســه، فمع أنه قد يكلف الملائكة وغيرهم بالقيام ببعض الأعمال، لكنه مع الجميع حاضر لا يغيب.

والخلاصة :

إنه فى غياب المعاينة والرؤية والإدراك والتعقل، ومع غياب القياس والتشـــبيه والتفكر بالحظر والتحريم، يندرج الكلام عن وصـــف الله نفســـه تحت الكيفية الغيبية التى يتفق الجميع – بما فيهم أنتم – على التفويض فيها، ويكتفى فى هذا الباب بالتسليم والإيمان بوجود الله نفســـه متى وأين ذَكَرَ اللهُ لفظا يكنى به عن نفســـه، هكذا فســـر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وجه الله بأنه الله نفسه. وبذلك لا تتعطل المائة آية التى ذكرتم، ولا يتعطل كل القرآن وكل الســـنة فى الكلام عن وجود الله فى الســـماوات وفى الأرض وفوق العرش قائما قيوما يباشر أفعاله. أم ستبكون على مائة آية لايزال لها معناها نورًا منيرًا فى إثبات حقيقة وجود الله نفســـــه متى ذكرت، ولا تموتون كمدا على بقية القرآن المعطل ؟!!

وإذا بكيتم على العلو والفوقية، فإن معناهما فى حق الله المعية والاتســـاع، وليس البعد والاعتزال ؛ لأن العلو يحيط بالكرة الأرضـــية فى كل الاتجاهات وليس فى جهة واحدة كما كان ظن بعض الســـلف رضـــى الله عنهم. وأصـــبح الآن من المعلوم بالضـــرورة أن الأرض تســـبح فى الســـماء حول الشـــمس، وكذا الكواكب الأخرى والنجوم كلٌ فى فلك يسبحون، كلٌ سابح مسبح بحمد الله ولا انفصال عن السماء ولا غياب عن السماء، بل هى المعية والاتساع، والله مع الجميع ممسك بالسماوات والأرض أن تزولا، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، يبســـط ويقبض يحيى ويميت يتوفى الأنفس فالق الحب والنوى يتجلى بما يشـــاء على من يشـــاء متى يشـــاء أين ما يشـــاء، لا حَدَّ له، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن. كما ثبت أنه بكل شيء عليم ثبت أنه معنا أين ما كنا، ولا يغنى هذا عن ذاك !!.. فهل ءامنتم بالكتاب كله ؟ أم لازلتم تكرهون قرب الله ؟! أنَّى لأمَّةٍ فرَّطت فى معية الله أن ينصـــرها الله ؟!!! وكيف يصـــرف الله عنها الحزن وهى لا تؤمن بأن (**الله**) معها ؟!! حســـبنا الله ونعم الوكيل. والســـلام عليكم ورحمة الله.

2007/4/25 محمد إسماعيل جبر

كلمة أخيرة :

وبعد ذلك يتبين لنا أن إصـرار بعض (العلماء) على اسـتبعاد وجود الله نفسـه معنا، جعلهم متفرقين فيه فيما بينهم، وضـربت أقوالهم بعضـها بعضـا. ولو أنهم سـمحوا لأنفسهم ببحث المسألة على أساس أن الله معنا حقا بنفسه وبجميع صفاته، لو يفعلون ذلك ولو مرة واحدة يفترضـون فيها وجود الله نفسـه معهم، أقول ولو على سـبيل الافتراض، لاكتشفوا ساعتها الفارق العظيم بين ما هم عليه الآن وبين الحق الذى يريد الله منهم أن يؤمنوا به !. لماذا لا يفعلون وجميع الطرق وكل الأدلة تؤدى إلى حقيقة القرب والاتسـاع ؟! إن كل الأدلة التى جاء بها د/ محمد عبد العليم الدسـوقى فى حلقاته عن "صفات الله"، سواء كانت أدلة من القرآن والسنة، أو حتى من أقوال الكثير من السلف الذين يعتمد عليهم، كلها أدلة تقضى بالقرب الحقيقى لله نفسه معنا.. وبدلا من الإقرار بهذا الحق، نجد الكاتب يقفز فوق هذا المعنى ويعدل عنه ليقرر ما يحلو له !. وعندما نقول له لا يصـح لك أن تفهم الوجه واليد والقبضـة كأعضـاء لأن الله بنفسـه سيأتى إلى أرض المحشر لمحاسبة العباد مع أن الأرض جميعا قبضـته يوم القيامة، ولا يتأتى أن يأتى الله كله فى قبضته – وهى جزء منه على مفهوم فضيلته !! – يقول: نفوض كيفية ذلك إلى الله !. ونحن نقول له إن التفويض يجب أن يبدأ قبل التشبيه والإبعاد وتعطيل القرب وليس بعد ذلك. وإذا نحن فهمناها بكناياتٍ حقيقية عن الوجود الحقيقى لن نخالف قواعد اللغة، ولن نخالف القرآن والسُـنّة، وما شـبَّهنا وما جسّمنا وما كيّفنا وما عطلنا.

—

وفى الحقيقة ما كنت أتوقع أن أختم كتابى هذا بانتقاد السادة العلماء، لأنهم أصحاب فضل لا ينكر على كل طالب علم، لكن ماذا أفعل وقد أداروا ظهورهم لكل هذه الأدلة القطعية على وجود الله معنا، ثم أحوال الأمة المتردية بسبب غفلتنا عن الله وهو معنا كما قال بنفسه.

خطبة الجمعة 2007/6/1

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه، أما بعد : يقول الله عز وجل :

{ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} 251 البقرة

{ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} 40 الحج

سنة التدافع سنة إلهية ماضية بين أهل الحق وبين أهل الباطل، بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر، فينصر الله من ينصره ويخذل ويهزم من يناوئه.

وكما أنَّ دفعَ أهلِ الحقّ لأهلِ الباطلِ واجبٌ شرعيٌّ على أهل الحقّ للحفاظِ على أمْنِ بلادِهم وللحفاظ على أرواحِهم وأموالِهم وللحفاظ على حريتِهم فى عقائدِهم وشعائرِهم، فإنَّ هذَا الدفعُ واجبٌ عَليهم أيضاً بنفس الدَّرَجةِ ولنفسِ الأغراضِ عندما يرميهم أحدُ الناس بالكفر ظلماً وعدواناً وبلا دليل من شرع الله عز وجل ؛ ذلك لأن الحكم بالكفر على إنسان يترتب عليه نتائج وإجراءات على أعلى درجة من الخطورة ربما تكلفه روحه وماله وعرضه وأهله، فما بالنا لو اتسع هذا الحكم بالتكفير لينال السواد الأعظم من الناس ؟ ماذا ننتظر لو حكم أحدُ الموتورين بالكفر على أكثر أهل مصر المسلمين المؤمنين، ثم تملك يوما ما من السلطة أو من القوة التى تملكه من رقابهم وأموالهم؟!

إنها ستكون فتنة كفتنة المسيخ الدَّجَّال.

ونحن اليوم بصدد هذا النموذج السافر من المكفرين الذين يرمون أمَّة النبى محمد صلى الله عليه وسلم بالكفر وبالخروج عن ملَّة الإسلام، لا لإنهم تركوا القرآن والسنة، ولا لإنهم تركوا ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولكن فقط لأنهم لا يُذعنون له ولا يقولون بقوله حين يشبه اللهَ بخلقه ويُبعِد اللهَ عن خلقه !!

إنَّ مذهب المشبهة المجسمة مذهبٌ باطلٌ فاسدٌ ظهر قديماً على يد بعض اليهود وبعض النصارى، ثم عندما جاءت النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانتشر

نور الإســلام فى ربوع الأرض إندس بعض اليهود الماكرين مثل عبد الله بن ســبأ فى صـفوف المسـلمين حيث تظاهر بالإســلام مكراً وخديعة، وقال بتشـبيه الله وتجسـيمه وتركيبه من أعضاء مثل الوجه واليد والعين والقدم قياساً على جسم الإنسان. وتصدَّى له جميع علماء المسـلمين ابتداءً من الصـحابة الكرام الذين عاصـروه، ثم تصـدَّى له التابعون وتابعو التابعين وإلى يومنا هذا.

ولكنَّ هذا المذهب المشـؤوم أطل علينا برأســه الخبيث مرة أخرى لابسـاً لباس العلماء الربانيين الغيورين على الإســلام !! فمن قلب مصــر المحروســة بلد الأمن والإيمان والسـلامة والإسـلام، من 8 شـارع قوله بعابدين – بجوار قصـر عابدين الشـهير– من قلب القاهرة تخرج علينا مع غرة كل شــهر عربى مجلة تحمل اســم " التوحيد " يكتب فيها المشبِّهُ المجسِّمُ / محمد عبد العليم الدسوقى الذى يؤكد لنا على أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ مركب من أعضاءٍ تتكون منها " ذات " يأخذ هو معناها من معنى أعضاء جســم الإنســان وذات الإنســان، وفى رأيه لا يختلف الله عنا إلاّ فى مضــمون ومادة وكيفية وطعم ولون وحجم هذه الأعضــاء !! فضــرب مثلا لذلك باختلاف ثمار الجنة عن ثمار الدنيا فى الطعم لا فى الشكل !! ثم هو يعتقد ويؤكد على أن الله ليس معنا بهذه الذات المجسمة المركبة ولكن يستقر بها فوق العرش بعيداً بعيداً عن خلقه!!

ثم يسـتمر فى الضــلال والتضـليل ويؤكد على أنَّ كلامه هذا عن الله سـبحانه وتعالى مطابق تماماً لعقيدة النبيِّ صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن خالفه وفوّض المعنى لله فقد خالفهم !.. فهو يرفض تفويض كيفية الله لله وحده كما أمر النبيُّ صـلى الله عليه وسلم وكما اعتقد الصـحابة والتابعون، فهو يتمسك بمعانى هذه الأعضـاء فى اللغة العربية القائمة على القياس والمشـاهدة، ولا يفهم لها معاني إلا بالصـورة والشـكل والهيئة المجسمة قياساً على صورة وشكل وهيئة الإنسان !! ويحتج بأن الله كلمنا بلغة نفهم معانيها. وأقول له إذا كانت المعانى فى اللغة لا تأتى إلا من مشــاهدة أو قياس، فهل أحدٌ شــاهد اللهَ وعاينه حتى نخضــعه لمعانى اللغة عندنا؟ وهل يجوز قياس الله علينا والله قد قال لنا أنه ليس كمثله شــيء ؟ هنا تدخل المعانى والكيفية معا فى باب

الغيب الذى لا يعلمه إلا الله والذى لا تتعطل معه حقيقة القرب والاتســـاع والمعية والفوقية ووجود الله المطلق اللامحدود، ومع هذا لا يجوز أن ننكر ما وصـــف الله به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم، ولا قول هنا لأبى فلان أو لأبى علان. أما عن الأماكن القذرة التى يخافون على الله منها، فهى قذرة بالنسبة للبشر لا بالنسبة إلى الله، تنال البشر بالأذى ولا ينال الله منها شيء مما يتأفف منه الناس.

ولأنه زاد وعاد وطال وأفاض فوصل إلى الحلقة السادسة عشر هذا الشهر ويدّعى أن كل من لا يؤمن برأيه فهو يصف الصحابة والسلف بالجهل !، إتصلت به وكتبت إليه أكثر من خمس مرات ناصحاً وموضحاً خطورة ما يقول خصوصاً وأنه أكد على تكفير كلِ من لا يقول بقوله، لكنه جعل أُذُناً من طين وأُذُناً من عجين !.. فوضـــحت له أن جميع الأدلة وأقوال السلف التى يسوقها لنا فى كتاباته لا تفيدنا بالتجسيم أو بانحسار أو بُعد الله عنَّا، وأنها أدلة تفيدنا باتساع الله معنا وفى السماوات وفوق العرش، وأهديته كتابى بعنوان " إن الله معنا حقا " الذى فيه من الأدلة الشـــرعية والأدلة الكونية والأدلة العلمية والعقلية ما يحســم هذا الموضــوع ويرفع التكفير الصـــادر منه على أمة النبى محمد صلى الله عليه وسلم. وزيادة فى الحرص والإهتمام اتصلت تليفونياً بالدكتور/ جمال المراكبـــ الرئيس العام والمسئول الأول عن تلك المجلة وما يُكتب فيها فكان ردُّه علىَّ أنه لا علاقة له بما يُكتب فى المجلة!، فطلبت منه أن يتكرم علىَّ بمقابلة شخصية معه لبحث الأمر خصوصاً أنه وصل إلى حد تكفير المسلمين المؤمنين ظلماً وعدواناً، فجاء ردُّه علىَّ بمقال كتبه بقلمه الشـــخصـــى فى إفتتاحية عدد المجلة هذا الشهر جمادى الأولى لعام 1428 هـــ الموافق مايو 2007 م ليؤكد على أنهم وحدهم بقولهم هذا عن الله هم أهل السُّـنَّة وأن جميع من خالفهم كافر يجب مقاطعته واجتنابه ويجب عدم مجالســـته أوالإســـتماع إليه ! ويلعن كلَّ من تكلموا فى الله بغير كلام الله ورسوله ويسميهم أهل كلام– هذا جيد.. وهذا ما نطالبه ونطالب غيره به– وينسى أنه هو وجماعته منهم!، فعندما يقولون أن الله ليس معنا بذاته، وأن الله بائن أى بعيد بذاته

عن أرضـــه وســـماواته، فهذا كلامٌ ليس لله ولا لرســـوله، ولكن من إختراعهم واختراع أسلافهم، ولو سمعه النبى صلى الله عليه وسلم منهم لحكم فيهم بحكم الله فيمن يكذب عليه. وعلمت أن المقابلة الشـخصـية معه لن تتم ولو تمت لا جدوى منها، فقررت أن تكون خطبة الجمعة اليوم 2007/6/1 خطاباً مفتوحاً إلى كل من يهمه الأمر.. إلى كل من يهمه دين الإسـلام من العلماء والمؤسـسـات العلمية.. وإلى كل من يهمه أمن مصر المحروسة وأمن أهلها الطيبين الصابرين. اللهمَّ قد بلغت.. اللهمَّ فاشهد.

أما عن سنة التدافع وواجب التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل.. فقد حاول فريق كبير من العلماء من الذين قالوا إنا أشـاعرة، حاولوا مواجهة أهل التجسـيم والتشـبيه والإبعاد والتغييب لكنهم فشـلوا وكلَّت حيلتهم ثم سـكتوا تماماً.. وبالتحليل العلمى الموضـوعى نستطيع أن نعلل هذا الفشل وهذا السكوت لأسباب كثيرة من أهمِّها ما يلى :.

أولاً : أن فريق التجســيم والتشـــبيه أثبتوا مكاناً لله ولو أنه جاء بعيداً ومحدَّداً، ولكن الأشـــاعرة لم يثبتوا مكاناً واســتعاضــوا عن ذلك بتعبير " الوجود المطلق "، فأثبتوا لله الوجود المطلق. ومع أن الوجود المطلق لغة يعنى أن الله بنفسه يوجد فى كل مكان إلاَّ أن الكثيرين منهم اليوم ليسوا على يقين من ذلك ولا يقولون به صراحة، لأنهم أصابهم الكلام عن الله بذاتٍ، وأصـــابهم الكلام عنه بأنه بائن مكانيا وذاتيا عن خلقه بمعنى البُعد !، وأصــبح قربه عندهم مجازا وخيالا !، وأصــابهم الخوف والرعب من الحلول والاتحاد والأماكن القذرة. ولكنى قمت بالرد على كل هذا (الكلام) وعلى كل هذه (التخوفات الوهمية) فى كتابى بعنوان (إن الله معنا حقا)، فرفعت التضـــارب المزعوم بين حقيقة العلو وحقيقة القرب لله سبحانه، وانتصرت لمبدأ التوقيف والإمرار.

ثانياً : قد يفهم الكثيرون أن نَهْىَ الشــرع لنا عن الجدال يعنى أن نمتنع عن الكلام فى إثبات حقوق الله، ومنها وجوده الحقيقى معنا ومنها حظر تشبيه الله بكل المخلوقات بما فيهم نحن البشر.. ولكن الحقيقة أن النهى عن الجدال لا يمكن أن يكون معناه إسكات أهل الحق عن الحق فى حين أن أهل الباطل يتكلمون بالباطل !!.. ولقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً { وجادلهم بالتى هى أحسن } أى جادلهم بالوحى

الذى أنزل إليك لا بكلام من صـــــنف كلامهم، وما هذا إلاّ للدفاع عن الحق وإبطال الباطل.

ثالثاً : الظروف الأمنية والإقتصـــادية، وارتباط الكلام فى الدين بلقمة العيش والوظيفة والمنصـــب والجاه والســـلطان.. فكما أفادنى بعض كبار المســـئولين العلماء بجماعة أنصار السنة أنهم لا يستطيعون مراجعة أفكارهم وعقائدهم ولا يجرؤون على تغييرها أو تعديلها مهما تكن الظروف !، لأنهم يعتبرونها من مبادئ الجماعة الثابتة والتنازل عنها يعنى حل الجماعة !!.. رأيت نفس الشـــىء عند علماء الأشـــاعرة اليوم، فهم لا يســـتطيعون العدول عن التأويلات المعطلة لنصـــوص القرب والإتســـاع !!، فالجميع يحافظون على (المذاهب الكلامية) لا على (الرواية عن الله) !

نســـأل الله لنا ولهم ولجميع المســـلمين الهداية والســـداد والتوفيق إنه نعم المولى ونعم المجيب.

<u>خطبة الجمعة 2007/6/29</u>

الحمد لله وأشهد ان لا إلاّ الله وأشهد أن محمداَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد:

قال الله عز وجل { وما أصـــابكم من مصـــيبة فبما كســـبت أيديكم ويعفوعن كثير } الشورى 30

وقال النبى صـلى الله عليه وسـلم " <u>والذى نفسـى بيده</u> ما من خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاف عِرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه اكثر " رواه الطبرى وابن عساكر ـ وقال صلى الله عليه وسلم " لا تصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلاّ بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر " رواه الترمذى – فأين كانت نفس النبى ساعتها ؟

والنجاة تكون فى التوبة إلى الله واســـتغفاره ســـبحانه من كل ذنب وخطيئة مع الدعاء المستمر : قال سبحانه { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما } النساء 64 { أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أءله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون } النمل 62

.كما قال النبى صلى الله عليه وسلم " لا يرد القضاء إلا الدعاء " رواه الترمذى

ـــــ لذلك نوصــى أنفسـنا جميعاً بالتوبة إلى الله وتجديد التوبة والإسـتغفار، وذلك بترك المعاصــى والندم الشـديد على ما اقترفناه والعزم على عدم العودة إلى المعاصــى، ورد المظالم إلى أهلها وإعطاء كل ذى حق حقه.

. هذا هو قانون الثواب والعقاب عند أمة الاسلام، قانون ثابت دائم فى الكتاب والسنة.

ـ وقد يُمهل اللهُ بعضَ الناس ولا يُعجِّل لهم العقوبة.. لكن الله يُملى للظالم فإذا أخذه لم يُفلِتْه، { ولا تحســـبن اللهَ غافلاً عما يعمل الظالمون }.. وقد يَمُدُّ اللهُ الظالمين من عطائه ونعمائه فى الدنيا ويدَّخرُ لهم العقوبة فى الآخرة ــــــ كما هو شـــأنه مع أكثر الكافرين . لأنه ليس بعد الجنة من ثواب وليس بعد جهنم من عقاب.. يوم يَعضُّ الظالم على يديه ويقول ياليته اتخذ مع الرسول سبيلاً.

{ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدَّت للكافرين } سورة البقرة آية 24

. ونحن نتاكد من تطبيق القانون الإلهى للثواب والعقاب واضحاً أشد الوضوح فى كتاب الله عز وجل القرآن الكريم فى عقابه للأمم الســابقة الذين كذّبوا رســل الله وأنبيائه مثل قوم نوح أغرقهم الله، ومثل قوم لوط خســـف الله بهم الأرض، وإرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد، وثمود الذين جابوا الصـــخر بالواد، وفرعون ذى الأوتاد، وأقوام من بنى إسرائيل أخذتهم الصـاعقة ثم بعثهم الله مرة أخرى بدعاء موسى عليه السلام. وهذه هى الحفريات والآثار التاريخية لا زالت تشـــهد على ذلك. والأدلة على صـــحة قانون الثواب والعقاب الإلهى ثابتة قاطعة.. ولايكذب بها عاقل ولا يكذب بها مؤمن.

ــــ ولكننا نجد فى زماننا هذا من يكتبون فى بعض الصحف والجرائد والمجلات، ومن يظهرون فى وســائل الإعلام المختلفة، ويشــككون فى هذا القانون الإلهى ويدَّعون أن الزلازل والبراكين والأعاصـــير والحرائق والعَرَق والغَرَق لا علاقة لها بالثواب والعقاب، ولا بأفعال الله الحكيمة، ولكنها من عبث الطبيعة وفلتاتها !!. والعجيب والغريب أن من بينهم علماء دين ومثقفين يؤمنون بوجود الله وبكلام الله وبأنبياء الله ورســـله، ويؤمنون بأفعال الله وأنه فعال لما يريد !!.. فما هو التفســـير لهذه الظاهرة العجيبة ؟! وما هى أسبابها وما هى أهدافها ؟! ومَنْ وراءها ؟!..

ـــ إنَّ التفسير القريب الذى نرصده لأول وهلة هو أن أكثر هؤلاء المشككين فى قانون الثواب والعقاب الإلهى لم يكتمل لهم الحد الأدنى من العلوم الشـــرعية والكونية التى تؤهلهم للكلام فى الدين بصورة صحيحة. ولكنهم انفتحت لهم هذه الوسائل الإعلامية ولم يجدوا مفراً من الكتابة والكلام !! فكتبوا وكتبوا وتكلموا وتكلموا فيما ليس لهم به علم !! هذا إذا إفترضنا فيهم حُسْنَ النية. أمَّا إذا وجدوا أنفسهم يفعلون ذلك بسوء نية، وبقصد تلبيس الدين على الناس وإبعادهم عن ربهم، فإن التفسير سيختلف، والله أعلم بالنيات، ولكنهم يجب عليهم أن يتفحصوا نواياهم جيدا.

ـــ وأجد نفسى الآن مضطراً إلى توضيح وكشف الأسباب الأهم التى أدَّت إلى ظهور واستفحال هذه الظاهرة.. ظاهرة التشكيك والتكذيب بالقانون الإلهى للثواب والعقاب.. فأقول وبالله التوفيق :

أولاً: ظهور مذاهب دينية تتكلم فى إبعاد الله نفسه من الأرض بل ومن السماوات السبع تحت مزاعم العقلانية وهروباً من مزاعم الحلول والاتحاد، واستجابة لأصحاب الكلام والتفسير وتنزيه الله بالعقل !.. وقد قمت بالرَّدِّ على هذه المذاهب ووضحت وأثبت بالأدلة القاطعة خطأها فى هذا الشأن وأثبت قربَ الله الحقيقىَّ معنا ومع كل شيءٍ فى الأرض وفى السماوات يخلقه ويصوره ويُحيي ويُميت ويبدأ ويُعيد { قال فمن ربكما ياموسى (49) قال ربنا الذى أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى (50) } طه. وهو الذى يهدى الطيور فى أسفارها عبر القارَّات والبحار والمحيطات، وهو الذى يوحى إلى النحل ويهديها أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، وهو الذى يضع الأسباب كالميزان، فمن يأخذ بالأسباب فهو يأخذ بميزان الله فى كونه، ومن رفض الأخذ بالأسباب فهو يرفض الميزان.. وقد جاء الرَّدُّ مستفيضاً فى كتابى " إنَّ الله معنا حقّاً " وفى الخطب السابقة لمن أراد المزيد والتأكيد. وَلمَّا سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصف لهم ربَّه نزل قول الله { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد } هذه هى صفات الله. ولم يرد عليهم بالكنايات مثل " الوجه واليد والعين والأصابع...إلخ" فى مقام الوصف والتوصيف.. وإنما جاء بها فى مقام إثبات قرب الله ومعيته لخلقه فى كل القرآن والسنة بلا استثناء.

ثانياً : الخطأ وارد عند الجميع، وكلٌّ يُؤخذ منه ويُرد عليه إلا النبىّ صـــــلى الله عليه وسلم لأنه معصوم من الخطأ. وكثيرٌ من المفسرين خطَّأ بعضهم بعضاً بأدبٍ واحترام وفى إطار التناصح الشرعى.. ثم جاء من بعدهم أُناسٌ لم يلتزموا بأدب الحوار وقواعد التناصح الشرعى.. فأسَّسُوا مذاهبهم على العصبية العمياء وانتصروا لمذاهبهم ولو كان على حساب الحقيقة والرأى الأصوب!

. وهؤلاء المتاخرون أهلُ التقليد الأعمى هم السبب الرئيسى فى إستفحال ظاهرة التكذيب والتشكيك فى القانون الإلهى فى الثواب والعقاب، وكانوا ولا يزالون هم سماد التخصيب لأرض الجهالة والتشكيك عندما فصَلوا بين مكان وجود الله نفسه سبحانه وبين مكان وجود خلقه، فعزلوا الخلق عن خالقه وتركوه للأسباب. ولكن الأسباب ما هى إلاَّ أفعال الله الفعَّال لما يريد.. الأسباب أفعال الله الدالة على وجوده بنفسه مع خلقه.. الأسباب أفعال الله نفسه.. فإذا أحرقت النار فالإحراق فعله سبحانه، وإذا لم تحرق النار إبراهيم عليه الســـــلام فلأن الله منع فعله فيها، منع الإحراق، أى قال قول فعل " يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ".. وهذا شأنه مع كل الأسباب.. إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

ـ ولقد دفعهم تعصبهم لمذاهبهم إلى دخولهم دهاليز الظلام وحوارى التكفير والقول على الله بغير علم.. فنجد أحد هذه المذاهب الكبرى التى انتعشت وتفشت وانتشرت الآن فى بقاع كثيرة يكتبون فى مجلتهم الشهرية وفى جميع وسائلهم الدعوية كل ما يُغَذِّى عقيدة الإبعاد والتغييب والفصل المكانى بين الله وبين خلقه.. ولا يتورَّعُون من نسبة أفكارهم هذه إلى القرآن وإلى الأنبياء وإلى الصحابة الأجلاء !!. فإذا جاء هذا ممن تخصَّصُوا فى الدين فماذا ننتظر من غيرهم ؟!!!

وأخيراً : ما هو المخرج ؟! كيف نخرج بالأمة الإسـلامية من دائرة التشكيك والتكذيب فى وجود الله معنا ؟ إنَّ فى نجاة الأمة الإســـلامية نجاة العالم أجمع، وفى هلاكها هلاكه. لذا فإننى أؤكد على ما سبق التأكيد عليه.. إنَّ الأدلة الكونية المرئية لنا اليوم لا تفصل بين مكان الأرض وبين مكان السماء، فالأرض كرة تسبح فى السماء كغيرها

من الكواكب والنجوم تأخذ من الســـماء مكاناً بعد مكان، فأيٌّ مكان للأرض هذا الذى يُحرِّمُون وجود الله فيه ؟! وقد أخبر الله سبحانه عن وجوده فى السماوات وفى الأرض بلا أى إستثناء { وهو الله فى السماوات وفى الأرض.. } الأنعام3،

{ وهو معكم أين مـا كنتم }الحـديـد4 { مـا يكون من نجوى ثلاثـة إلاَّ هو رابعهم } المجادلة7.. وبالكنايات التى لم تذكر فى القرآن والســـنة إلا فى ســـياق التأكيد على القرب والمعية، وليس فى مقام وصـف هيئة أو رسـم شـكل. ويحلف النبى صــلى الله عليه وسـلم قائلا : " والذى نفســي بيده "، فأين كانت نفســه ســاعتها ؟ إنها كانت فى جســده بلا أدنى شــك، وفى يد الله فى نفس الوقت. فإن قالوا هنا بالكناية والمجاز فقد أسـتسـلموا معنا للقول فيها بأنها كنايات عن الله نفســه، فإن لم يثبتوا بها قرب الله فهُم فى تناقض وتخاصم مع أنفسهم، يقولون بإثبات صفة اسمها اليد لله ثم لا يثبتونها فى مكان ما أثبتها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم !!، وآخرون لا يثبتون لله وجودًا داخل الكون أو خارجه !! ما هذا الذى تقولون ؟!!!...

إنّ التعطيل ليس هو تعطيل اليد والوجه والعين... فهذه قد ثبتت بقراءتها، ولكن التعطيل هو تعطيل إثبات قرب الله ومعيته على الحقيقة.

—

السيد / رئيس تحرير مجلة التوحيد – السلام عليكم ورحمة الله.. وبعد :

معنى التفويض

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ **وَأُفَوِّضُ** أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }غافر:44

فما هو معنى التفويض ؟ وما حكم التفويض والمفوضين فى المعنى الكيفى لله ؟

يقول المفسـرون فى معنى التفويض (" وأفوض أمري إلى الله " أي أتوكل عليه وأسـلم أمري إليه. فإنه الكافي من توكل عليه) وبناءً عليه فإن " التفويض " فى اللغة وفى الشرع ليس معناه التعطيل أو عدم إثبات ما أثبته الله لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسله وأنبيائه.

بل إن التفسير والتأويل هما اللذان يؤديان إلى عدم الإثبات. والمفوضون لا يفسرون ولا ينفون ما أثبته الله ورسوله، بل يثبتون النصوص فى القرآن والسنة ويفوضون معناها الدال على حقيقة الله وكيفيته لله، لأنهم يؤمنون بأنه لا يعرف حقيقة الله إلا الله. ولا ينفى أحدهم شيئا ثابتا، ولا يرد فى ذلك نصا ولا يفسره، ولكنه ينفى التشبيه والتمثيل، ويفهمون منها ثبوت وجود الله أين ذكِرَتْ، أو هكذا يجب أن يكونوا، لأن أكثر الناس قد يخونهم التعبير.

ولأن التفويض فى اللغة والشرع هو على ما رأينا من معنىً طيب وخُلُقٍ كريم، فلا ينبغى الترفع عليه ولا يجوز التأفف منه أو نبذ المتخلقين به من المؤمنين، فيجب علينا إلزام أنفسنا كدعاةٍ إلى الله بالحفاظ على قيمة التفويض، وعدم الانجرار وراء مصطلحات المتكلمين وألفاظهم، التى قد تغترب عن اللغة العربية الفصحى أو تتصادم معها !، ذلك من أجل الحفاظ على القرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى.

أقول هذا لأننى بعد ما قرأت الحلقة الثامنة عشر من حلقات د – محمد عبد العليم الدسوقى فى مجلتكم – التوحيد – عدد شوال 1428هـ، آذانى موقفه من التفويض !! ؛ حيث يقول : ومما يجب فعله فيما استشكل أمره من الصفات واستغلق معناه : ترك السؤال عن غوامض تيك المعانى لا لكون ذلك تفويضا ولكن **تَيَمُّناً** بما كان عليه الأولون..إلخ، مع أننا عندما نقرأ له باقى الحلقة المذكورة نجد أن كل ما جاء فيها هو إثبات مع تفويض. فلا إثبات إلا مع تفويض ولا تفويض إلا مع إثبات. ومن فسر اليد بالقدرة لم يفوض، وإنما تجرَّأ وفسَّر ما لا يجوز تفسيره، وعطل دليل وجود الله نفسه عز وجل فى مكان ذِكر يده. ومن فهم اليد بصورة محددة ومحدودة ثم أبعدها فقد تفكر فى الله وانقدح فى ذهنه وخياله تكييفٌ من نوع ما، وحرام – كما أقررتم فى هذه الحلقة – على النفوس أن تتفكر فيه، وحرامٌ على الفكر أن يُدركه، وحرامٌ أن نصفه إلا بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.. إلى آخر ما كتبتموه فى **هذه الحلقة التصحيحية المباركة** ؛ لأنكم جئتم فيها هذه المرة بما يُسعد المؤمن

حقا. لكنكم لم تشيروا فيها إلى ثبوت قرب الله نفسه حقيقة مع عباده، وأشرتم فقط إلى ثبوت علوه بنفسه فوق عرشه، رغم ثبوت هذا وذاك فى الكتاب والسنة. ومرفق لكم (طيه) الدليل على قرب الله نفسه – كما جاء فى كتاب فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد إسماعيل جبر ت/ 0101949291 7 شوال 28هـ

المرفقات:

جاء فى كتاب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – دارالعربية بيروت لبنان1398هـ

فى الجزء الخامس ص466 يثبت قرب الله نفسه على الحقيقة فيقول : " وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستوائه على عرشه.. هذا هو مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر. وأول من أنكر هذا فى الإسلام الجهمية وبعض المعتزلة، فالذين قالوا أن الله كلم موسى بمشيئته وقدرته كلاما قائما بنفسه، هم الذين يقولون أنه يدنو ويقرب من عباده بنفسه " أهـ

وهنا نسأل ابن تيمية ومن معه : وأين أنت من هؤلاء ومن هؤلاء ؟ ألم تشهد هنا لمثبتي القرب الحقيقى بأنهم هم أئمة السلف وأئمة الإسلام وأهل الحديث ؟ ألم تشهد بأن "الذات" هى النفس ؟ أليس قرب الله بنفسه يعنى قربه بذاته ؟ وما الفرق بين القرب العام الدائم والقرب الخاص المؤقت ؟ إننا الآن بصدد إثبات إمكانية قرب الله بنفسه معنا فى الأرض ولو لمرة واحدة، فلو ثبت مرة واحدة فقد ثبت مطلقا، فاتساع الله نفسه ثابت هنا وهناك دائما، هو معنا حقا ومع غيرنا حقا، لكنه يفعل ماذا ويفعل متى وكيف ولمن ومع من وبمن، فهذه أفعاله الاختيارية – ولا شيء يجبره – كما نقلت أنت عن السلف آنفا، وهى دلائل وجود الله بنفسه مع كل شيء.. فلله فى كل شيء أفعال وآيات لا تقل عن تكليمه لموسى عليه السلام، لكن أين موسى ليسمع ربه فيها ؟، وهذا

شأن الله كل يوم، يرفع أقواما ويضع آخرين.. ولا يشغله شأنه فى شيء ما عن شأنه فى شيء آخر.

لقد حيرتنا يابن تيمية ! تأتى بأدلة تحتم إثبات القرب والاتســـاع، ثم تنتهى بنا إلى الانحياز إلى جهة واحدة وفى مكان محدد بعيد !!.. ففى الجزء الخامس ص141 تأتى بمن يقول (ســبحان من بَعُدَ فلا يُرَى) ! إنه كان مع موســـى فى الأرض غيرَ بعيد، فهل رآه موســـى وقتئذٍ ؟!.. وفى ص128 منه يقول { الضـــمير (نحن) للواحد العظيم الذى له (أعوان) يطيعونه }!. – فهل يجوز شـرعا القولُ بأنَّ اللهَ يُعينهُ أحد ؟ –، وفى ص130 منه يقول (لم يذكر الله أنه قريب من العباد فى كل حال)!!.. لأنه بعد أن أبى إلا أن يُعطل حقيقة القرب بحُجة الحلول والاتحاد – وهو كلام متكلمين – فلا يبقى أمامه إلا أن ينكر القرب مهما جئناه بكل آية !!، والآيات بين يديه، وأقوال الســـلف هو الذى نقلها لنا مع من نقلوا، ولكنه حجبته عنها لفظة " الذات" !.. ولكنه مع ذلك ربما يكون أفضل ممن لا يثبتون شيئاً على الاطلاق ويقولون : لا داخل العالم ولا خارجه !! يخافون من الحلول والاتحاد أيضــــا !!. يا ناس: المتكلمون لا يفقهون فكيف تقيمون لكلامهم وزنا ؟!

موقف ابن تيمية من لفظة (الذات) واستعمالها بدلا من (النفس) :

فى الجزء 6 ص 341، وجاء مثله فى الجزء 3 ص 334، يقول ابن تيميه : { وأما لفظ "**الذات**" فإنها فى اللغة تأنيث ذو، وهذا اللفظ يستعمل مضافاً إلى أسماء الأجناس، يتوصــلون به إلى الوصــف بذلك. فيقال : شــخص ذو علم وذو مال وشـرف، ويعنى حقيقته " نفسه "، أو عين أو نفس ذات علم وقدرة وسلطان ونحو ذلك.... إلى أن قال: فلما وجدوا الله قال فى القرآن (ويحذركم الله نفســـه) و(كتب على نفســـه الرحمة) وصفوها – أى نفس الله – فقالوا : نفسٌ ذاتُ علم وقدرة ورحمة ومشيئة ونحو ذلك، ثم حذفوا الموصوف وعرَّفوا <u>الصفة</u> فقالوا " الذات "، وهى كلمة مُولَّدَة ؛ ليست قديمة، وقد وُجِدَت فى كلام النبى صــــلى الله عليه وســـلم والصـــحابة، لكن <u>بمعنى آخر</u> كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم " لم يكذب إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات، كلهن فى ذات الله " أى لأَجْل الله وابتغاء مرضـــــاتـه ؛ <u>وليس المراد بذلك "النفس"</u>. ثم أطلقه

المتكلمون وغيرهم على " النفس " فإذا قالوا " الذات " فقد قالوا التى لها الصـــفات }.
ثم قال:

{ فإن كان هذا اللفظ أو نظيره ثابتاً عن النبى صـلى الله عليه وسـلم وأصـحابه، فقد وجد فى كلامهم اطلاق اســم " الذات " على " النفس " كما يطلقه المتأخرون }. (!!) انتهى كلام ابن تيميه. ولننظر: كيف نفى وجود لفظ " الذات " بمعنى النفس عند النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم أثبته !!

بيان أوجه الاضطراب وخطورته :.

<u>أولاً</u> : لفظ " الذات " ليس هو تأنيث " ذو "، وإنما تأنيث " ذو " هو " ذات " بدون ألف ولام. ولا وجه فى اللغة العربية مطلقاً لإدخال ألف ولام التعريف على أيٍّ من **<u>ذات</u>** أو **<u>ذو</u>**. فقوله (ثم حذفوا الموصوف وعرَّفوا الصفة) غلط !!، لأن كلمة ذات ليست هى الصفة، وإنما العلم والقدرة والرحمة والمشيئة هى الصفات، وهى القابلة لدخول الألف واللام عليها. وقد أكد على ذلك علماء النحو واللغة والشـــرع كما قال ابن حجر العسقلانى فى كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى الجزء الثالث عشر باب ما يجوز إطلاقه على الله لورود النص به وما لا يجوز اطلاقه لعدم ورود النص به.

وبينت ذلك تفصيلا فى كتابى بعنوان (إن الله معنا حقا). توزيع جريدة الجمهورية

<u>ثانياً</u> : لا يجوز فى اللغة حذف الموصـوف ما لم يثبت فى الكلام ما يدل عليه ؛ فإذا قلنا : محمد ذو مال فلا يجوز حذف محمد لأن باقى الكلام، وهو هنا: ذو مال، لن يكتمل به معنى ولا يمكن من خلاله تعيين الموصوف. وإذا اشتهر الموصوف بالصفة وتفرد بها وجاز حذفه لأنه معلوم، فلا بد من تعريف الصفة بأداة تعريف، مثل قول الله عزوجل : " إذن لابتغوا إلى ذى العرش ســـبيلا " وحينها تدخل الألف واللام على ما بعد " ذو " وليس على " ذو " نفسها. وفى مجال وصف الله لا دخل هنا لكلمة " ذات " المؤنثة على الإطلاق، لأن الذى يصـــلح مع الله كلمة " ذو"، ولا تصـــلح له كلمة " ذات ".

لكن لفظ " الذات " لم يكن هذا هو طريق ولادته، فلو جاء ليحل محل " النفس " لاحتاج هو بالتالى إلى كلمة " ذات " أخرى بعده !، فنقول (الذات ذات العلم والرحمة

و...) بدلا من (النفس ذات العلم والرحمة و...) !.. وهذه خربطة لغوية لا محل لها فى لغة العرب الفصحاء، وهى لم تأت قط على لسان النبى صلى الله عليه وسلم أو أصحابه.

<u>**ثالثاً**</u> : لقد أقر ابن تيميه بنفسه فى كلامه هنا بأن " الذات " كلمة مُولَّدة أى مستحدثة أى مبتدعة، وليست قديمة، ولما بحث هو وغيره عنها فى كتاب الله و فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجدوها بدون الألف واللام، ولابد لها أن تضاف إلى شىء، فإذا ما أضيفت إلى الله سبحانه وكانت " ذات الله "، وجدوا معناها فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم مرضاة الله أو سبيل الله، وليس المراد منها " نفس الله " أبدا، وأقر ابن تيميه بذلك وخطَّه بيمينه حيث قال (فاسم" الذات " فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة واللغة العربية المحضة <u>لا يطلق على النفس، وإطلاقه على النفس اخترعه المتكلمون مؤخراً</u>). ولكن ابن تيميه بعد كل ذلك، وفى نفس الصفحة من نفس الكتاب يقول (فإن كان هذا اللفظ " الذات " أو نظيره ثابتاً عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد وُجد فى كلامهم إطلاق اسم "الذات" على "النفس" كما يطلقه المتأخرون !!.. وجاء بحديث : " تفكّروا فى آلاء الله، ولا تتفكروا فى ذات الله ".. قال عنه أنه مرفوع وغير مرفوع. ولكن الحديث رواه أبو نعيم فى الحلية بدون كلمة " ذات " هكذا: " تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا الله قدره ". ولا دليل فيه على ما أراد ابن تيميه. فلا وجاهة من الناحية الشرعية، ولا من الناحية اللغوية، ولا من أى ناحية أخرى، للقول بما قاله ابن تيمية من توليد لفظة "الذات" من هذا الطريق. والأدهى والأمَرّ، هو خلطه للأوراق ومحاولته تأصيلها فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة بعد أن أقر هو بنفسه بعدم وجود أصل لها عندهم فى معنى النفس !. فإذا لم تدله أفعال الله فى الأرض، وقربه بنفسه مع موسى عليه السلام يكلمه فيها، ويده يأخذ بها الصدقات من عباده، ورحمته التى وسعت كل شىء وهى لا تنفصل عن نفسه، إذا لم يدله طلاقة التعبير فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى إطلاق

المعية والقرب والعلو والاتساع، فلإنه تعلق بلفظٍ لا أصل له فى لغة العرب، ولا أصل له فى شرع الله عزوجل، وارتكن على العقل والتفسير والكلام !!

رابعا : وفى الجزء 5 ص544 يقول ابن تيمية :

(فالمتكلمون الذين ابتدعوا وزعموا أنهم نصروا الإسلام وردوا على أعدائه كالفلاسفة، لا الإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا، بل كان ما ابتدعوه مما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم فأفسدوا عقله ودينه، واعتدوا على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لأعداء الإسلام أبوابا إلى مقاصدهم) اهـ

فلماذا اتبعهم ابن تيمية فى لفظة " الذات " التى اختلقوها، وهو المشهور بحصافته ودقته وعلمه الغزير ؟ وقد علم أن اللفظة جاءت فى أقدس ما عند المسلم من عقيدة، فى الله نفسه وفى كيفية ومكان وجوده !.. لماذا برَّرَ لهم ذلك وحاول أن يؤصل لها فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد أن أقر بعدم وجودها عندهم؟ لماذا تلقفها من المتكلمين وبنى عليها مذهبه؟ شيء محير حقا، إنها آلت به إلى فعل الكثير مما عابه عليهم !، لأن عقيدة الإسلام فى الله بعيدا عن هذه اللفظة " الذات " لا تعرف حدودًا لله، ولا تعترف بغياب الله نفسه من أى جهة أو مكان – ولا حلول ولا اتحاد – وبالتالى تثمر العقيدة لدى المسلم أنسا بالله، وتثمر فى القلوب مراقبة حية دافئة قريبة شاملة متصلة، وتثمر توكلا حقيقيا نافعا، وتقضى على الغفلة المميتة التى تلتقم قلب الإنسان التائه المتبلد الكسول، وتخفف من وحشية الإنسان وحيوانيته وإجرامه، لأنه سيستحى من الله الذى معه.

ودعونا نسأل أنفسنا بصراحة : بماذا أفادت هذه اللفظة أمّةَ الإسلام منذ ظهرت ؟!!.. وهل الذين عاشوا من قبل ظهورها، وعلى رأسهم النبى وأصحابه، لم يكونوا مؤمنين أتقياء محسنين بدونها ؟!.. والإجابة بصراحة أيضا : إنه لم يتدهور الإيمان، ولم تتقهقر الأمة إلا بعد ظهور " الكلام " والمتكلمين بـ" الذات". ومن المغالطة الممقوتة هنا ربط البعض لعلم التوحيد، ومعنى التوحيد، ومفهوم التوحيد، بمفهوم الذات البعيدة !! مال التوحيد ومال " الذات " ؟ التوحيد هو الاعتقاد فى أن (الله) أين ما كان هو

خالق كل شـيء، وهو الفعال لما يريد، وأن كل شـيء بقضـائه وتقديره، وأنه هو النافع الضـــار.... إلى آخر أســمائه وأفعاله الثابتة. ونحن ممنوعون شــرعا من التفكر فيه نفسـه، فكيف نجعل التفكر فيه نفسـه، والتفصـيل فيه نفسـه حتى القول بإبعاده !، كيف نجعل ذلك علما أو عملا نعبد الله به ؟! كيف نجعل هذا من التوحيد ونحن نعصـــى به الله ورسوله ؟!!

خامســاً : معنى ومدلول " النفس " فى الحقيقة والشــرع لا يحتوى على الأجســام أو الأجسـاد المادية المعروفة بالحدود والأبعاد، ويمكن للنفس الحياة والبقاء بدون الجسـد، بعكس الجسد فهو لا يحيا بدون النفس. والنفس البشرية لا نعرف عنها الشـىء الكثير، فما بالنا بنفس الله سبحانه ؟! إنها لن تخضع لمقاييس البشر المادية أو غير المادية.. هذا إن جاز لنا أصـلا الكلام بالمشـاكلة اللفظية بين نفس الخالق وبين نفس المخلوق، فربما يكون الله فى حقيقته غير قابل لهذا التقســيم عمليا أو نظريا، ربما تكون كلمة (نفس) الواردة له فى القرآن والسـنة لمجرد تحقيق وإثبات الوجود الخاص به الذى ليس كمثله شـيء، فلا تركيب ولا تصـنيف، وسـاعتها سـيندم كل من تناول حقيقة الله على مائدة البحث والتفصـيل وخالف قول النبى صـلى الله عليه وسـلم " لا تتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا الله قدره "، فكان يكفينا فى ذلك القراءة مع الإمرار واعتقاد كل ما جاء على الحقيقة حيث وصـف اللهُ اللهَ بالإتسـاع المطلق الذى لا حدود له، وبه يَثبتُ وجودُ الله فوق العرش ووجودُ الله مع أى شــــيء وفى كل مكان وفى كل جهة وفى كل زمان على الحقيقة كما فى كتابه وسنة رسوله صـلى الله عليه وسلم مع تفويض الكيفية لله. هذا الوجود الحق الثابت لله عز وجل ليس مثله شـيء ولا يحل فى شـيء ولا يتحيز فى شـيء ولا يضـره شـيء، فهو الباطن القريب بالتوازى مع مخلوقاته فى أماكنهم ثم فوقهم لأنه الأوسع، وليس بعيدا على التوالى بعد وجودهم. ونفس الإنسان إذا سبحت فى كل مكان أثناء نومه فإنها لن تتأثر بطهارة المكان أو عدم طهارته، ولن يعوقها العالم المادى بجميع أشـكاله وأحجامه وأحكامه عن الحركة والوجود، لأن لها قوانين أخرى.. فما بالنا بالله عز وجل ؟! إن حقيقته النور وصفاته هى ما وصف به نفسه ووصفه به

رسله صلى الله عليهم وسلم ومنها الاتساع المطلق والقرب المطلق والعلو المطلق، مع من فى الدنيا ومع من فى الآخرة، مع من فى الجنة يرونه يتجلى لهم فى روضـــة من الجنة، ويضـــع قدمه فى جهنم لإهانة من فيها. أما التقييد فيأتى فى أفعاله ســـبحانه حسب مشيئته واختياره، فهو يتصف بالرحمة الواسعة، لكنه سيكتبها للذين ءامنوا وكانوا يتقون، ويتصف بالكرم المطلق، لكنه يكرم من يشاء ويهين من يشاء، ويتصف بالغِنَى المطلق، ولكنه يبسط لمن يشاء ويقدر.. وهكذا.

سادساً: متى ارتبط مفهوم " الذات " عند المتكلمين وعند الناس عامة بالصورة المركبة من أعضاء، يصبح استعمال هذه اللفظة فى حق الله سبحانه جريمة، وقد أثرت بالفعل فى عقل ابن تيمية وفكره ومذهبه، فنجده يُؤكد على أن الله ليس مركباً من أبعاض أو أعضـــاء، ثم يتكلم فى يد الله ويديه وأياديه، ووجهه وعينه وأعينه، وأصـــابعه، وقدمه وساقه، وجنبه،... كلاما تفصيليا ليسير بها مع الإثبات التفصيلى التركيبى المعقول لها عند المخلوقات، ثم يفوض فى الكيفية !. وكل ذلك جاءه من وَحْى لفظة " الذات " التى ألزم نفســه بها بدون أدنى ضــرورة شــرعية. ونحن نعلمُ أن إثباتها واجب، ولكن إعتبارها كنايات عن الله نفســه أين ما ذكرت يكفى لإثباتها وإثبات وجود الله نفســه أين ومتى ذكرت. فلم يلزمنا الشـــرع فى إثباتها أن نلتفت وننظر عليها فى مخلوقاته. ولقد ذكرها الله سـبحانه فى كتابه العزيز، وجاءت على ألسـنة رسـله وأنبيائه، لإثبات وجود الله سبحانه مع كل شئ فى أرضه وفى سماواته وفوق عرشه دون استثناء، ولننظر فى الآيات والأحاديث. وابن تيمية حين يثبتها لا يثبتها للأســـف فى مكان ما أثبتها الله ورســوله، ولكن يثبتها فى جهة واحدة بعيدة عن الســماوات والأرض، معطلاً فى ذلك كل نصـــوص القرب والمعية والاتســـاع المطلق!.. أليس ذلك من وحى " الذات " المحدودة كما أرادها المتكلمون؟! وكما أرادها هو بقوله فى الجزء الخامس ص326: (فلا يمكن وجود " **ذات** " لها وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص).. جاء ذلك قياسا منه " لذات " الله على " ذوات" المخلوقات !! حيث يقول (وأما الموجودات فى أنفسها فلا يمكن فيها وجود **ذات** لها وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص).اهـ ثم ربط التعين

والتخصـص بالمحدودية والجهة المحددة، فحَكَم فى (ذات) الله – أى فى الله نفسـه – بنفس تصـوره العقلى لوجود المخلوقات !!.. فهل يمكن للعقل أن يذهب مغرورا بنفسه إلى أبعد من ذلك ؟! ما هو المانع عقلا من أن يُطلق اللهُ نفسه مع كل شيء بالتوازى غير المنظور وفوق كل شـيء أيضـا، مستقلا مُتعيّنا لنفسه هو وليس متعينا لخلقه، لا يتصـــادم وجوده الخاص مع وجود مخلوقاته ؟!! إن هذا واردٌ جدا ويتحقق فى الذهن السليم، ويجوز تحققه فى الواقع إذا اختلف نور الله عن كل شـيء. وهذا هو الثابت لله عز وجل من قوله سبحانه { ليس كمثله شيء} فى نفسه، ثم يثبت لنفسه الصفات التى لن تحده بحد مكانى، ولن تجعله مماثلا لغيره بقوله { وهو السـميع البصـير}. فكيف يتسنى لابن تيمية أو غيره الحكم فى الله من خلال معرفته العقلية المكونة من إدراكاته لبعض المخلوقات ؟!

سابعاً: يبقى ويدوم الكلام عن الله سبحانه لله ورسوله فى الكتاب والسنة فحسب : الله نورٌ واسع أول آخر ظاهر باطن متعال قريب، معنا وفى السماوات وفى الأرض وفوق العرش لا يخلو منه مكان، ولا تخلو منه جهة مشـــرق أو مغرب (فأينما تولوا فثم وجه الله)، (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم...)، (وهو معكم أينما كنتم)، يأخذ الصـدقة من أحدكم بيمينه، ويعطى، ويقبض ويبسـط، ويُحيى ويميتُ ويفعل ما يريد، ويقضـى ما يشـاء، ولا يعرف الله نفسه إلا الله نفسه. وليس لعقول الناس مجتمعين أو منفردين سبيلاً إلى إدراكه أو الحكم فى كيف أو أين وجود الله نفسه إلا بالخبر الصادق من الله ورسله، فليس للعقل نفى حقيقة قربه واتساعه، ومبلغ العلم فيه أنه [نورٌ تلزمه صفاته ولا تنفصل عنه ولا تحده بحد]، وهو الله فى السماوات وفى الأرض، استوى على العرش وهو معكم أين ما كنتم. وعلمه صفة من صفاته لازمة لا تنفصل عنه، فلا يصح القول (الله بذاته فوق عرشه وعلمه فى كل مكان)، لأن هذا القول أبعده وما هو ببعيد، وجعل صفة من صفاته وهى العلم دليلا على بعده ومحدوديته، وما صفاته على ذلك بدليل !!. ولا يقوم علمه مقام حضـوره نفسـه واتسـاعه ومشـاهدته وسـمعه

وبصـــــره وقربه مع خلقه وأفعاله فيهم بيده. ولكن يصـــــح القول الذى جاء فى القرآن وحديث النبى صلى الله عليه وسلم وحسْب، بلا تغيير ولا تبديل ولا تفسير.

ومما يؤكد لنا الاتصـال الدائم بين السماء والأرض والتداخل المكانى المتجدد والمتغير بينهما، ما ثبت لنا علميا من كروية الأرض ودورانها وانتقالها الدائم فى السماء، ومنها عرفنا أن السماء هى هذا الاتساع المحيط بالأرض من جميع الجهات، وليست السماء جهة واحدة كما كانوا يتصورون قديما. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يربط السـماوات السـبع بالأرض مكانيا فيقول " النيل والفرات نهران من الجنة ". أين الجنة؟ إنها فوق السماء السابعة، ولكنها تتداخل مع الأرض مكانيا لأن عرضـها هو السموات والأرض، ومنها نهر النيل ونهر الفرات، وهى أقرب لأحدنا من شـــراك نعله، وفى السـماء رزقكم وما توعدون. والنبى يقول فى الصـحيح (إنى أظل عند ربى فيطعمنى ويسقينى)، ولقد أوصى كثير من السلف الصالح، وكثير من المفسرين أيضا، بضرورة الأخذ بظاهر هذه النصوص. وما على العقول السليمة إلا التسليم، وإلا.. فعليها وعلى الدنيا العفاء.

ومع أن ابن تيمية نهى عن التعصــب لفرقة أو طائفة أو شـيخ أو راية أو شــارة، كما جاء فى الجزء 3 ص343، إلا أنه لا يتســـامح مع من لا يؤمنون ببُعدِ (الذات)، بل يكفرهم ويهجرهم ويحرمهم من الجنة !.. إذن فليقل لنا أين نجد مقولة (الله ليس معنا بذاته) ؟ أين نقرأها فى كتاب الله أو فى كلام النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؟!!، وقد أقر الجميع بأن الكلام فى الله توقيفى– أى موقوف مقصور لله ورسوله. إن خطر لفظة (الذات) أبشــع مما نتصــور، لأن القائلين بها رتبوا عليها الإيمان والكفر !!، وعلى الاعتقاد فيها تدور الفتاوى، فابن تيمية وأتباعه يكفرون كلَّ من لا يعتقد فى بُعد " الذات " وانحيازها فوق العرش، ومنع وجودها معنا فى الأرض، ومنع وجودها فى السـماوات !!. وإنى لأهيب بجميع العلماء والمؤسـسـات العلمية أن يكشـفوا عن ذلك، وأن يُسـقطوا هذه اللفظة من قاموس اللغة ومن معاجمها، وأن يُجرّموا إسـتعمالها فى باب العقيدة الاســـلامية.. وألا يعرفوا الحق بالرجال، وإنما يعرفوا الحق من كتاب الله

وكلام النبى، ثم يعرفوا بالحق الرجال.. وألا يخشـــوا فى الله لومة لائم ولا غيبة مغتاب ولا همزة همّاز ولا غمزة غمّاز.. هذا إذا أرادوا النصـــح لله ولكتابه ولرســـوله ولأمة الاسلام وللناس كافة.

ونسأل الله دوام السداد والتوفيق والحمد لله رب العالمين.

القاهرة فى 7 شوال 1428هـ

محمد إسماعيل جبر ت/ 0101949291
E- mail : mohamadgabr54@yahoo.com

بشائر التحول نحو الحق :

فى مجلة "التوحيد" فى العدد434صـفر1429هـــ ص67-68وتحت عنوان " **الأئمة الأربعة وتعظيم الدليل** " جاء ما يلى :-

= كتابُ الله وسنةُ رسوله صلى الله عليه وسلم هما الينبوعان الصافيان النقيان، وهما مصدر كل خير وصلاح وفلاح، ومنهما تستنبط الأحكام فى الأصول والفروع.

= وقد جاء عن الأئمة الأربعة نصـــوص فيها وصـــاياهم لغيرهم بأن يأخذوا بما دلت عليه الأدلة ويتركوا أقوالهم، منها:-

- **قول الإمام أبى حنيفة** : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولى لكتاب الله، فقيل : إذا كان خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال: أتركوا قولى لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل إن كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال اتركوا قولى لقول الصـــحابة. وقوله : لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعرف مأخذه من الكتاب والسنة أو إجماع الأمة أو القياس الجلى فى المسألة. وقوله : إذا صح الحديث فهو مذهبى.

- **وقول الإمام مالك** : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا فى رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. وقوله : كلٌّ يؤخذ منه ويُرَدّ عليه إلا صاحب هذا القبر، ويشير إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- **ومنها قول الإمام الشافعى** : ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه، فمهما قلتُ من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولى. وقوله: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد. وقوله : كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد مماتى، وقوله : إذا صح الحديث فهو مذهبى.

- **وقول الإمام أحمد** وقد قيل له: الأوزاعى أتبع أم مالك ؟ قال : لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعدُ فالرجل فيهم مُخيَّر.

وقوله : لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا.

قال ابن القيم فى كتاب "الروح" : فمن خالف أئمة السلف الصالح اتباعا للنصوص القطعية فى الكتاب والسنة، لم يُهدر أقوالهم ولم يهضم حقهم، بل اقتدى بهم، فمخالفتهم فى الرأى أسهل من مخالفتهم فى القاعدة الكلية التى أَمَروا بها ودَعَوْا إليها وهى تقديم النص على رأيهم.أهـ

وبتطبيق ما سبق على موضوع كتابنا (إن الله معنا حقا)، يجب على الجميع الإلتزام بمبدأ " التوقيف " فى باب الغيبيات عموما، وفى باب "غيب الله" خصوصا، على نحو ما فصلنا من أسباب وحيثيات، ولما جئنا به من أدلة ونصوص قطعية يبطل أمامها كلُّ ظنٍّ وقياس، فالغيب لا طاقة لأحد به، ولا كلام لأحد فيه إلا الله.

المراجع

أولا : القرآن الكريم وكتب تفسيره :

* القرآن الكريم. * تفسير ابن كثير وتفسير الفخر الرازى وتفسير القرطبى وتفسير البيضاوى وتفسير الطبرى وتفسيرالجلالين وتفسير فتح القدير وتفسيرالبغوى وتفسير ابن عثيمين. جزء عم للإمام محمد عبده وتفسير الظلال لسيد قطب.

* أسباب النزول للنيسابورى.

ثانيا: كتب الحديث الشريف :

* كتب السنة الصحاح / البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه والترمذى وأبو داود ومالك...

* فتح البارى – ابن حجر العسقلانى.

* رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.

* اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

ثالثا : كتب العقيدة :

* العقيدة الواسطية وعقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

* شرح العقيدة الواسطية – طبعة خاصة لجماعة أنصار السنة.

* أصول العقيدة الإسلامية– د/ زكريا عبدالرزاق المصرى–بيروت.

* مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – **عبد الرحمن بن قاسم** – بيروت

* العقيدة الطحاوية لأبى جعفر الوراق الطحاوى.

* التحف فى مذاهب السلف.

* لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد.

* الإلهيات فى العقيدة الإسلامية ا. د. محمد سيد أحمد المسير.

* مباحث فى علم التوحيد السمعيات والأخلاق0 ا د. محمد سيد طنطاوى.

* عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى.

* بحث فى العقيدة الإسلامية– للشيخ حسن البنا

* عقيدة النجاة – محمد ماضى أبو العزائم

رابعا : مراجع أخرى ذات علاقة :

* البيان لما يشغل الأذهان أ. د/ على جمعة – المقطم للنشر والتوزيع
* مع الأنبياء والرسل – ا. د. عبد الحليم محمود. دار المعارف ط ثالثة.
* الروح لابن القيم.
* الدين الخالص – للشيخ/ محمود خطاب السبكى ط 5
* قصة الخلق من العرش إلى الفرش.عيد وردانى الناشرون المتحدون
* بين الشريعة والحقيقة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد233
* فتاوى حديثة للشيخ ابن باز ومجموعة علماء بالمملكة العربية السعودية.
* تهذيب إحياء علوم الدينلأبى حامد الغزالى. دارالتوزيع والنشرالإسلامية
* كليات رسائل النور – بديع الزمان سعيد النورسى .
* حلية الأولياء – لأبى نعيم
* الله – القصد المجرد فى معرفة الإسم المفرد / أحمد بن عطاء الله السكندرى دار جوامع الكلم.الدراسة.القاهرة
* الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان– عبد الكريم عثمان مطبعة دارالسلام/ القاهرة
* بعد الموت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور – د. سمير الشناوى – الشركة المتحدة للطباعة والنشر
* ابن تيمية بين نقيضين– السعيد بدير ألماظ/ط أولى رقم الإيداع 5356 /2005
* كتاب هداية الطالبين لأحكام الدين على مذهب الإمام مالك **رضى الله عنه** – مطبعة السعادة. مصر 1385هجرية
* ثقافة الداعية – د/ يوسف القرضاوى – مكتبة وهبة – مصر 2004م
* مجلة الطب النفسى الإسلامى – النفس المطمئنة – تصدر عن الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية العدد/30/أبريل1992 والعدد34 /أبريل1993 والعدد/40/اكتوبر 1994، وأعداد أخرى.

* مجلة التوحيد لجماعة أنصار السنة المحمدية – القاهرة أعدادها عن عامى 1427-1428هـ

* مجلة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة العدد 21 جمادى الأولى 1426هـ

فهـــرس الموضـــوعات	صفحة

رقم الإيداع 17358 / 2006
الرقم الدولى 9 – 3825 – 17 – 977